
مطبوعات كتابي
يصدرها: حلمي مراد
قصص من الصين
(الحديثة والقديمة)

# قصص من الصين



# CHINESE STORIES

٢٠٠ صفحة - ١٠ قروش

مطبوعات

# كتابى

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد

دار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثالث والثلاثون

# قصص من الصين

ترجمة
محمد بدر الدين خليل
ومحمد كامل الدهميس

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦

# مجموعة « كتابى »

## ( الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية )

صدر منها حتى الآن تسعة وستون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد أول كل شهر ٠٠ وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو ( فؤاد الاول سابقا ) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤ ) ١٠ قروش خالص أجرة البريد المسجل ، ماعدا العدد : العاشر وثمنه عشرون قرشا والأعداد ١٣ ، ١٦ وابتداء من العدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، أما الاعداد الستة الاولى والعدد العشرون فقد نفدت ، والادارة مستعدة لشرائها٠

◆ الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : فى مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفى العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازى ١٤٠ قرشا مصريا وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا واستراليا وتركيا : قيمة الاشتراك : ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة أجر البريد المسجل ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا بخلاف البريد الجوى ٠

◆ ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة أو تحويلات عليه ٠
واذا تعذر فترسل كوبونات دولية فئة ٤٠ مليما على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بأن الكوبونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما ٠

# مطبوعات كتابى

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الأبيض ، الخالدون ، الخاطئة ، حياة امرأة ( جزءان ) الخطيئة الاولى ، أوديب ، مدام بوفارى ، (جزءان) ، عاشقات فى الخريف ، قلوب ضالة ، ديكاميرون ، الظمأ للحب ، جين اير ( ثلاثة أجزاء ) ، فاتنات الرجال ، رجال ونساء ، الثأر للوطن ، فرنسا الجريحة على ضفاف النيل ، الابن الضال ، أسرار الجاسوسية ، بيللا دونا ( ثلاثة أجزاء ) ، بوشكين ، وجان جاك روسو ٠٠ وثمن النسخة من كل عدد عشرة قروش ، فيما عدا الأعداد : ١ و ٤ و٧ و١٩ و٢٢ فثمن النسخة عشرون قرشا ، والأعداد : ١٢ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ اثنا عشر قرشا ، و٣ و٥ و٦ ثمانية قروش، ويضاف الى هذا السعر قرشان مقابل أجر البريد المسجل ٠

# هذه النماذج من الادب الصينى

**عزيزى القارىء ..**

منذ أيام ، قدمت لك « كتابى » الذى خصصته للحديث عن جولتى فى ربوع الشرق الاقصى : فى الصين الشعبية ، واليابان ، والهند ، ومستعمرة هونج كونج .. **وقد حرصت فيه على أن اسجل لك شتى الانطباعات التى تركتها فى نفسى زيارتى لتلك البلاد البعيدة ، التى تعيش فيها شعوب تختلف عن شعوب الشرقين الأوسط والأدنى فى الكثير من المميزات ، والسمات .. تختلف فى العادات ، والتقاليد ، والديانة ، والمعتقدات ، والعقلية ، وأساليب الاستجابة لمختلف العواطف والانفعالات .. الخ**

وقد كان طبيعيا ان ينصرف همى خلال جولتى — كما اعتدت فى كل رحلة أقوم بها — الى هدفين فى وقت معا : احدهما ان اجمع لك المادة الخام التى تمكننى من أن انقلك — على صفحات كتابى — الى أجواء تلك البلاد ، بكل معالمها ، وحضاراتها ، وشعوبها ..

والهدف الثانى ، ان أنقب لك عن نماذج لأدب تلك البلاد ، فى الحاضر والماضى معا ، كى أقدمها لك فى « مطبوعات كتابى » تأدية لرسالتها الثقافية من جهة ، ثم اتماما للصورة التى احب دائما ان انقلها اليك عن كل بلد أزوره ..

**وجريا على هذه السنة ، أقدم لك فى هذا العدد من « المطبوعات » مجموعة من النماذج المعبرة عن أدب الصين ، فى مختلف أطواره ، منذ أقدم العصور الى اليوم .. وسوف ترى من المقارنة بين هذه القصص ، مدى المفارقة الشاسعة بين أدب الصين القديمة ، وأدب الصين الحديثة .. سواء من حيث الموضوعات والأجواء ، أو من حيث السياق والأسلوب ..**

وقد انتقيت لك من أدب الصين القديمة ثلاثة نماذج :

قصتين ، ومسرحية . وسوف تلحظ عند قراءة هذه النماذج الثلاثة كيف كان أدب الصين القديمة يدور حول محور الغوانى والمحظيات - شأنه فى ذلك شأن قصص ألف ليلة وليلة - بل ان اثنتين من القصص الثلاث القديمة لم تستطع ان تستبعد كلمة الغانية أو المحظية حتى من عنوانها !

اما أدب الصين الحديث فقد اخترت لك منه ثلاث قصص لأديب الصين الأشهر « لو شون » ، الذى احتفلت الصين بأسرها فى العام الماضى بانقضاء عشرين عاما على وفاته ..

**ورغم ان هذه القصص الثلاث الأخيرة لمؤلف واحد، فانك سوف تلمس فيها تنوعا كبيرا من حيث الموضوع : فبينما يعالج « لو شون » فى احداها موضوعا عاطفيا مما يجرى فى البيئة الصينية المعاصرة ، نراه فى قصة اخرى يعالج أسطورة من أساطير الصين المأثورة عن الأقدمين ، وهى أسطورة تجمع بين الخرافة القديمة ، وبين فلسفة المؤلف الحديث الذى أضفى عليها من خياله ومن أسلوبه الممتع ما زادها طرافة ومغزى ..**

وأرجو ان أكون بهذه المجموعة من القصص قد زدتك معرفة بتلك البلاد البعيدة ، ذات الحضارة العريقة التى تصافح حضارة وادى النيل ، وحضارة دجلة والفرات ، عبر آلاف السنين !

والله ولى التوفيق

**حلمى مراد**




# جواهر الغانية!

قصة من الأدب الصينى القديم

**هــذه القصـــة من الفترة بين القــرنين العاشر والسابع عشر ، ولم يعرف لها مؤلف**

---

• **تبدأ** قصتنا بغزو القائد اليابانى « هيد يوشى » لـكوريا فى السنة العشرين من عهد « وان لى » (١٥٩٢) . فلما التمس ملك ( كوريا ) العون ، اوفد « ابن السماء » ( ١ ) جيوشـا لنجدته . واذ لم تكن الحبوب والفضة التى رصـدت لهذه الجيوش كافيـة لسد نفقات الحملة ، فقـد اقترح « مجلس الأموال » أن تفرض ضريبة خاصة ، وذلك بأن تبـاع الأماكن لراغبى الالتحاق بالكليات الامبراطورية . فأقر الامبراطور ذلك

وكانت لذلك النظام منافع جمـة لمن يملكون المـال . فالى جانب الامتيازات التى كانوا يحظون بها ـ فى الدرس والامتحانات ـ كانت بعض المناصب الحكومية الصغيرة تقصر عليهم . ومن ثم فان ابناء رجال الحكومة والأسرات المثرية ـ الذين كانوا يربأون بأنفسهم ان يؤدوا الامتحانات فى الأقاليم ـ سارعوا الى الافادة من هـذا المشروع ، وأقبلوا على شراء الأماكن فى الـكليات الامبراطورية . وهكذا زاد عدد الطلبة فى كل من كليتى (نانكين) و (بكين) الى ما يربو على الألف !

**وكان من هؤلاء الطلبة شاب يدعى « لى تشيـا » .. من ابناء ( شاوشينج ) بمقاطعة ( تشيكيانج ) .. وكان اكبر أبناء ثلاثة رزقهم خازن أموال المقاطعة .ومع انه كان قد حصل على اجازة فى القانون ، الا انه فشل فى اداء الامتحان التـكميلى ، فاشترى مكانا بالـكلية الامبراطورية فى ( بكين ) تبعا للنظـام الجديد . واعتاد ـ اثناء مقامه فى العاصمة ـ ان يختلف الى حى « فتيات الهوى » ، برفقة زميل من ابناء المقاطعة التى نشأ فيها ، ومن طلبة المدرسة ، يدعى «ليو يو ـ تشون» . وهناك،**

---

(١) «ابن السماء» كان لقب امبراطور الصين

**قدر له ان يلتقى بغانية ذائعة الصيت ، تدعى « تو وى » .. وتعرف أيضا باسم « ديسيما » ـ أى العاشرة ـ لأنهذا كان ترتيبها بين فتيات الحى**

« انها الفتنة والحب مجسدان ..
« فحاجباها معقوفان كما تبدو الجبال البعيدة ..
« وعيناها صافيتان ، كمياه الخريف ..
« ووجهها نضير ، كزهر اللوتس وقد غسله الندى ..
« وشفتاها قرمزيتان ، مثل « الكريز » ناضجا ..
« آه ، لكم أرثى لها ! .. تلك الأمة الحبيبة ،
« اذ ترمى الى التراب .. الى جانب الطريق ! »

ولقد التقت « ديسيما » ـ منذ أضحت مومسا ـ بكثير من شباب العائلات العريقة والغنية ، فلم يكن بينهم من يتردد فى انفاق كل ما يملك فى سبيل حبها .. ومن هنا اعتادت الأخريات من فتيات الهوى أن يقلن :

« عندما تحضر ديسيما مجلس الخمر ..
« فان أفقر الشاربين يقدم ألف كأس .
« وعندما تظهر « ديسيما » فى حينا ..
« تبهت الوجوه المخضبة فتبدو كالاشباح » !

* * *

• **وبالرغم** من ان « لى » كان شابا عابثا ، الا انه لم ير ـ قط ـ فتاة فى جمال هذه الفتاة . ففىأول لقاء له مع «ديسيما»، تمكن منه سحرها فوقعفىحبها رأسا علىعقب . ولم يكنوسيما لطيفا فحسب ، وانما كانسخى اليد ، لا يمل الجرى وراءها، ومن ثم فانه لم يلبثان لاقى تجاوبا منها . وكانت «ديسيما» تود لو انها تركت « معلمتها » (١) لما راتهمنها من بخل وقسوة

**(١) كانت صاحبات دور الهوى يسيطرن على مقاليد الفتيات اللائى يوقعهن سوء الحظ بين براثنهن . وكانت صاحبة الدار تلقب بـ «المعلمة»**

قلب .. فما كادت ترى من « لى » حبه واخلاصه ، حتى تمنت لو انها ربطت مصيرها به . ومع أن الشاب كان فى خوف شديد من اغضاب ابيه ، اذا هو تزوجها ، الا انهما راحا يوغلان فى هواهما ، فكانا يقضيان اياما وليالى بأسرها معا فى لهو ، ويعيشان دون انفصال كما لو انهما كانا زوجا وزوجة حقا !

**« كان حبهما أعمق من البحر**
**« واخلاصهما أسمى من هامات الجبال ! »**

وبعد أن أضحى «لى» عشيقا لديسيما ، أصبحت المحاولات التى كان غيره من الأغنياء — الذين سمعوا بشهرتها — يبذلونها للفوز بوصالها ، تروح عبثا . وكان يسرف فى الانفاق عليها ، فى البداية ، فكانت « مديرة دار الهوى » تقف بنفسها فى خدمته ، وكلها ابتسامات وملاطفات . لكن نقوده لم تلبث — بعد اكثر من عام — ان اوشكت على النفاد . ولم يعد يستطيع ان يسخو كما كان يشتهى ، فبدأت العجوز تعامله ببرود . **وسمع خازن أموال المقاطعة أن ابنه يتردد على حى فتيات الهوى ، فأرسل له الخطاب تلو الخطاب يأمره بالعودة . ولكن الفتى كان مفتونا بجمال « ديسيما » ، فظل يرجىء عودته .. حتى اذا سمع بمدى غضب والده عليه — فى النهاية — أصبح لا يجرؤ على العودة !**

والمثل يقول ان الصداقة القائمة على المال ، تنتهى بنفاد المال .. لكن حب «ديسيما» كان من القوة بدرجة انها أخذت تزداد به تعلقا وغراما ، كلما ازداد هو فقرا . وطلبت اليها « معلمتها » مرارا أن تنفض عنه ، فلما رأت الفتاة ترفض ذلك ، بدأت توجه الى الشاب من الاهانات ما كانت تأمل ان يصرفه عن الدار غاضبا . بيد أن اهاناتها لم تحدث تأثيرا على « لى » الذى كان ذا طبيعة هادئة ، فلم تعد تملك سوى ان تنحو باللوم على « ديسيما » ، فى كل يوم .. فكانت تقول لها :

« اننا فى حرفتنا هذه نعتمد على العملاء فى طعامنا وملبسنا ، واذا ودعنا عميلا لدى الباب الأمامى ، فلا بد من أن يكون غيره قادما من الباب الخلفى . وكلما زاد العملاء ، زاد ماتقتنى من نقود وحرير . أما وهذا المفلس « لى تشيا » يحوم حولنا منذ اكثر من عام ، فلم يعد من المجدى ان نتحدث عن رواد جدد .. بل ان القدامى منهم قد توقفوا عن المجىء . فكأننا أوتينا « تشونج كوى » (١) يبعد عنا الشياطين ، فلم يعد ثمة من يقترب منا ، ولن يلبث الدخان ان يتلاشى من مدخنتنا .. فما الذى ينتهى اليه مصيرنا ؟ »

**ولم تكن « ديسيما » ترى ذلك ، فكانت تجيب بهدوء : « ان السيد « لى » لم يأت هنا خاوى اليدين .. تذكرى كل النقود التى أنفقها هنا ! »**

ـ لقد كان ذلك فيما سبق ، ولكننى أتحدث عن الآن . اطلبى اليه أن يمنحنى بعض النقود اليوم للوقود والأرز الذى أقدمه لكما . ان الفتيات ـ فى البيوت الأخرى ـ كالأشجار التى تثمر نقودا ، ولا تحتاج الا الى أن يهزها المرء فتتساقط منها الثروات .. ان حظى السىء هو الذى رزأنى بفتاة لا تحب المال . اننى فى كل يوم أحمل عبء تدبير أمورنا ، لأنك تصرين على مساعدة ذلك الصعلوك . من أين تريننا نحصل على الطعام والملبس ؟ .. اذهبى فاخبرى شحاذك هذا ، بأن عليه ان يعطينى بعض الفضة ، ان كان به خير لنا .. ولو انه فعل ، لكان فى وسعك ان ترحلى معه ، وسأشترى فتاة أخرى . ألا يناسب ذلك كلا منا ؟

**فسألتها ديسيما : « أتعنين ذلك حقا ؟ »**

فأجابتها العجوز : « وهل كذبت فى حياتى قط ؟ .. اننى أعنى ما أقول حقا ! » .. وكانت مطمئنة ، لأنها كانت تعرف

(١) تقول الاساطير الصينية ان «تشونج كوى» كان صيادا للاشباح

أن « لى » لم يعد يمتلك « سنتا » واحدا ، بل انه رهن ملابسه . ومن ثم فقد كان من المستحيل عليه أن يحصل على أية نقود !

**ـ وكم تريدين منه ؟**

ـ لو كان الأمر لسواه ، لطلبت ألف « تايل » ، ولكنى لن أطلب من شيطان فقير مثله سوى ثلاثمائة . فبهذا المبلغ أستطيع أن أشترى فتاة أخرى تحل محلك . على أن هناك شرطا واحدا : يجب أن يدفع « لى » المبلغ فى مدى ثلاثة أيام . فأسلمه اياك فورا . اما اذا لم يدفع بعد أيام ثلاثة ، فسأوسعه ضربا بعصاى .. وسأطرد هذا التعس سواء كان من علية القوم أو لم يكن ، ولن يستطيع أحد أن يلومنى على ذلك !

**فقالت ديسيما : « ان بوسعه رغم بعده عن أهله ، ونفاد نقوده ، أن يحصل على ثلاثمائة « تايل » . لكن الثلاثة أيام مهلة قصيرة جدا . ألا تستطيعين جعلها عشرة ؟ »**

فقالت القوادة فى نفسها : « أن الشاب الأحمق لا يملك الا يدين خاويتين .. ولو اننى امهلته مائة يوم ، فلن يستطيع الحصول على النقود .. كما انه لن يجرؤ ـ اذا ما فشل فى تقديمها ـ على المجىء ثانية ، مهما تكن صفاقته . واذ ذاك ، أستطيع أن أفرض سلطانى على دارى مرة أخرى ، ولن تجد ديسيما ذريعة للاعتراض ! » .. وما لبثت ان قالت للفتاة : « لا بأس .. سأجعلها عشرة أيام ، رغبة فى ارضائك . فاذا لم يحضر النقود فى هذه المدة ، فلا لوم لك على ! »

**فقالت ديسيما : « اذا لم يحضر النقود فى هذه المدة ، فلست أراه يجرؤ على العودة .. ولست أخشى سوى أن تنكثى فى وعدك ، اذا ما أحضر الثلاثمائة « تايل » فى الموعد »**

فاعترضت القوادة قائلة : « اننى عجوز فى الواحدة والخمسين ، وأنا أعبد بوذا وأصوم عشرة أيام فى الشهر ، فكيف أكذب عليك ؟ ! .. اذا لم تصدقينى فتعالى أضع كفى على كفك

لنتعاهد .. فلأصبحن كلبا أو خنزيرا فى حياتى الأخرى ! » (١)
« من ذا الذى يستطيع أن يقيس البحر بقدح ضئيل ؟ !
« لقد كانت القوادة ـ رغم دهائها ـ حمقاء ،
« اذ ظنت انها ـ استنادا الى نضوب كيس الطالب الشاب ـ
« تستطيع بهذه السهولة ان تقضى على حبهما ! »

* * *

• **واذ** اقبل الليل ، راحت ديسيما ـ تبحث الأمر فى الفراش ـ مع « لى » . فقال : « ان الأمر لا يتمثل فى اننى لا أريد الزواج منك ، وانما فى ان شراء حريتك يكلفنى ـ على الأقل ـ ألف « تايل » ، فمن أين لى الحصول على ذلك الآن ، وقد نفدت كل نقودى ؟ »

فأجابت ديسيما : « لقد تكلمت مع سيدتى ، وهى لا تريد سوى ثلاثمائة « تايل » . على انه لا بد من دفعها فى خلال عشرة أيام . وعلى الرغم من انك قد بلغت نهاية مواردك ، فلا بد أن لك معارف وأصدقاء فى العاصمة تستطيع الاقتراض منهم .. انك اذا حصلت على هذا المبلغ ، فسأكون ملكا لك ، ولن نقاسى بعدها شراسة طباع العجوز ! »

فقال « لى » : « أن أصدقائى ومعارفى هنا ، قد أبدوا برودا نحوى لأننى أنفق معك اكثر مما ينبغى من الوقت .. غدا سأخبرهم بأننى أعد عدتى للرحيل وسأودعهم وأسألهم نقودا لمصروفات رحلتى . فلعلى أستطيع جمع ثلاثمائة تايل »

وقام ، فارتدى ملابسه ، واستعد للانصراف . وفيما كان منصرفا ، اسرعت ديسيما تقول : « عجل بقدر ما تستطيع ،

(١) كانت بعض العقائد الصينية تبشر بالتناسخ ، أى بحلول روح الانسان بعد وفاته ـ فى مخلوقات أخرى ، تتفاوت شرفا وقدرا تبعا لما كان عليه الانسان فى حياته الأولى من طهر وتقوى .

وسأظل فى ارتقاب أخبار سارة » . فوعد « لى » بأن يبذل أقصى استطاعته .

وما ان غادر البيت ، حتى راح يطرق أبواب عدد من معارفه وأصدقائه ، متظاهرا بأنه انما أتى ليودعهم . فكانوا يغتبطون اذ يسمعون انه عائد الى أهله ، ولكنهم لايلبثون أن يخلدوا الى الصمت اذا ما ذكر انه بحاجة الى نقود . وكما يقول المثل : « الحديث عن الاقتراض ، يضع نهاية للصداقة » . فقد اقتنعوا جميعا – لسبب وجيه – بأن «لى» شاب خليع ، جعله افتتانه باحدى المحظيات يتغرب عن أهله لأكثر من عام ، مما أغضب أباه عليه . لذلك فانهم كانوا يقولون لأنفسهم : **« من يدرينا بأنه صادق فى قوله ؟ .. لنفترض اننا أقرضناه المال للرحلة ، فأنفقه على الفتيات مرة أخرى .. ان أباه حين يسمع بذلك سيعزى الينا أسوأ النوايا .. وما دام اللوم نصيبنا فى الحالين ، فلماذا لا نرفض ؟ »**

ومن ثم فان كلا منهم كان يقول له بدوره : « آسف ! .. من المصادفة أننى مفلس الآن ، فليس بوسعى أن أعينك ! »

وتلقى « لى » نفس هذه الاجابة من كل منهم ، فلم يتكرم أحد من معارفه بأن يقرضه ولو عشرين « تايل » ! .. وظل يطرق الباب بعد الباب لثلاثة أيام ، دون أن ينجح فى اقتراض « سنت » واحد ، ولكنه لم يجرؤ على ان يخبر « ديسيما » بذلك ، بل كان يتملص منها باجابات مراوغة . فاذا كان اليوم الرابع ، بلغ اليأس منه كل مبلغ ، حتى لقد خجل من أن يعود اليها . لكنه – بعد طول معاشرته لديسيما – لم يعد له من مأوى . فلما لم يجد مكانا يقضى فيه ليله ، يمم شطر « ليو » زميله وابن المقاطعة التى نشأ فيها ، فرجاه أن يفسح له مبيتا لديه . فلما سأله « ليو » عما كان يبدو عليه من هم بالغ ، روى له «لى» قصة «ديسيما» كلها ، ورغبتها فى الزواج منه .

علي ان « ليو » هز رأسه ، وقال : « لست أصدق هذه الرغبة ، فان ديسيما هي أشهر محظية في ذلك الحي ، ولا يمكن ان يقل ثمنها عن عشر حفن من اللآلىء ، أو ألف « تايل » من الفضة . ولن تتركها معلمتها من أجل ثلاثمائة «تايل» قط .. كل ما هنالك ان العجوز تضايقت — ولا بد — من نضوب مواردك ، واستئثارك بفتاتها دون ان تدفع لها شيئا ، ففكرت في هذه الحيلة للتخلص منك . وبما أنها عرفتك منذ زمن طويل ، فقد كان من الضروري ان تراعي أصول المجاملة — ولو ظاهريا — فلا تطردك طردا مباشرا . ولما كانت تعلم أنك لا تملك نقودا ، فقد طلبت منك ثلاثمائة «تايل» لتبدو كريمة ، وأمهلتك أياما عشرة للحصول على هذا المبلغ . وانهما لمقتنعتان بأنك اذا عجزت عن تدبير المال في الوقت المحدد ، فلن تجد وجها للعودة .. أما اذا استطعت ، فسيوسعانك تهكما واهانة ، حتى يتعذر عليك البقاء على اي حال . ذلك هو نوع الحيل الذي أعتاد مثل اولئك القوم ان يدبروه . ففكر وترو في الأمر ، ولا تنسق لهما . وفي رأيي المتواضع ان الخير كل الخير في أن تبكر في قطع علاقاتك بهما ! »

واذ سمع «لي» هذا ، داخلته الهواجس ، فلاذ بالصمت .. بينما استطرد « ليو » قائلا : « يجب ألا تتخذ قرارا خاطئا ، فاذا كنت حقا تريد العودة الى البلد ، وفي حاجة الى نقود للسفر ، فقد يستطيع أصدقاؤك ان يدبروا لك بضعة «تايلات» لكنني أشك في امكانك الحصول على ثلاثمائة « تايل » ، ولو قضيت عشرة أشهر ، لا عشرة أيام ، لأن الناس لا يكترثون — في هذه الأيام — بمتاعب اصدقائهم . وهاتان المرأتان تعلمان أنك لن تستطيع اقتراض مبلغ كبير ، ومن ثم فقد حددتا لك هذا المبلغ ! »

فقال « لي » : « أظنك على حق .. يا صديقي » . غير انه ظل راغبا في التشبث بالفتاة ، فتابع طرق أبواب

المعارف ينشد قرضا ، وقد امتنع عن الذهاب الى « ديسيما » ليلا . وبقى عند « ليو » اياما ثلاثة ، انقضى باكتمالها ستة أيام من العشرة ، مما اذكى قلق « ديسيما » حتى أنها ارسلت خادمها الصغير للبحث عنه .. والتقى به الغلام فى الشارع الرئيسى ، فناداه : « يا سيد لى .. ان سيدتى فى انتظارك » . فقال له : « اننى مشغول اليوم ، وسآتى غدا »

على ان الغلام امسك بمعطف « لى » ، ولم يشأ أن يتركه ، تنفيذا لأوامر ديسيما .. وقال : « لقد امرت باحضارك ، فلا بد من أن تأتى معى »

* * *

• **وهكذا** سار « لى » — الذى كان مشوقا لعشيقته — فى صحبة الغلام الى حى الهوى . لكنه ظل صامتا عندما رأى ديسيما . واذ سألته : « أى تقدم احرزت ؟ » ، ذرف الدمع ، دون ان يحير جوابا .

فقالت : **« هل قلوب الرجال بمثل هذه القسوة .. حتى انك لا تستطيع الحصول على ثلاثمائة تايل ؟ »**

فأجابها « لى » والدمع فى عينيه : « لان ينشد المرء صيدا فى الجبل ، أيسر من أن يجد صديقا وقت الحاجة ! .. لقد كنت أهرول من بيت الى بيت لأيام ستة ، ولكنى لم استطع أن اقترض « سنت » واحدا . ولقد بقيت بعيدا عنك طيلة الايام الماضية خجلا من أن آتى خاوى اليدين . واليوم أرسلت الى ، فأتيت مغمورا فى الخجل ، لا لأنى لم أبذل قصارى وسعى ، وانما لأن الناس أصبحوا بلا قلوب ! »

فقالت ديسيما : « لا تدع العجوز تسمعك ، وابق هنا الليلة ، وسنتفاهم فى الأمر » . ثم أعدت وجبة ، فتمتعا بالطعام والخمر سويا !

وفى منتصف الليل سألته ديسيما : **« ألم تستطع الحصول**

**على أى مبلغ اطلاقا ؟ فما الذى سيؤول اليه مصيرى ؟ »**

لكن « لى » لم يجبها ، ولم يستطع الا أن يذرف الدمع .

وما لبث الفجر أن حل فقالت ديسيما : **« لقد خبأت – فى حشيتى – مائة وخمسين « تايل » من الفضة ادخرتها ، وأريدك أن تأخذها . والآن وقد اعطيتك نصف المبلغ ، فلا ريب ان الحصول على النصف الآخر سيغدو أسهل .. على انه لم يبق الا أربعة أيام ، فلا تضيع وقتا ! »** .

وقامت عن السرير فأعطت الحشية الى «لى» الذى استخفه الفرح ، وانطلق الى مسكن « ليو » ، يتبعه الخادم وقد حمل الحشية .. وأخبر «لى» صديقه بكل ما حدث فى تلك الليلة ، فلما فكا قماش الحشية وجدا – بين القطن – كثيرا من القطع الفضية ، التى بلغت قيمتها – عندما وزنت – مائة وخمسين « تايل » . ونال التأثر من « ليو » فقال : **« لا بد أن الفتاة تحبك حقا . وبما انها على هذه الدرجة من الاخلاص ، فلا يجب أن تبتعد عنها . لسوف أفعل – من أجلك – ما أستطيع! »**

فأجاب « لى » : « لن أنسى لك قط ما تقدمه لى الآن من عون ! »

وأبقى « ليو » صديقه « لى » فى البيت ، بينما ذهب يطوف بمعارفه . فاقترض – فى يومين – مائة وخمسين « تايل » ، أسلمها الى «لى» قائلا : « ما فعلت ذلك من أجلك بقدر ما فعلته تأثرا باخلاص الفتاة لك ! » .

واستحال « لى » الى سعادة ، تشع بالابتسامات ، فذهب الى « ديسيما » فى اليوم التاسع – مستبقا نهاية المهلة بيوم – ومعه الثلاثمائة «تايل» ! .. فقالت الغانية : « انك لم تستطع – فى اليوم المنصرم – ان تقترض « سنت » واحدا ، فكيف استطعت اليوم ان تحصل على مائة وخمسين تايل ؟ » . فلما اخبرها « لى » بما كان من زميله فى الدراسة « ليو » ، ضغطت كفيها الى جبهتها دليلا على العرفان ، وقالت : «يجب ان نشكر

السيد « ليو » اذ حقق لنا أمنيتنا ! »

**وقضيا الليل معا فى فرح عارم .. وفى الصباح التالى ، قامت « ديسيما » مبكرة ، فقالت له : « ما ان تدفع النقود ، حتى يغدو فى وسعى الرحيل معك . فيحسن ان ندبر أمر سفرنا. لقد أقترضت بالأمس عشرين « تايل » من صديقاتى ، ولك أن تأخذها للرحلة ! » .**

وكان « لى » - فى الواقع - فى حيرة من أمر تدبير النقود لرحلتهما ، لكنه لم يشأ ان يذكر هذه الضائقة . والآن ، اذا به يشعر بالفرح لتلقى العشرين « تايل » !

واذ كانا يتحدثان ، طرقت صاحبة البيت الباب ، وقالت : « ديسيما .. هذا هو اليوم العاشر ! »

فلما سمع « لى » ذلك ، فتح الباب ودعاها قائلا : « شكرا لك ايتها الخالة ، فقد كنت موشكا أن أدعوك ! » . ووضع الثلاثمائة « تايل » على المنضدة .

ولم تكن القوادة تعتقد لحظة أن بوسع « لى » تدبير المبلغ ، فاكفهر وجهها .. وكانت موشكة على التراجع عندما قالت ديسيما : « لقد عملت هنا ثمانى سنوات ، ولا ريب فى انى دررت عليك بضعة آلاف من «التايلات» فى هذه الفترة .



وها قد حان اليوم السعيد الذى أبدأ فيه حياة جديدة ، كما وافقت انت .. ان الثلاثمائة «تايل» هنا ، لا تنقص «سنت» واحدا ، وقد دفعت فى الميعاد ، فاذا نكثت بكلمتك فسيأخذ السيد « لى » النقود ، وسأنتحر فى الحال . وبهذا تفقدينني وتفقدين النقود معا .. وستندمين ! »

**ولم تحر العجوز قولا ازاء ذلك . وبعد تفكير طويل ، اضطرت الى ان تحضر ميزانها لتزن الفضة . وقالت اخيرا : « حسن ، حسن .. أظنني لا أستطيع ابقاءك ، ولكن .. اذا كان لابد أن ترحلى ، فبادرى .. ولا أرى بوسعك ان تأخذى معك أى ملابس أو حلى ! » . ودفعت بهما الى خارج الغرفة ، وطلبت متراسا فأغلقت به الباب !**

وكان الوقت خريفا ، وقد غادرت «ديسيما» الفراش لتوها ، فلم ينفسح لها الوقت كى تستبدل ثيابها ، التى كانت غير لائقة . ومع ذلك فقد انحنت لسيدتها محيية ، وانحنى « لى » ايضا ، ثم تركا بيت العجوز معا .. كزوج وزوجة !

« وكالسمكة فرت من الشباك الذهبية ،

« انطلقا بعيدا .. لغير ما عودة ! »

وقال « لى » لديسيما : « انتظرى ريثما اطلب لك محفة ، فاننا نستطيع الذهاب الى بيت السيد « ليو » الى أن نقرر شيئا » . لكن ديسيما اعترضت قائلة : « ان صديقاتى كن دائما على صلات حسنة معى ، ويجب أن أودعهن . فضلا عن انهن كن شفوقات معى ، حتى لقد أقرضننا نفقات سفرنا بالأمس ، فجدير بنا ان نشكرهن على ذلك » .. وهكذا اصطحبت « لى » لتودع المحظيات الأخريات !

* * *

• **وكانت** أثنتان من هاتيك الفتيات ، هما « يوه ــ لانج » و « سو ــ سو » ، تسكنان مكانا قريبا ، وكانتا خير صديقات

« ديسيما » .. فذهبا أولا الى « يوه ـ لانج » التى عجبت اذ رأتها فى ملابس قديمة ، دونما حلى فى شعرها ، وتساءلت عما حدث ، فأخبرتها « ديسيما » بالقصة ، وقدمت « لى » اليها ، وحينئذ قالت ديسيما مشيرة نحو يوه ـ لانج : « هذه هى الصديقة التى أقرضتنا النقود بالأمس ، فعلينا أن نشكرها ! » .. فانحنى « لى » مرات ومرات .

**ثم ساعدت « يوه ـ لانج » الفتاة على ان تغتسل وتصفف شعرها . وارسلت ـ فى ذات الوقت ـ الى « سو ـ سو » . وما ان اغتسلت « ديسيما » ، حتى قدمت اليها صديقتاها كل حليهما الزمردية ، وسواراتهما الذهبية ، ومشابك شعرهما ، واقراطهما .. فضلا عن رداء موشى ، ومنطقة ، وزوج من الاحذية . وما لبثتا أن زينتا « ديسيما » من رأسها الى القدم . ثم احتفلوا معا ، واعارت « يوه ـ لانج » الحبيبين غرفة نومها ليقضيا بها الليل !**

وتجمعت المحظيات فى اليوم التالى ، فقلن لديسيما : « لقد كنت الزعيمة بيننا ، وقد لا نلتقى بك ثانية ، بعد رحيلك مع زوجك .. فاذا ماحددتما يوم الرحيل ، فدعينا نأتى لوداعك ! » .. وتولت « يوه ـ لانج » الرد قائلة : « اذا ما تقرر الميعاد ، فسأخبركن جميعا .. لكن ديسيما ستكون على سفر طويل مع زوجها ، وان مواردهما لمحدودة ، فيجب ان نطمئن الى ان نقودهما لن تنفد فى الطريق » . ووافقت المحظيات على ذلك ، ثم انصرفن ، بينما قضى « لى » و « ديسيما » ليلة أخرى فى غرفة « يوه ـ لانج » .

فلما أشرق الفجر سألته ديسيما : « الى أين سنذهب من هنا ؟ هل لديك تدبير ما ؟ »

فأجاب لى : « ان ابى غاضب على . ولو انه سمع بأننى تزوجت احدى فتيات الهوى ، فلن يكتفى بأن يعذبني من أجل ذلك ، بل انك الأخرى ستشعرين بوطأة غضبه . ولقد شغل هذا الأمر بالى بعض الوقت ، ولكنى لم أفكر بعد فى منجى منه ! »

**فقالت ديسيما : « ان أى أب لايستطيع أن يكف عن حب ولده ، ولهذا فلن يبقى على غضبه عليك الى الأبد . على انه قد يكون من المفيد لنا – مادام ذهابنا اليه مباشرة قد يضايقه – أن نذهب الى بقعة جميلة مثل ( سوشاو ) أو ( هنكاو ) للوقت الحاضر . وتستطيع – حينئذ – ان تعود الى البيت منفردا ، فتسأل بعض المعارف أو الأصدقاء ان يقنعوا والدك بالعفو عنك . فاذا ما أعدت الوئام بينك وبينه ففى وسعك أن تعود لاحضارى ، وسيكون كل شىء على مايرام » .**

فوافق « لى » قائلا : « هذه فكرة طيبة ! »

وفى الصباح التالى ودعا « يوه – لانج » ، وذهبا الى مسكن « ليو » ليحزما أمتعتهما . فلما رأت ديسيما « ليو » شكرته لمعونته ، ووعدته بأن ترد له جميله فى المستقبل ، فانحنى الشاب ، فى احترام ، قائلا : « انك ولا بد امرأة نادرة المثال ، اذ تبقين على اخلاصك لحبيبك ، حتى بعد أن أضحى فقيرا . أما مثل هذه الخدمة اليسيرة – التى اديتها – فليست جديرة بالذكر .. اننى لم أفعل أكثر من أن نفخت النار فى اتجاه الريح ! »

وقضى ثلاثتهم النهار فى سرور .. ولما كان اليوم التالى من الأيام المباركة للسفر ، فقد أزمع العاشقان الرحيل فيه ، واستأجرا محفتين ودابتين . ثم أوفدت ديسيما خادمها بخطاب الى « يوه – لانج » لتشكرها وتتمنى لها حظا سعيدا . وما ان تأهبا للرحيل ، حتى وصلت عدة محفات تحمل « يوه – لانج » و « سو – سو » والغانيات الأخريات ، اللائى جئن لوداعهما .

وبادرت « يوه – لانج » صديقتها قائلة : « انك مقبلة على رحلة طويلة مع زوجك ، وان نقودكما لقليلة . لذلك أعددنا هدية صغيرة للتعبير عن حبنا ، عسى أن تتقبليها .. ولعلكما تفيدان منها ، اذا ما مست بكما الحاجة فى الرحلة ! » .. وطلبت الى خادمها أن يحضر صندوقا ، مموها بالذهب من النوع الذى يستعمل لحفظ التحف الثمينة . ولكن محتوياته لم تعرف ،

لأنه كان محكم الغلق . ولم ترفض ديسيما الهدية ، وشكرت زميلاتها ، دون ان تطلع على محتوياتها . وتأهبت المحفتان والدابتان للسير ، فقدم «ليو» لكل من المسافرين ثلاث كؤوس من الخمر ، وشيعهما مع الغانيات الى بوابة ( شنجوين ) ، حيث تمنوا جميعا لصديقيهما حظا سعيدا ، وهم يذرفون الدمع ..

« واذ كانوا فى ريب من لقاء جديد ..

« فقد تبادلوا الوداع ، والدمع يجرى على الخدود ! »

***

• وصل «لى» و « ديسيما » الى نهر (لوهو) ، حيث كان عليهما أن يركبا سفينة . ووجدا ـ لحسن الحظ ـ سفينة نقل حكومية ، فى طريقها الى (كواشو) ، فما ان اتفقا على الأجر ، حتى اتخذا مكانين عليها .

واذ أصبحا على ظهر السفينة ، اكتشف « لى » انه لم يعد يمتلك «سنت» واحدا . فمع ان «ديسيما» كانت قد اعطته عشرين « تايل » الا انه انفقها عن آخرها ! .. والواقع ان «لى» كان قد أقام فى حى البغايا ، حتى بدد كل ما كان لديه ، ولم يعد يمتلك سوى العتيق من الثياب . فلما أخذ النقود ، كان أول ما فعله ، ان سعى ـ بالطبع ـ الى استرداد بعض أرديته ، من محل الرهونات ، وأن عمل على صنع حشية جديدة لنومهما . فكان ما بقى من الفضة لا يتجاوز أجر المحفتين والدابتين .

واذ لمحت ديسيما قلقه ، قالت : « لاتعبأ ، فقد تثبت هدية صديقاتي نفعا ! » .. وحينئذ تناولت مفتاحا ، ففتحت الصندوق . وكان « لى » ـ يقف الى جوارها ـ مفرط الخجل ، لا يكاد ينظر الى الصندوق . وأخرجت ديسيما ربطة حريرية ، فوضعتها على المائدة . وقالت : « لننظر .. ماذا بها ؟ ! »

**والتقط (( لى )) الربطة ، التى كانت جد ثقيلة ، فلما فتحها وجدها تحتوى على خمسين (( تايل )) من الفضة . وفى ذات الوقت ، اغلقت (( ديسيما )) الصندوق ــ من جديد ــ دون أن تنبس بكلمة عما كان يحتويه عدا ذلك . وراحت تقول : (( يا لكرم الفتيات اذ يعطيننا هذا .. الآن لم يعد لدينا مايكفى لنفقات الطريق فحسب ، وانما لدينا ما يساعدنا على الانفاق عندما نزور الأماكن الجميلة فى ( سوشاو ) او ( هنكاو ) ! ))**

فأضاف « لى » فى دهشة وسرور : « لو لم تكن مساعدتك ، لمت بعيدا عن بيتى دون ما قبر أوارى فيه . لن أنسى أبدا مدى كرمك نحوى ! » .. واعتاد « لى » ــ بعد ذلك ــ أن يذرف دموع الشكر ، كلما تحدثا عن الماضى . ولكن « ديسيما » اعتادت أن تسرى عنه فى حنان !

واستمرت الرحلة عدة أيام ، دون أن يتخللها ما يستحق الذكر ، ثم وصلا الى ميناء ( كواشو ) ، حيث رست المركب . فاستأجر « لى » قاربا يواصلان فيه سفرهما . فنقلا اليه متاعهما ، وقررا أن يبدءا الرحيل فى الصباح التالى ، عند الفجر . وكان الشتاء قد أقبل .. والقمر بدرا يضارع سطح الماء صفاء ولمعانا !

وقال « لى » لديسيما ، وقد جلسا متجاورين فى مقدمة القارب : « لقد كنا حبيسين فى قمرة السفينة مع غيرنا من المسافرين ، فلم نكن نستطيع الحديث بحرية .. أما اليوم فان القارب كله لنا ، وفى وسعنا أن نفعل مانشتهى . والآن ــ ونحن نغادر شمال الصين مقتربين من وادى ( يانجتسى ) ــ أفلا تظنين اننا يجب أن نشرب بعض الخمر احتفالا بهذا ، والتماسا للسرور ؟ »

**فقالت ديسيما : (( نعم .. فانى لم أحظ بفرصة للحديث أو الضحك منذ مدة طويلة .. انى أشعر بعين ما تشعر به أنت ! ))**

وأخرج « لى » أواني الخمر فوضعها على أرض السفينة ، ثم فرش بساطا فجلسا عليه ليشربا معا ، حتى اصبحا تحت سحر الخمر . وقال « لى » وهو يقرب كأسه من شفتي ديسيما : « لقد كان لك احب صوت فى حيكن ، حتى لقد فقدت السيطرة على قلبى من أجلك ، عندما رأيتك وسمعتك ترددين الأنغام السماوية لأول مرة . لكن المضايقات حفت بنا طويلا ، حتى انى لم أسمع صوتك السماوى منذ أيام طويلة .. والآن ، والقمر متألق ، يعكس بهاءه على الأمواج الصافية ، وقد انتصف الليل ، وليس من أحد حولنا .. ألا تغنين لى ؟»

وكانت ديسيما فى نشوة هائلة ، فراحت تدق ارض القارب بمروحتها ، اكتسابا للوقت ، ريثما تصفى صوتها ، ثم غنت !.. وكانت أغنيتها عن طالب يقدم الخمر لفتاة ، وقد أخذتها عن أوبرا « قصر القمر » من تأليف « تشي شون — مى » ، فى عهد أسرة « يوان » ، وطوعت مقاطعها للحن الذى عرف باسم « زهرة الخوخ الاحمر الصغيرة » :

« واذ بلغ صوتها السماء ، توقفت السحب لتصغى ..
« واذ بلغ صوتها الأمواج ، عربدت الأسماك طربا ! »

★ ★ ★

• **وتصادف أن** كان فى قارب قريب منهما شاب يدعى « سن — فو » ، من ابناء ( شينان ) فى ( هويتشو ) ، حيث كان يمتلك مزرعة تساوى مليون قطعة من العملة . فقد كانت أسرته تتجر فى الملح فى (يانكشو) منذ اجيال . وكان — اذ بلغ العشرين من العمر — قد التحق بالكلية الامبراطورية فى (نانكين) .

وكان « سن » هذا ، شابا منغمسا فى الملاذ ، يتردد على أحياء الهوى بحثا عن اللذة ، او التماسا لابتسامات بائعات الغرام . والواقع انه كان واحدا من السباقين فى ميدان اللهو !

وكان قارب « سن » قد ألقي مرساه ، فى ميناء ( كواتشاو )

ـ هو الآخر ـ فى ذلك المساء بعينه . وأقبل الشاب على الشراب وحده ، ليغرق السأم فى كؤوس .. واذا به يسمع امرأة تغنى بصوت له من الصفاء والروعة مالم يتوفر لتغريد البلابل! فوقف فى القارب وظل يصغى بعض الوقت حتى تحقق من أن الغناء كان منبعثا من القارب المجاور . لكن الأغنية انتهت فى اللحظة التى عمد فيها الى الاستفسار عن صاحبة الصوت . وما لبث أن عرف من الخادم ـ الذى أرسله ليسائل النوتى ـ ان القارب مؤجر لشخص يدعى السيد «لى» . بيد انه لم يستطع أن يعلم شيئا عن المغنية . فقال الشاب لنفسه : لابد انها مغنية محترفة، وليست من الفتيات المحترمات .. كيف أستطيع أن أتحايل على رؤيتها ؟ » .. وأرقه التفكير فى ذلك طيلة ليلة .

وفى الساعة الخامسة صباحا هبت ريح عاتية ، وامتلأت سماء الفجر بسحب معتمة .. وسرعان ما انقضت عاصفة ثلجية ..

« وتوارت الاشجار ـ على التلال ـ وراء السحب الثقال
« واسودت كل المعالم البشرية تحتها ..
« وعلى النهر المتجمد .. وسط الثلوج ،
« كان ثمة شيخ يصيد السمك فى قاربه ! »

وكان من جراء هذه العاصفة الثلجية ، أن تعذر المضى فى النهر ، وتحتم على القوارب جميعا أن تبقى فى الميناء . وأمر « سن » ملاح قاربه بأن يرسو الى جوار قارب « لى » . فلما تم ذلك لبس قبعته السوداء ورداءه المصنوع من فراء الثعلب، وفتح النافذة متظاهرا بأنه يرقب الثلج . ووفق الى أن يلمح « ديسيما » .. ذلك انها عندما انتهت من ارتداء ملابسها ، رفعت ستار نافذة القمرة بذراع بيضاء ملتفة لتفرغ وعاء ماء اغتسالها، فى النهر، فادار جمالها ـ الذى يفوق كل جمال ارضى ـ رأس « سن » ، واذا به يثبت نظرة على المكان الذى ظهرت

منه أملا فى أن يحظى بلمحة اخرى منها ، لكنه خاب . وبعد قليل من التفكير ، استند الى نافـذة قمرته وغنى ابياتا من شعر « كوشى » ، على لحن « البرقوق الأحمر » :

**« كناسك ، فوق تل مكسو بالجليد ،**
**« أو كعاشقة فى روض تحت القمر .. »**

فلما سمع « لى » شخصا فى القارب الآخر ينشد شعرا يتم ما كانت تغنيه الفتاة ، اطل من النافذة ، كما كان « سن » يرجو أن يفعل .. فقد كانت خطته ترمى الى اجتذاب انتباه « لى » بهذه الحيلة ، ليستدرجه الى الحديث . لذلك فانـه أسرع برفع يديه محييا وسأل «لى» : « ما اسمك الكريم ياسيدى؟»

وبعد أن قدم « لى » نفسه ، كان من الطبيعى أن يسأل جاره عن اسمه . فلما عرفه « سن » بنفسه ، ظلا يتحدثان عن الكلية الامبراطورية ، فسرعان ماأصبحا على صداقة . فقال « سن » : **« لا بد ان ارادة الله هى التى بعثت هذه العاصفة الثلجية لتوقف قاربينا فنلتقى . ما اسعد حظى ! .. ان السفر بالقارب باعث على الضجر ، وكم أود ان انزل الى الشاطىء معك ، فنذهب الى حانة ، حيث استمتع بحديثك ونتناول بعض الشراب ، فأرجو أن لا ترفض »**

فأجاب « لى » . « لقد جاء لقاؤنا محض مصادفة ، فكيف أثقل عليك هكذا ؟ » . ولكن « سن » اعترض قائلا : « آه ، حسبك ! .. ان الرجال اخوة فى كل مكان ! » . ثم أمر قائد قاربه أن يمد معبرا ، وطلب الى خادمه أن يرفع مظلة أثناء العبور . وانحنى أمام « لى » ، ثم تبعه فى أدب الى الشاطىء .

* * *

. **وحملتهما** بضع خطوات الى احدى الحانات وصعدا الى الطابق الأعلى ، فاختارا مائدة نظيفة الى جوار النافذة ، وجلسا



اليها .. وبعد ان احضر الساقى الخمر والطعام ، اقبلا على الشراب .. وهما يستمتعان بمشهد الثلوج .. وتبادلا حديثا عابرا حول ايام الدراسة، وشيئا فشيئا حول «ليو» دفة الحديث الى المحظيات . . واذ لقيا اهتماما متبادلا ـ اذ ان كلا من الشابين كان ذا خبرة واسعة بهذا الميدان ـ شرعا يتحدثان بصراحة ، ويتبادلان الأسرار !

وما لبث « سن » أن صرف خادمه ، وسأل « لى » فى صوت خفيض : « من كانت تلك الفتاة التى غنت فى قاربك ، فى الليلة الماضية ؟ » . واذ كان «لى» تواقا الى أن يزهو بنصره ، قال له باخلاص : « تلك كانت «تو وى» .. الغانيــــة الشــهيرة فى بكين » .

ـ واذا كانت غانية ، فكيف تسنى لك الحصول عليها ؟

وحينئذ روى له « لى » القصة كلها : كيف وقعا فى الحب وكيف أرادت ديسيما الزواج منه ـ وكيف اقترض المال ليشتريهـا .. فقـال سن : « انه ولا شك أمر جد بديع أن تصطحب الى بلدك امرأة فاتنة ، ولكن ، ترى هل ستقبل أسرتك الموقرة هذا الأمر ؟ »

**فأجاب لى: «لست أحمل هما بشأن موقف زوجتى الأولى..**

**انما تتمثل العقبة الوحيدة فى أن أبى شديد الحزم ، وقد اجد منه كثيرا من المتاعب ! »**

واتاحت هذه الاجابة المنفذ الذى كان « سن » يرجوه ، فتساءل : « اذا كان من المحتمل أن لايوافق أبوك المحترم ، فأين تعتزم أن تؤوى حسناءك ؟ .. هل تدبرت الأمر معها ؟ » .. فأجاب لى ، وقد اكفهر محياه : « نعم .. لقد ناقشناه » ، فسأله « سن » فى تلهف : « وهل كان لها رأى حسن ؟ » . فأجاب لى : « انها تريد أن تبقى بعض الوقت فى ( سوتشاو ) او ( هانكاو ) .. وبعد أن نزور الأماكن الجميلة هناك ، سأذهب الى بلدى وحيدا ــ فى البداية ــ لأسأل الاصدقاء والمعارف ان يفاتحوا أبى فى الأمر . فاذا ماذهب غضبه ، عدت لاحضارها . فماذا ترى فى هذه الخطة ؟ »

وبدا التفكير لحظة على « سن » ، وكأنه جد مهتم بالأمر ، ثم قال أخيرا : « اننا لم نلتق الا من وقت وجيز ، وقد يضايقك أن ينصحك رفيق عابر فى مثل هذا الأمر الخاص ! » . فعارضه لى قائلا : « بل اننى فى حاجة الى نصحك .. فلا تتردد فى الحديث بحرية ! » فقال سن : **« حسن اذن . مادام أبوك موظفا حكوميا جليل الشأن ، فلا بد انه سيكون جد غيور على سمعة اسرتك . وقد سبق أن عبر عن عدم رضاه لأنك تحوم حول مواطن الشبهات ، فهل تظنه سيوافق على أن تتخذ من احدى فتيات الهوى زوجة لك ؟ .. أما اقاربك واصدقاؤك ، فسيتخذون جميعا حذرهم من والدك الوقور . ولن تجد جدوى من طلب معونتهم ، اذ انهم سيكونون مضطرين الى الرفض . ولو ان السذاجة حملت واحدا منهم على ان يذود عن قضيتك امام والدك فانه لن يلبث أن يتحول عن ذلك ، اذا ما تبين ان السيد الكهل ضد هذه الزيجة . وهكذا ، ستكون انت سببا للتنافر فى أسرتك ، ولن تفوز بنتيجة مرضية تحملها الى عشيقتك .. ولو انكما الفيتما متعة فى المناظر الجميلة فى**

**( سو تشاو ) و ( هانكاو ) لفترة ، فلن تستطيعا ان تعيشا على المناظر الجميلة الى مالا نهاية .. وما أن تنضب مواردك ، حتى تجد نفسك فى ضائقة محرجة ! »**

ولم يفطن « لى » — الا حين حدثه « سن » عن المصاعب المادية — الى أن كل ما كان يملكه هو خمسون « تايل ». انفق معظمها فعلا — فأومأ مقتنعا ووافق على أن الأمر كان كما صوره « سن » ، فى الواقع ! .. وتابع هذا حديثه قائلا : « والآن ، أحب أن أوجه اليك نصحا صادقا ، لكنك قد لاتحب أن تسمعه » . فقال لى : « بل اننى لشاكر لك ، فتكلم بصراحة .. أرجوك !» . فقال سن : «خير لى أن لا افعل ، فليس للمعارف العارضين ان يتدخلوا بين الاحباب ! » فاعترض لى : « لاتعبأ بهذا ! » .

وهنا قال سن : « لقد قال القدامى ، ان النساء متقلبات ، وقد أثبتت فتيات الهوى أنهن أقل النساء وفاء . وما دامت عشيقتك غانية شهيرة ، فلا بد ان لها صحابا فى كل مكان . وقد يكون ثمة عاشق سابق لها ، فى الجنوب ، تنتهز فرصة سفرها معك لتلحق برجل آخر ! » . فقال « لى » : « أوه ، لا .. لا أظن ذلك » . فأجاب سن : « قد تكون على صواب ، ولكن شبان الجنوب بارعون فى غواية النساء ، ولو انك تركت عشيقتك لشأنها ، فانها قد تستسلم لواحد منهم .. ومن ناحية اخرى ، ارى انك قد تضاعف من سخط والدك ، اذا انت اصطحبتها الى بلدك . الواقع اننى لا أكاد أجد لك مخرجا . على ان العلاقة بين الأب وابنه شىء مقدس لا يجب أن ينتهك . فاذا أنت أغضبت أباك ، وهجرت أهلك فى سبيل غانية ، فسيحكم الناس جميعا عليك بانك مفسود ضال ، ولن تعتبرك زوجتك جديرا بأن تكون بعلا لها ، وسيكف أخوك الصغير عن أن يبجلك ككبير ، وسيقاطعك أصدقاؤك ، فتلفى نفسك منبوذا . لهذا أنصحك بأن تتروى

اليوم فى الأمر ، وتفكر فى امعان ! »

وأسلم هذا الحديث «لى» الى حيرة مطلقة . فقرب مقعده من « سن » ، وسأله فى حرارة : « وما الذى تظننى جديرا بأن أفعله ؟ » .. فأجاب سن : « ان لدى تدبيرا قد ينفعك ، لولا أننى أخشى أن تكون مشغوفا بغانيتك الى الدرجة التى لا تمكنك من ان تقدره ، ولا تكون ثمة جدوى لحديثى ! »

— اذا كانت لديك خطة كفيلة بأن تردنى الى أحضان أسرتى ، فسأعرف لك صنيعك .. لا تتردد فى الكلام !

— انك قد نأيت عن أهلك أكثر من عام ، فغضب عليك ابوك ، واستاءت منك زوجتك . ولو اننى كنت فى مكانك ، لما عرفت طعما للاكل او النوم ، من جراء تأنيب الضمير . لكن اباك الفاضل لم يغضب الا لأنك انسقت فى هوى غانية ، ورحت تنفق المال وكأنه ماء .. انك تبرهن على انك غير أهل لأن ترث ثروته ، اذ أنك خليق بأن تسوق أسرتك الى الافلاس ، اذا أنت مضيت فى هذه السبيل .. لذلك فانك كفيل بأن تذكى غضب أبيك ، اذا انت عدت خاوى الوفاض .. **أما اذا وجدت من نفسك استعدادا لأن تفترق عن غانيتك ، وتفيد من صفقة خاسرة ، فانى لا أحجم عن تقديم ألف « تايل » لك ، فى مقابلها ! .. وبهذا المبلغ تستطيع ان تقول لأبيك انك انما كنت تعمل فى التدريس — فى العاصمة — وليس فى تبديد المال . ومن المحقق انه سيصدق قولك . فيعود الوئام الى اهلك ، ولا يبقى أثر للمتاعب .. وبضربة واحدة ، تبدل مصيبة الأسرة الى حظ سعيد . فهلا درست هذا العرض فى روية وامعان .. اننى لا اقترحه اشتهاء لغانيتك ، وانما رغبة منى فى أن اساعدك ما استطعت ، فحسب !**

وكان « لى » ضعيف الشخصية دائما ، يهاب أباه الى أبعد حد ، ومن ثم فان منطق « سن » أقنعه تمام الاقناع . ونهض من مجلسه فانحنى له شاكرا ، وقال : « أن نصيحتك الرائعة قد

فتحت عينى .. على اننى لا استطيع أن أقطع علاقتى بغانيتى على هذا النحو المباغت ، بعد ان جاءت معى كل هذه المئات من الأميال .. سأحدثها فى الأمر ، وسأخبرك عندما افوز بموافقتها ! »

قال سن : « بما انها مشغوفة بك الى هذه الدرجة ، فلن ترتضى أن تفرق بينك وبين والدك . بل اننى واثق من انهـا ستساعدك على العودة الى أسرتك ! » .. وظلا يشربان حتى هبط الليل ، وخفت حدة الريح ، وانقطع تساقط الثلج . فأمر « سن » خادمه بأن يدفع الحساب ، ورجع مع « لى » الى القارب ، وقد تأبط كل ذراع صاحبه !

« يجب ألا تفضى للغريب بأكثر من ثلث الحقيقة ..

« أما ان تكشف له عن قلبك ، فمسلك بعيد عن الحكمة ! »

* * *

• **كانت** ديسيما ــ على القارب ــ قد أعدت الخمر والحلوى ــ فى القارب ــ من أجل « لى » . لكنه لم يعد طيلة النهار . فلما هبط الليل ، أضاءت المصباح فى انتظاره . وما ان صعد الى سطح القارب حتى هبت مرحبة به ، فلاحظت انه كان مضطربا مهموما . واذ ملأت له كأسا دافئة من النبيذ هز رأسه رافضا ، وذهب الى سريره دون أن ينبس بكلمة . فانزعجت ديسيما . وسألته ، بعد أن نحت الكؤوس والاطباق جانبا وساعدته على خلع ملابسه : « ما الذى حدث اليوم فأحزنك الى هذه الدرجة ؟ »

وكانت اجابته الوحيدة زفرة . فظلت تكرر سؤالها ثلاث مرات أو أربعا ، حتى غشيه النوم . وكان القلق قد برح بها ــ فى تلك الاثناء ــ فجلست على حافة السرير ، لا تستطيع اطباق جفنها . وفى منتصف الليل ، استيقظ « لى » ، فأرسل زفرة عميقة أخرى . فسألته ديسيما : « أى شىء يثقل بالك على هذا النحو ؟ .. لماذا لا تنبئنى ؟ »

فاعتدل « لى » جاذبا الغطاء حوله ، وحاول عدة مرات أن يتكلم ، لكنه لم يستطع الاستمرار وانهلت الدموع على خديه. وهنا أخذته « ديسيما » بين ذراعيها ، وراحت تسرى عنه بكلمات ناعمة ، وهى تقول : **« لقد ظللنا متحابين زهاء عامين ، ونفذنا معا خلال آلاف من الصعاب والمشكلات ، كما انك لم تبد مهموما قط خلال هذه الرحلة الطويلة . ففيم هذا الهم الآن ، وقد اوشكنا أن نعبر ( اليانجتسى ) ، فنستقر ونعيش سعيدين بعد ذلك ؟ لابد أن هناك سببا .لسوف نعيش معا ، ونموت معا ، كزوجين ، فخليق بنا ان نبحث متاعبنا معا ايضا . أرجوك .. لا تكتم عنى الأمر ! »** . وبعد أن ألحت عليه مرارا أن يتكلم ، قال والدموع فى عينيه : « عندما بعدت بى الشقة عن أهلى ، كنت جد رحيمة بى ، وربطت نفسك الى بالرغم من كل العقبات ، حتى اننى لأعجز عن التعبير عن شكرى لك . لكننى ظللت أفكر فى الأمر : ان أبى موظف حكومى كبير ، وهو جد متمسك بالمبادىء ، فضلا عن انه شديد الحزم . فاذا اغضبته الى الدرجة التى يطردنا فيها من رحاب العائلة ، فسنضطر الى التشرد دون ما مأوى .. فماذا سيكون مصيرنا اذ ذاك ؟ .. انه قد يؤدى الى قطيعة كاملة بينى وبين أبى .. وقد لا نطمئن الى حياة زوجية سعيدة ، بعد ذلك . ولقد تحدث الى صديقى « سن » - وهو من ( شينان ) - فى هذا الأمر ، بينما كنا نتناول بعض الشراب اليوم ، فاذا بى اشعر بقلبى يتحطم ! »

فسألته ديسيما وقد اشتد انزعاجها : « ما الذى تعتزم أن تفعل ؟ » . فقال لى : « ان الرجل الغارق فى المتاعب لا يبصر طريقه بوضوح ، لكن السيد سن فكر لى فى خطة رائعة .. غير اننى أخشى ألا تقريها ! »

- ومن يكون هذا السيد « سن » ؟ .. اذا كانت خطته حسنة ، فلماذا لا أوافق عليها ؟

ـ ان اسمه « سن فو » ، وهو تاجر ملح من ( شينان ) ، وعالم شاب شهم . وقد سمعك تغنين فى الليلة الماضية ، فسأل عنك . فلما رويت له قصتنا ، واخبرته بأننا قد لانستطيع العودة الى أهلى ، عرض ألف « تايل » فى مقابل يدك .. ولو توفر لدى ألف « تايل » ، فقد يكون من السهل على أن أواجه والدى ، كما انك ستجدين لنفسك مأوى ودارا . بيد اننى لا أطيق فراقك .. وهذا هو سبب حزنى .

وما ان قال هذا حتى تساقطت الدموع مدرارا .

**وأطلقت ديسيما ضحكة غريبة وهى ترفع ذراعيها عن كتفيه .. وقالت : « لا بد أنه سيد لطيف ، اذ فكر فى هذه الخطة .. اذ أنك ستربح الألف « تايل » ، ولن أصبح عبئا عليك ، ما دمت سأصبح لرجل آخر . فأى شىء يمكن أن يكون متفقا مع العقل والمبادىء العليا أكثر من ذلك ؟ .. انها لخطة ملائمة لكل منا .. فأين الفضة ؟ »** . فقال « لى » ، وقد كف عن البكاء : « ان النقود لم تزل معه ، اذ ان المبادلة لم تتم بعد ، لاننى لم أحظ بموافقتك يا حبيبتى ! » . فقالت ديسيما : « اذن فاسرع اليه اذا ما أسفر الصباح ، ولا تفوت الفرصة . فان ألف « تايل » مبلغ كبير ، وتحر دقة وزنه ، واطمئن الى استلامه ، قبل أن أنتقل الى القارب الآخر ، ولا تدع تاجر الملح هذا يغشك ! .. تأكد من انها وزنت بدقة وسلمت اليك قبل ان أعبر الى القارب ! »

* * *

• **وبلغت** الساعة الرابعة .. وكانت ديسيما قد قامت ـ عندما تبينت اقتراب الفجر ـ فأشعلت المصباح لترتدى ثيابها . وهى تقول : « لأتزين اليوم ، وداعا لعميل واستقبالا لآخر جديد ! .. انها لمناسبة عظيمة ! »

وعنيت باستخدام الأصباغ والمساحيق والزيت العطرى ،

ثم تحلت بأبدع جواهرها وأجمل أرديتها المطرزة ، فعبق عطرها الجو ، وتجلى حسنها يبهر الأبصار !

وعندما انتهت من أمر لباسها ، كان الصبح قد حل ، فأرسل « سن » خادما الى قاربهما يسأل « لى » ردا . واسترقت ديسيما نظرة الى الشاب ، فلما رأته يبدو مبتهجا ، راحت تحرضه على أن يعلن لفوره موافقته ، ليستولى على الفضة فى أقرب وقت . ومن ثم فقد ذهب « لى » الى قارب « سن » ليعلنه بموافقة ديسيما .

وقال سن : « لا عقبة هناك فيما يتعلق بالمال ، لكنى أرى أن أحصل على صندوق جواهر السيدة رهنا » . فلما أخبرها « لى » بالأمر ، أشارت الى صندوقها المذهب وقالت : « دعهم يأخذونه ! » . واذ ذاك ، بادر « سن » ــ وهو مغتبط ــ بارسال الألف « تايل » من الفضة الى قارب « لى » . وفحصت ديسيما الصناديق ، فلما تأكدت من أن الفضة كانت من أحسن نوع ، وأن المقدار كان صحيحا ، وضعت ذراعا الى جانب من القارب وأشارت الى « سن » بالأخرى ، فاستخفه الفرح . وسألته وقد انفرجت شفتاها القرمزيتان عن أسنان لؤلؤية : « هل أستطيع استرجاع الصندوق دقيقة واحدة ؟ ان به تصريح سفر السيد « لى » ، ويجب أن أرده اليه » .

**واذ اطمأن « سن » الى أن ديسيما لن تستطيع الافلات منه بعد كل هذا ، أمر خادمه بأن يعيد اليها صندوقها المذهب فيضعه على ظهر القارب . وتناولت ديسيما مفتاحها ففتحته ، كاشفة عن مجموعة من الأدراج بداخله . وطلبت الى « لى » أن يفتح أول درج ، فوجده مليئا بالأساور واللآلىء واليواقيت والأحجار الكريمة ، التى تبلغ قيمتها مئات عدة من « التايلات » الفضية . وفجأة ، ألقت ديسيما بهذه الجواهر الى النهر ، وسط دهشة « لى » و « سن » ومن كان سواهما على القاربين !**

ثم طلبت الى « لى » أن يخرج درجا آخر ، فاذا به يحتوى على قصبات من الياقوت ، وقضبان من الذهب ، وكان الدرج الثالث مليئا بحلى ذهبية تساوى آلاف عدة من «التايلات» ، فألقت ديسيما بهذا كله أيضا .. الى النهر !

وفى تلك الأثناء كان الجسر قد ازدحم بالمشاهدين ، الذين راحوا يهتفون فى عجب : « يا للخسارة ! » .. وفيما كانوا مشدوهين لسلوكها ، انتزعت الدرج الأخير ، فكان به صندوق . وفتحت الصندوق ، فاذا به ملىء بحفنات من اللآلىء المتألقة والأحجار الكريمة الأخرى — كالزمرد و « عين القط » — مما لم يروا له نظيرا من قبل قط ، ولا كان فى وسعهم ان يحدسوا قيمته . وصاح المشاهدون اعجابا . فلما همت ديسيما بأن تلقى بكل هذه الجواهر الى النهر أيضا ، ألقى « لى » ذراعيه حولها ، وبكى فى مرارة ، وقد ثار ضميره .. كما أقبل «سن» — بدوره — ليعتذر اليها . ولكن « ديسيما » دفعت « لى » بعيدا ، والتفتت الى « سن » غاضبة ، فصاحت : « لقد قاسيت مع السيد « لى » صعابا كثيرة ، حتى أتيت الى هنا ! ولكنك — فى سبيل ارضاء شهواتك — خدعته بدهاء لتفصم زواجنا ، وتهدم حبنا . اننى لأكرهك ! .. ولسوف تصبح — بعد موتى — شبحا ، اذ اننى سأشكوك الى الآلهة . كيف سولت لك نفسك ان تطمع فى الاستمتاع بى ؟ ! »

ثم التفتت الى « لى » قائلة : **« لقد مارست الحياة التعسة — حياة الغانية ، بائعة الهوى — سنوات عديدة ، ادخرت خلالها ما يسد رمقى فى شيخوختى . فلما التقينا ، أقسمنا على ان نتحاب مدى العمر . ولقد تظاهرت — عندما غادرنا العاصمة — بأن هذا الصندوق هدية من صديقاتى ، فى حين انه قد ضم من الجواهر ما تفوق قيمته عشرة آلاف من « التايلات » الفضية .. وكنت أعتزم أن أرفعك بها الى ذروة التألق ، حتى استدر عواطف والديك ، فيتقبلاننى فى الأسرة ، لأعيش معك**

فى **هناء الى آخر العمر !** . ولـكنك لم تطمئن الى ، فانسقت بسهولة للأكاذيب ، واذا بك تهجرنى فى منتصف الطريق ، دون أن تحفل بحبى الصادق .. ولقد فتحت هذا الصندوق أمام هؤلاء جميعا ، لأريك ان آلاف «التايلات» لا تهمنى فى شىء .. ولكنك لم تكن ذا بصيرة ! .. ان القدر يعادينى ولا بد ، فقد هربت من حياة البغـاء القاسية ، واذا بك تنبذنى . فكونوا – ايها الحضور جميعا – شهودى ! .. اننى لم أخنه قط ، ولكنه أثبت عدم وفاء لى ! »

وانهمرت دموع الحاضرين جميعا ، وانهالوا بالسباب والبصاق على « لى » ، وهم يتهمونه بالخيانة وعدم الوفاء .. بينما راح الشاب يبكى فى حرارة ، وقد اشتد به الخجل والخزى والندم.

**واذ هم ان يستغفر ديسيما ، اذا بها تلقى بنفسها الى النهر ، وقد احتضنت الصندوق الصغير بين ذراعيها ! .. وتصايح القوم متداعين الى النجدة ، ولـكن الضباب كان كثيفـا فوق النهر ، كما كان التيار جارفا ، فلم يستطع أحد الوصـول اليها ! ..**

**فوالهفتاه على غانية حسناء ، ذاع صيت جمالها ، قدر لها ان تروح ضحية الأمواج النهمة !**

« لقد ابتلعت اعماق الماء هذا الجسد الحبيب ،

« وحمله النهر بعيدا .. عن عالم الناس ! »

وهم الحاضرون بأن ينقضوا على « لى » و « سن » ، وهم يصرون على أسنانهم حنقا ، فاشتد الذعر بالشابين ، وصاحا فى نوتيى قاربيهما بأن ينطلقا .. فابحرا فى اتجاهين متضادين!

* * *

• **وبرح** الحنين بالشاب « لى » ، وهو يرى الألف « تايل » الفضية أمامه ، فظل طيلة يومه فريسة للخجل والندم ، حتى افقدته الحسرة عقله ، فعاش مجنونا بقية حياته !

أما « سن » ، فقد سقط مريضـا لفرط الجزع ، فـلازم



فراشه لأكثر من شهر .. واستبد به الذعر – آناء الليل واطراف النهار – من شبح « دبسيما » الذى راح يلاحقه باللعنات ، حتى مات فى بطء .. وأجمع الناس على ان هذا لم يكن سوى الجزاء الحق عن الخطيئة التى ارتكبها على النهر !

وحدث عندما أتم « ليو يو – شون » دراسته فى العاصمة، واتخذ طريقه الى بلده ، أن رسا قاربه يوما عند ( كواتشاو ) . وفيما كان يغسل وجهه عند حافة قاربه ،سقط وعاؤه النحاسى فى النهر ، فطلب الى احد الصيادين ان يلقى شبكته لالتقاطه. غير أن الشبكة عادت بصندوق صغير ، ما ان فتحه « ليو » ، حتى ألفاه مليئا بما لا يقدر بمال ، من جواهر ولآلىء ونفائس. فأجزل « ليو » العطاء للصياد ، ووضع الصندوق عند رأس سريره .. **وفى تلك الليلة ، واتته فى المنام فتاة حملتها امواج النهر ، وعرف فيها شكل «ديسيما» . وصعدت اليه ،فانحنت محيية ، وروت له كيف كشف «لى» عن غدره بها ، ثم قالت : « لقد كنت جد كريم اذ ساعدتنى بمائة وخمسين « تايل » ، وكنت أعتزم أن أجازيك اذا ما بلغنا غايتنا ... واذا كنت لم أستطع ، فاننى لم أنس قط رفقك البالغ ، ومن ثم ارسلت اليك فى النهار هذا الصندوق ، فى شبكة الصياد ، لأعبر عن**

**شكرى ! »» . وتحقق « ليو » ـ عند ما استيقظ ماخوذا ـ من ان ديسيما قد ماتت ، فحزن عليها اياما !**

ولقد عنيت الاجيال التى أعقبت هـذه الأحداث ، بتحليل دقائقها ، فدمغت « سن » بالخبث لسعيه الى الفوز بحسناء، فى مقابل ألف «تايل» من الفضة ! .. واعتبرت «لى» خسيسا، لأنه لم يقدر ديسيما حق قدرها ، فى غبائه !.. اما «ديسيما» ، فقد كانت جوهرة بين النساء ! .. ومما يرثى له ، انها بددت حبها ، اذ ضيعته على « لى » ، بدلا من ان تسعى وراء زوج جدير بها ، فكان عملها أشبه بنثر اللآلىء البراقة ، او اليواقيت النادرة ، امام عينى رجل أعمى ! .. مما أدى الى انقلاب حبها العظيم الى كراهية ، والى ضياع عواطفها الناعمة مع تيار النهر !

**« جدير بمن لم يعرفوا الحب ان يصمتوا ،**
**« فليس من السهل ادراك قيمة الحب ..**
**« وليس سوى من فطر على الثبات والوفاء ،**
**« جديرا بان يلقب ـ فى الدنيا ـ بالعاشق المحب ! »**




# صائغ الذهب والغانية

قصة من الأدب الصيني في القرون الوسطى ..

**هـــذه القصـــة من الفترة بين القرنـــين العاشر والسابع عشر ، ولم يعرف لها مؤلف**

---

**« بالرغم من ان ثيابهم مهلهلة لا تقيهم البرد ،**
**« فانهم يؤكدون لك انهم يبدلون كل المعادن الخسيسة الى ذهب !**
**« فلمــاذا ــ اذن ــ لا يصنعون ذهبالحسابهم الخاص؟**
**« ولماذا يكتفون بأن يشقوامن أجل سواهم طيلةاليوم؟»**

• **نظم** هذا الشعر « تانج ين » ــ وهو عالم فى عهد أسرة «ينج» الحاكمة ــ تعريضا بالكيمياويين الكثيرين الذين يخدعون الجشعين ، ويغررون بالسذج ، زاعمين ان بوسعهم ان يصنعوا من الاعشاب حجر الفلاسفة ، وان يحولوا القصدير الى ذهب، أو الزئبق الى فضة . وانهم ليسمون هذا « فن النساك » . وهم يطلبون الفضة ليستخدموها فى عملياتهم ، ثم ينتهزون الفرصة ليهربوا بها .. ويسمون هذا « الاستخفاء بالقدر » .

وفى ذات مرة ، عرض ناسك على « تانج ين » أن يؤدى له هذا الفن ، قائلا : « ان لك مظهرا يدل على الطيبة ياسيدى .. لذلك فانى أؤدى هذا العمل من أجلك »

فجابهه تانج ين بقوله : **« ألاحظ انك فى أسمال .. فاذا كنت قد سيطرت على فن النساك ، فلماذا لاتستنبط الذهب لمصلحتك الخاصة ؟ .. لماذا تكتفى بان تفعل ذلك للغير ؟ »**

وأجاب الناسك : « ان الطبيعة تعادينى ، لأنى اوتيت هذه الموهبة .. ومن ثم فليس بوسعى أن أفعل ذلك الا اذا وجدت منتفعا حباه الحظ .. اما أنا ، فان الحظ لايحالفنى . واذ لاحظت انك ولدت تحت طالع سعد ، فانى أعرض عليك أن تشاركنى »

فقال تانج ين : « اسمح لى أن أعرض عليك اقتراحا .. اننى لن أتدخل فى عملك وانت تمارس فنك ، بل سأكتفى بأن أساعدك

بحظى .. حتى اذا حصلت على حجر الفلاسفة ، اقتسمنا الذهب مناصفة فيما بيننا »

وعندما تبين الناسك ان العالم انما كان يسخر منه ، ايقن ان هذا لم يكن بالغنيمة السائغة له ، وبادر الى الانصراف . وعند ذلك كتب تانج ين شعره معرضا بهذا الصنف من المحتالين . على أنه لايزال ثمة أناس — ممن أوتوا أعظم ذكاء — يقعون فى مثل هذه الشراك !

* * *

• **دعنى** أحدثك عن غنى من ابناء سونجتشيانج يدعى « بان » ، كان من علماء الكلية الامبراطورية .. وكان واسع الاطلاع ، لبقا ، يستهوى الناس بحسن معشره . بيد انه كان مولعا بالكيمياء . ولما كانت الطيور على اشكالها تقع ، فان الكيمياويين تكأكأوا حوله ، وما لبثوا أن جردوه من قدر كبير من الفضة . ومع ذلك ، فانه لم يستشعر أى ندم ، حتى بعد ان خدع مرارا وتكرارا ، وانما اكتفى بان قال أنه لم يؤت من الحظ ما يسوقه الى لقاء كيمياوى حاذق ، اذ ان فنا عريقا كهذا ، لا بد ان يكلل بالنجاح ، فى النهاية .. ولهذا بدت له كل مرات اخفاقه السابقة سفاسف تافهة . ومن ثم فقد أخذ عناده يقوى ويشتد . وانتشرت الأنباء عن ذلك ، حتى سمع بها كل الكيمياويين ، فتآمر الدجالون من كل الأرجاء على غشه !

وفى ذات خريف ، استأجر « بان » مسكنا فى ( هانكاو ) ، فسرعان ما استرعى انتباهه رجل غريب ، فى المنزل المجاور ، كان قد وفد بدوره ليشهد البحيرة الغربية . وكان لهذا الرجل كثير من الخدم والمتاع ، وقد عرف « بان » ان المرأة التى كانت تصحبه — والتى كانت بارعة الجمال — لم تكن سوى محظيته.

**وكان هذا الغريب يستأجر — فى كل يوم — أكبر قارب فى ( هانكاو ) ، ويامر باعداد وليمة ، ويستأجر فتيات الهوى**

**ليعزفن الموسيقى .. ثم يقبل على الشراب والطرب والمرح مع محظيته ، على مياه البحيرة. وكان يمتلك كثيرا من كؤوس الشراب الذهبية والفضية الدقيقة الزخرف .. كما كان عند عودته الى مسكنه ـ فى كل مساء ـ تحف بهعشرات المصابيح، يوزع الهبات فى سخاء الأمراء !**

وبهت « بان » الى أقصى حد ، وهو يشاهد كل هذا ، من داره المجاورة . وكان يقول لنفسه : « ان اسرتى تعتبر مثرية ، ولكنى لا أملك أن أنفق المال على هذا النسق ، فلا بد ان ثروة هذا الرجل تفوق الخيال »

وسرعان ما توصل الى وسيط يحمل الى جاره تحياته ، واستطاع بعد ذلك أن يلتقى بالغريب ، وان يبادله الود . وما ان سنحت له ثغرة ينفذ خلالها ، حتى قال عرضا : « ان ثروتك تفوق كل ماشهدت ياسيدى »

فقاطعه الآخر فى تواضع : « آه ، ما هـذا بالشىء الذى يذكر ! » ولكن « بان » قال مصرا على رأيه : « لابد أن لديك جبالا من الذهب والفضة فعلا ، والا لكنت خليقا بأن تستنفد كل ثروتك ، اذ تعيش على النمط الذى تعيش عليه »

فأجاب الغريب : « ان جبال الذهب يسيرة الانفاق . ولكن المنشود هو مورد لاينضب ! »

واستثار قوله فضول « بان » ، فسأله : « ما الذى تعنيه بمورد لا ينضب ؟ »

ـ ليس بوسعى أن أتحدث عن هذه الأمور ، ونحن لم نلتق الا هذه المرة

ـ انما أرجوك أن تفصح ..

ـ لو أننى انبأتك لكان من المحتمل ان لا تفهم أو لا تصدق

**وما كانت هذه الاغراءات الغامضة لتزيد « بان » الا اغراقا فى الالحاف ، فما لبث الغريب أن صرف خدمه ، ثم همس : « انني أمتلك حجر الفلاسفة ، الذى يحيل القصدير الى**

**ذهب .. ان الذهب لدى كالتراب ! »**

وكاد « بان » يطير طربا لهذه الاشارة الى الكيمياء ، التى كانت هوايته الأثيرة بكل شغفه . وصاح : « خبير انت ـ اذن ـ بفن النساك ؟ ! .. اننى مولع بالكيمياء ، ولكننى لم أحظ قط بلقاء خبير صادق بها . اننى لأنزل ـ بطيب خاطر ـ عن كل ما امتلك اذا علمتنى فنك ! »

فقال الغريب : « ما هذا بالذى يلقن عفوا .. على انه لا ضير هناك من اجراء بضع تجارب ، على سبيل التسلية ! »

**ودعا خادما ليشعل النار فى الموقد ، ثم صهر بضع أوقيات من القصدير فى مرجل ، وتناول من جيبه كيسا به مسحوق راح ينثره على المعدن المصهور ، وما أن أفرغ ما فى الكيس على محتويات المرجل ، حتى تحول القصدير الى فضة براقة !**

والواقع ـ أيها القارىء ـ انه لايوجد فى الدنيا مسحوق يستطيع ان يحول القصدير الى فضة ، وماكان ذلك المسحوق ـ الذى استخدمه الغريب ـ سوى مايسمونه « روح الفضة » ، وقد استخلصها الرجل ـ بعملية كيمياوية ـ من اوقية من الفضة ، فلما صهرها فى المرجل ، امتص القصدير المذاب خلاصة الفضة ، فاكتسب لونا فضيا . ولكن المادة الجديدة لم تكن تضم من الفضة شعرة فوق مانثره الرجل من الكيس .. وهى حيلة كثيرا ما يخدع الكيمياويون الناس بها !

* * *

• **واستولى** الفرح على « بان » ، فقال لنفسه : « لاعجب فى انه ينفق المال كما لو كان ماء ، ويبدد كل وقته فى اللهو .. ومن السهل ـ كما يبدو ـ ان يصنع المرء فضة . ولقد اعتدت دائما ان اضيع نقودى كلما حاولت ذلك من قبل ! على اننى ـ فى هذه المرة ـ سعيد الحظ ، اذ التقيت بشخص قدير حقا ، فجدير بى ان استعين به ! »

وتحول الى الغريب فسأله : **« كيف تصنع حجر الفلاسفة ياسيدى ؟ »**

فاجاب الغريب : « ان هذه العملية تسمى تكوين « أم الفضة » .. خذ أى مقدار من الفضة كأساس ، وعالجه بالمواد الكيمياوية ، وسخنه فى قدر ، وبعد ان يغلى تسع مرات ثم يعود الى حرارته الطبيعية ، لا يلبث أن يتركز ، ويصبح راسبا من الفضة . فاذا فتحت القدر ، فكل ما عليك هو أن تتناول منه حجر الفلاسفة ، الذى تكفى الذرة منه لكى تحول المعادن الخسيسة الى ذهب أو فضة ، بينما تبقى « أم الفضة » على حالها دون أن تتغير ! »

وسأله بان : **« وكم يلزم من الفضة لذلك ؟ »**

فكان الجواب : « كلما زادت الفضة ، اشتد مفعول حجر الفلاسفة . بنصف علبة منها تستطيع أن نغدو فى ثراء امبراطور ! »

قال بان : **« بالرغم من اننى لست غنيا ، فان بوسعى أن أدبر ألفى « تايل » . فاذا كنت راغبا فى أن تعلمنى ، وفى ان تكون ضيفى ريثما تصنع لى قدرا صغيرا من حجر الفلاسفة هذا ، فسوف تحقق أمنية حياتى ! »**

وأجاب الغريب : « اننى نادرا ما أعلم الغير فنى . كما انه ليس من عادتى أن أعرض على الغير تجاربى . ولكننى أخذت باخلاصك وبطيبتك الظاهرة وان تجاورنا هنا ليثبت ان لقاءنا كان مكتوبا فى لوح القدر ... لسوف أبذل من اجلك ما استطيع، فانبئنى ببلدك الأصلى ، وسوف أزورك هناك ! »

**ـ اننى أقيم فى ( سونجتشيانج ) ، وهى لاتبعد عن هنا باكثر من يومين او ثلاثة . واذا كنت ستتفضل بزيارتى ، فلماذا لاتحزم أمتعتك وتصحبنى الآن الى دارى المتواضعة ؟ .. لعل شيئا ما يحدث اذا افترقنا ، فأحرم من هذا الامتياز !**

فأجاب الغريب : « ان دارى فى مقاطعة ( هونان ) ، حيث

تركت أمى .. ولقد أحضرت محظيتى الى هنا ، لنستجلى منظر ( هانكاو ) الذائعة الصيت ، فاذا الوقت يمر بهيجا ، حتى اننى أخذت أرجىء العودة ، اذ اننى وان كنت قد جئت صفر اليدين ، الا اننى أوفر نفقاتى بفضل القدر ! .. أما وقد وجد فيك روحا صفية لى ، فلن استبقى سرى لنفسى . وبعد أن أعود بمحظيتى الى بلدى ، وأقدم احتراماتى الى امى ، سآتى اليك . ولن تكون هذه بالمدة الطويلة . أليس كذلك ؟ »

فقال « بان » مقترحا عليه : **« ان لى بيتا ريفيا تستطيع السيدة التى برفقتك أن تقيم فيه . فهلا تؤثر ان تحضرها معك لتؤنسك خلال الفترة التى يقتضيها العمل ؟ .. واذا كنا لا نملك ان نوفيك حقك من الضيافة ، الا اننا سنبذل قصارى وسعنا لكى نجعلك مسرورا ، ولكى نريح محظيتك . ان عرفانى بفضلك — اذا انت جئت — ليقصر عنه كل تعبير ! »**

وهز الغريب رأسه ، ثم قال : « مادمت مصرا بهذه الدرجة ، فسأحدث محظيتى عن الأمر ، ثم نتأهب للرحيل »

وابتهج «بان» ، فأسرع لفوره بكتابة رقعة الى الكيمياوى ، يدعوه فيها الى وليمة يقيمها على البحيرة فى اليوم التالى .

ورافق « بان » الغريب — فى اليوم التالى — الى قارب ، وهو يبدى له كل اكرام .. وهناك ، راح كل منهما يعرض علمه . وأخذا يتكلمان ويتكلمان ، وهما يتحسران على انهما لم يلتقيا قبل ذلك .. ثم افترقا وكل منهما قرير العين بالآخر . وكان « بان » قد ارسل للمحظية — فى البيت المجاور — طعاما وخمرا . وفى اليوم الذى أعقب التالى ، دعاه الكيمياوى — بدوره — الى مأدبة فاقت مأدبته .. وغنى عن القول ان كل الصحاف كانت من الذهب والفضة . ولما كان « بان » قد بات لا يفكر فى شىء الا فى الكيمياء ، وفقد كل اهتمام بمشاهدة مناظر ( هانكاو ) فانه أسرع باستكمال كل اجراءاته ليسافر مع الكيمياوى الى ( سونجتشيانج ) . واستأجرا سفينتين

كبيرتين ، نقلا اليهما متاعهما ، وأقلعا معـا . وكثيرا ما كانت السيدة الشابة ـ القابعة فى مقصورة الكيمياوى ـ تطل خلال الستائر ، بينما كان « بان » يختلس النظر اليها . . وتبين انها كانت ذات جمال فتاك . ولكن . . وآاسفاه !

« ظلت تفصل بينهما هوة لا معبر لها . .

« فلم يكن يملك ان يبوح بما ملأ قلبه ! »

وتحسر « بان » على انه لم يكن يستطيع ان يبعث اليها برسالة !

* * *

• **واختصارا** للقصة ، نذكر ان السفينتين سرعان ما وصلتا الى ( شونجتشيانج ) ، حيث دعا «بان» الكيمياوى الى البر ، ورافقه الى داره .

وقال وهو يقدم الشاى لضيفه : « هنا تقيم أسرتى . ولكن فى البيت أنفسا كثيرة ، ومن ثم فاننى أحب أن أدعوك وأدعو السيدة الى دارى الريفية ، وهى جد قريبة . . وهناك ، بوسعى أنا الآخر أن أقيم فى حجرة المكتب ، فى الفناء الأمامى للدار . . ولن يعكر صفونا هنـاك أحد . فضـلا عن ان الدار منعزلة ، بحيث أن أحدا لن يدرك متى تشغل فرنك وموقـدك . فما رأيك ؟ »

فأجاب الكيمياوى : **« يجب ألا أتعرض لفضول الطفيليين ، وللضجيج ، أثناء ممارستى فنى . ولما كانت محظيتى هنا ، فان هذا أدعى الى الاقامة فى عزلة . ومن ثم فان من الأنسب أن نقيم بدارك الريفية ! »**

وعلى هـذا ، أمر « بان » النوتيـة بأن يقلوهم الى داره الريفية . وهناك ، سار مغتبطا مع الـكيمياوى ، الى الباب الذى نقش عليه : « جنة اللهو »

وقال الـكيمياوى بعد ان شهد الدار : « ان هـذه البقعة



الهادئة ، الأنيقة ، هى أنسب مكان للكيمياء . كما انه مكان ملائم لمحظيتى كذلك ، ولهذا أستطيع أن أنصرف الى العمل وأنا مرتاح الخاطر . انك لرجل مجدود »

وعندئذ ارسل «بان» عددا من الخادمات ليستدعين المحظية الشابة من المركب ، فأقبلت تخطر فى الحديقة ، فى أفخم ثياب ، وقد حفت بها خادمتاها «سحابة الربيع» و«قمر الخريف» .. وهب « بان » واقفا ، عند ما اقتربت ، وهم بأن ينصرف من المكان ، لولا أن أمسك به الكيمياوى قائلا : « اننا صديقان حميمان ، فدعنى اعرفها بك ! »

* * *

• **وعندما** تطلع « بان » الى وجهها ، رأى انها كانت أجمل من أى حسن دنيوى . والاغنياء من الرجال ، يتوقون جميعا الى المال والحسان .. ولهذا أحس « بان » بأنه راح يذوب ، وكأنه رجل من جليد جاور نارا ، ونسى كل شىء — حتى الكيمياء — فى تلك اللحظة !

وقال للكيمياوى : «ان بالدار غرفا كثيرة ، وفى وسع السيدة

ان تختار منها ما يحلو لها . واذا لم يكن لديها الكفاية من الخادمات ، ففى وسعى أن أستقدم بضع فتيات لخدمتها »

**وبينما أخذ الكيمياوى ومحظيته يجوسان خلال البيت ، أسرع « بان » الى داره الأخرى ، فأحضر زوجا من مشابك الشعر الذهبية ، وقرطين ذهبيين ، فقدمها الى الكيمياوى قائلا : « هل لى أن أقدم هذه التوافه الى السيدة ؟ .. أرجو ان لا تسوءنك بساطة قيمة هذه الهدايا ! »**

على ان الكيمياوى لم يكد يتبين انها من ذهب ، حتى رفضها قائلا : « انك تولينى شرفا فوق ما ينبغى .. ان بوسعى أن أصنع الذهب بسهولة ، أما أنت فان الذهب يكلفك كثيرا من المال ، ومن ثم فاننى لا استطيع قبول هذه الهدايا »

فقال « بان » وقد غشيه شيء من الخجل : « اننى ادرك ان مثل هذه التوافه لا تروق لك . ولكنى أرجو أن تقبلها كرمز لتقديرى الصادق لرفيقتك ! »

فأجاب الكيمياوى : « مادمت حفيا بنا الى هذا الحد ، فمن غير الملائم للود أن أرفض .. ومن ثم فسوف أقبلها . وأرجو أن أوفيك صنيعك اذا ما صنعت حجر الفلاسفة ! »

وغادر الحجرة مبتسما ، ليأمر الخادم بأن تحمل هذه الهدايا الى محظيته ، وأن تسألها أن تأتى لتشكر مضيفهما ، بينما كان « بان » يغبط نفسه قائلا لها ان رؤية الغانية مرة أخرى ، كانت تفوق القطع الذهبية قيمة ! .. وراح يفكر فى سريرته : **« ان هذا الرجل لا يجيد الكيمياء فحسب ، وانما هو يقتنى هذه الحسناء الرائعة الجمال . فأى شيء يشتهيه المرء من الحياة ، فوق هذا ؟ .. ولقد وافق — لحسن الحظ — على ان يصنع لى حجر الفلاسفة ، فيغدو فى وسعى عما قريب ، أن أصنع الذهب بنفسى .. ترى هل أستطيع أن أتفاهم مع هذه الحسناء ، أثناء مكثها هنا ؟ .. ان النجاح فى هذا الأمر ايضا ، شيء بديع ! .. على اننى يجب ألا أفسد بالتعجل**

**كل شيء .. يحسن بى أن أنصرف الى الكيمياء أولا ! »**

لذلك فانه تحول الى الكيمياوى قائلا : « متى يروق لك أن نبدأ ؟ »

ـ بوسعنا أن نبدأ بمجرد ان توفر الفضة

ـ وما المقدار اللازم ؟

ـ قدر ما تستطيع أن تدبر ، فكلما كثرت الفضة ، زاد ما نحصل عليه من حجر الفلاسفة .. واذا أنت حصلت من هذا على كمية كافية ، فلن تحتاج الى تكرار العملية

ـ اذن فسأوفر ألفى « تايل » من الفضة ، لتوضع فى القدر .. وسأذهب اليوم الى دارى لاحضارها ، ثم أنتقل الى هنا غدا لأقيم وأعمل معك !

وأقام فى تلك الليلة وليمة للكيمياوى .. واستطاب كل منهما صحبة الآخر .. وغنى عن القول انه أرسل حلوى وشرابا الى المحظية فى غرفتها الداخلية

وأحضر « بان » ـ فى اليوم التالى ـ ألفى « تايل » من الفضة ، وجميع الأجهزة اللازمة : من قوارير ، وأنابيق ، ومصاف ، وما الى ذلك . وكان ـ لطول عهده بالكيمياء ـ على دراية بما كان لازما ، فسرعان ما دبر القصدير ، والزئبق الملغم ، والعناصر الأخرى . فقال الكيمياوى : « اننى اقدر العناء الذى تتكبده ، ولكنك ستجد طريقتى مخالفة للطرق التى ألفتها »

ـ هذا ما أرجوك أن تعلمنيه !

**ـ ان حجر الفلاسفة الذى اصنعه حجر تاسوعى .. أى ان الدورة تتم فى تسعة ايام ، وبعد تسعة امثالها تفتح القدر ، فاذا الحجر قد اكتمل فى جوفها . وفى ذلك اليوم ، تصبح ذا ثروة طائلة !**

فصاح « بان » : « ليس بوسعى أن أصف لك مدى شكرى لفضلك »

وما لبث الكيمياوى ان أمر خادمه الخاص بأن يشعل النار فى الموقد ، ووضع الفضة داخل القدر ، شيئا فشيئا . وما أن فعل ذلك حتى اطلع « بان » على الطريقة ، وصب بعض المواد الكيمياوية على المعدن ، فانبعثت أبخرة متباينة الألوان . ثم أحكم اغلاق القدر بخاتم كيمياوى . وأخيرا ، صرف الرجل خدمه ، وقال لهم : « لسوف أمكث هنا ثلاثة أشهر ، فعودوا الى بيت الأسرة ، وأنبئوا أمى ! »

ومن ثم فقد انصرفوا جميعا ، عدا الخادم الموكل بالموقد

* * *

• أخذ الكيمياوى يتفقد الفرن فى كل يوم ، ليتبين لون اللهب .. ولكنه لم يفتح القدر قط . وكان ـ فى وقت فراغه ـ ينصرف الى الثرثرة ، والشراب ، ولعب الشطرنج مع «بان» ، حتى اشتدت أواصر الصداقة بينهما . وكان « بان » لا يكف عن ارسال الهدايا الصغيرة الى المحظية ليكسب ودها ، فكانت ترسل له بعض أشياء بسيطة مع تحياتها . وانقضى أكثر من عشرين يوما على هذه الشاكلة ، ثم اقبل رجل فى ملابس الحداد المصنوعة من القنب ، فاندفع الى الدار الريفية وهو يتصبب عرقا . واذا به أحد الخدم الذين كان الكيمياوى قد امرهم بالعودة الى بلده .. وركع الخادم أمام الكيمياوى ، وصاح : « لقد توفيت السيدة الكبيرة ! .. فهلا عدت يا سيدى الى البلد ، لتشيع الجنازة ؟ »

وبدا على الكيمياوى الذهول والوجوم ، ثم انبطح على الأرض ، وراح يبكى . فقال « بان » وهو شديد الاستياء : « لا حاجة بك الى ان تسرف فى الحزن ، ما دامت أمك قد بلغت أجلها المحتوم .. لا تقس على نفسك بالأسى يا صديقى ! »

وقال الخادم للكيمياوى : « ليس فى البيت من يتولى شئونه ، فمن الخير ألا تضيع وقتا يا سيدى »

واذ ذاك جفف الكيمياوى دموعه ، وتحول الى «بان» ، فقال له :

**« لقد كنت اعتزم أن أصنع لك خيرا أعرب به عن عرفانى ، ولكن هذه النكبة العظيمة انقضت على ، ولن أكف يوما عن الحسرة من جرائها .. ان حجر الفلاسفة لم يستكمل تكوينه بعد ، ولا يجب ان نقطع استرسال العملية . على اننى الآن فى مأزق .. ومع ان محظيتى ليست سوى امرأة ، الا أن طول معاشرتها اياى ، مكنتها من أن تعرف الحرارة اللازمة ، ومن ثم ففى وسعها ان تمكث هنا ، وان تتولى مراقبة الفرن . ولكنى لا أحب أن أدعها وحيدة ، لأنها صغيرة وليس ثمة من يعنى بأمرها ! »**

فقال بان : « أية هواجس هذه ، ونحن على مثل هذه الدرجة من الصداقة الوثيقة ؟ ! .. الا اترك السيدة هنا ، وانت مرتاح الخاطر ، فلن يقترب من المعمل أى متطفل غريب ، وبوسعى أن أرسل اليها بعض النسوة المحتشمات ليؤنسنها . او .. لها ان تنام مع زوجتى — اذا شئت — بينما أبقى أنا هنا ، وبهذه الطريقة ، نستطيع ان نراقب القدر الى ان تعود الينا . فأى اعتراض لك على هذا ؟ »

وتردد الكيمياوى بضع لحظات ، ثم قال فى النهاية : « لقد قلب نبأ موت امى رأسى ، وانى لأعرف ان الرجال — فيما مضى — كانوا يأتمنون أصدقاءهم على زوجاتهم وأولادهم . وبما انك مفرط الكرم ، فانى أقبل أن أترك محظيتى هنا لكى تراقب الفرن ، اثناء غيابى لتشييع جنازة أمى . ولسوف أعود عما قريب لأفتح القدر ، وبهذه الطريقة أكون قد أديت واجبى نحو الطرفين ! »

وما ان سمع « بان » ان المحظية ستبقى لمراقبة الفرن ، حتى بات على استعداد لأن يفعل أى شىء ، لفرط فرحه . وأجاب وهو متهلل : « اذا فعلت هذا ، فسنراقب العملية الى نهاية موفقة ! »

وغاب الكيمياوى فى داخل الدار ، ليشرح الأمر لمحظيته ، ثم أحضرها كى تقابل « بان » . وراح يوصيها : « **ان مهمتك تقتصر على مراقبة القدر ، ولكن . . حذار من فتحه ، مهما يكن الامر . ان أية غلطة ستورث الأسى فيما بعد !** »

فتساءل بان : « وماذا يكون الأمر ، اذا لم تستطع العودة حتى انصرام الأيام الواحد والثمانين ؟ »

فاجاب الكيمياوى : « ان بقاء الفضة فى القدر — لبضعة أيام اخرى — بعد تعريضها للحرارة مدة كافية — لن يؤدى الا الى زيادة كمية حجر الفلاسفة . فلا بأس من ارجاء فتح القدر ! »

وبعد ان تبادل مع محظيته بضع كلمات ، فى خلوة ، انطلق فى رحلته

* * *

• **ولما** كان الكيمياوى قد خلف محظيته وراءه ، فان «بان» لم يستشعر اية مخاوف من انه قد لا يعود لفترة طويلة ، أو ان حجر الفلاسفة قد لا يكتمل . بل أصبح الشاغل الوحيد لفكره ، هو أنه أوتى فرصة رائعة ليغوى الشابة ، فلا ينبغى أن يفلتها . وفيما كان مستغرقا ، يفكر فى الطريقة التى يسلكها لذلك ، أقبلت « سحابة الربيع » ، فقالت له : « ان سيدتى ترجوك أن تلقى نظرة على الفرن الذى فى المعمل يا سيدى »

ونهض « بان » من مكانه فى عجلة ، واسرع الى باب الشابة ، فنادى قائلا : « لقد أخبرتنى خادمك بأن لى أن ارافقك الى الفرن يا سيدتى »

فأجابته بصوت عذب : «تفضل فتقدمنى اليه ، وسأتبعك !»

**ثم محتجا : « انك ضيفتى ياسيدتى ، فكيف أتقدمك ؟ »**

**فأجابته : « انني لست سوى امرأة . فكيف أجرؤ على أن أستبيح لنفسي التقدم ؟ »**

**وبفضل تبادل هذه المجاملات، مكثا بضع دقائق وجها لوجه،**

**وان لم يمس أحدهما الآخر . وأخيرا ، استطاع « بان » أن يقنعها بأن تتقدمه مع وصيفتيها فاذا به رأى قدميها الدقيقتين — الشبيهتين بزنبقتين ذهبيتين — يلهب دمه ، وهو يسير خلفها . فاما بلغت المعمل ، التفتت الى وصيفتيها قائلة : « لا يباح دخول هذا المكان لغير المخول لهم مشاهدة العملية . فأنتظرانا خارجه ! »**

وأسرع « بان » خلفها الى داخل المعمل ، ليتفقد القدر . ولكنه لم يكن يرى — فى الحقيقة — سوى الشابة الحسناء ، التى كان يشتهى أن يلتهمها التهاما . . كان قد فقد كل اهتمام بالكيمياء ! . . على ان الفتى الذى كان يسهر على مراقبة النار ، كان هناك — لسوء الحظ — ومن ثم فان « بان » لم يملك سوى أن يرمق الحسناء بنظرات الاعجاب ، دون أن يستطيع أن يوجه اليها أى غزل ، اللهم الا حين تأهبا لمغادرة المكان ، اذ استجمع جرأته ليقول : « أشكر لك مرافقتك اياى ياسيدتى . . لابد انك تستشعرين وطأة الوحدة فى غرفتك ، لغياب زوجك ! »

ولم تقل الشابة شيئا ، بل اكتفت بأن ابتسمت دون أن تنظر اليه ، وسارت غير حافلة به . وكان « بان » فى تلك الأثناء يكتوى بنيران الوجد . فقال لنفسه : « لو لم يكن ثمة شخص آخر ، لوفقت معها . ما أثقل وطأة هذا الفتى الذى يمكث فى المعمل . لو اننى استطعت اقصاءه فى الغد ، قبل أن أدعوها لتفقد الفرن ، لاستطعت أن اتقرب اليها ! »

**ومن ثم فقد دعا اليه أحد خدمه ، وقال له : « أعد غدا طعاما وخمرا للفتى الذى يرعى النار ، وقل له اننى أكرمه لأنه يجد فى عمله . واحرص على أن تسكره بالخمر حتى يفقد حواسه ! »**

وراح « بان » يعاقر الخمر وحده — فى ذلك المساء — وهو ملتاع ، يفكر فى الغانية الجميلة ، التى كانت فى داخل الدار ، وفيما جرى خلال ذلك النهار . ثم راح يذرع المكان ، لايكاد يستقر له حال ، وانطلق ينشد :

**« زرعوا اليوم زهرة رائعة الجمال ،**
**« فى حديقة كوخي المتواضعة ..**
**« ولكنى ازمر عبثاً ، فى شرفتى الخاوية الجرداء ..**
**« لان الربيع يولى الادبار متعجلا ! »**

وسار الى البهو ، حيث ردد هذه الأغنية ـ عدة مرات ـ بصوت عال ، أملا منه فى أن تسمعه الشابة .. وما لبثت أن أقبلت عليه « قمر الخريف » ، تحمل قدحا من الشاى المعطر ، قائلة : « لقد سمعتك مولاتى وانت تلقى شعرا ياسـيدى ، فظنتك ظمآنا ،ومن ثم فهى تدعوك الى تناول هذا الشاى ! »

وتهلل « بان » فرحا ، ولم تكد الخادم تغادره ، حتى سمع غناء ينبعث من داخل الدار :

**« الا يشفق أحد على الزهرة ،**
**« من وطأة ريح الربيع القاسية ؟**
**« لو انك أحببتها**
**« فانها لن تشعر بشىء من القسوة ! »**

اذ ذاك أدرك « بان » ان الحسناء كانت تميل اليه ، ولكنه لم يجسر على أن ينفذ الى حجرتها . وما ان سمع بابها يغلق ، حتى آوى الى فراشه ، ليبقى فيه مسهداً الى الفجر . فلما كان اليوم التالى ، دعا خادمه الفتى الموكل بنار الفرن الى الطعام . وكان الفتى قد سئم البقاء طيلة أيامه الى جوار النار ، ومن ثم فانه قبل الدعوة فى شوق ولهفة ، ولم تبرح الكأس يده ، حتى كان قد ثمل ، فسرعان ما راح فى سبات عميق !

* * *

• **ما ان** عرف « بان » ان الفتى قد بعد عن المعمل ، حتى سعى الى باب الغانية ، ليسألها ان ترافقه لتفقد القدر . وأقبلت ـ كما أقبلت فى اليوم السابق ـ فسارت أمامه الى باب المعمل ، حيث طلبت الى وصيفتيها أن تنتظراها خارجه . ولم يتبعها

الى الداخل سوى « بان » . واذ بلغا الفرن ، والفيا الفتى غائبا ، تظاهرت الغانية بالدهشة ، وتساءلت : « كيف تسنى أن لا يكون هنا أحد ؟ .. لماذا تركت النار تخمد ؟ »

فأجاب « بان » ضاحكا : **«لأنني أتأجج لهيبا ، ومن ثم طلبت اليه أن يدع النار فترة ! »**

قالت محتجة ، وهي تتظاهر بأنها لم تفهمه : « ما كان لك ان تدع الفرن يخبو »

فقال : **« لنسعره بلهيبنا ! »**

واصطنعت مظهر الجد ، وسألته : « كيف يتسنى لامرىء يدرس الكيمياء ، ان يتكلم عن مثل هذه الأمور او يفكر فيها ؟ »

فتجاسر « بان » وقال لها : **« لقد شاركك زوجك فراشك هنا .. أو ليس هذا ذات الأمر ؟ »**

ولم تحر المحظية جوابا للحظة . ثم تمتمت : « هذا صحيح ، ولكنه عمل مشروع .. أما أنت ، فانك تدعوني الى اثم ! »

فقال بان : **« لقد خلقنا للحب .. وهذا صواب ومشروع كذلك ! »**

وأحاطها بذراعيه ، وهو يركع امامها . فهتفت وهي تساعده على النهوض : « ما الذي يقوله زوجي ؟ .. لست اجرؤ على ارتكاب خطيئة . ولكنك كنت حفيا بي الى الدرجة التي لا أقوى معها على صدك . لسوف أقابلك الليلة ؟ »

فهتف « بان » متوسلا : **« ولم لا يكون ذلك الآن ؟ .. ان المساء لا يزال جد بعيد ! »**

ـ ولكن أحدا قد يأتي فيفاجئنا ، وهذا أمر لا يليق

**ـ لقد دبرت اقصاء الفتى بعيدا ، ولن يأتي أى مخلوق سواه . ان هذا المعمل ناء ومنعزل ، فلا سبيل لأحد اليه !**

وفي هذه الأثناء ، كان « بان » قد فقد كل اهتمام بحجر الفلاسفة ، فاحتواها بين ذراعيه . وهتف : **« لا يهمني أن أفقد عمري في سبيل بغيتي ! »**

ولم يطل به ارتقاب رضاها ، فأحس بأنه قد انتقل الى نعيم . وما ان أفاق ، حتى هتف : « **لقد كانت نشوتنا قصيرة الأمد .. فلا بد من ان تمنحينى ليلة كاملة !** »

وركع مرة أخرى أمامها ، فبادرت ترفعه من جديد ، وهى تقول له فى عتاب : « لقد وعدتك بأن ألقاك الليلة ، ولكنك أبيت ان تصغى لى . كيف تتصرف مثل هذا التصرف بجوار الفرن؟ »

فأجاب بان : « **ما كنت لأفلت فرصة كهذه .. كان الأمر فوق طاقتى** »

— أفآتيك الليلة فى حجرتك ، أو تأتينى أنت فى غرفتى ؟

— **كيفما تشائين !**

— ان لدى وصيفتين تنامان معى ، ومن ثم فان حجرتى غير ملائمة . لسوف أتسلل اليك الليلة .. وفى غد ، سأحدث الوصيفتين عنك حتى تستطيع أن توافينى فى حجرتى !

وتسللت فى تلك الليلة الى البهو — بعد أن نام الجميع — فألفت « بان » فى انتظارها ، ليأخذها الى غرفته . ومنذ ذلك الحين ، أوغلا فى امتاع نفسيهما — فى غرفته وغرفتها على السواء — دون أن يكبحا جماحيهما . وما قدر لبان أن يستمتع قط بمثل هذه المغامرة ، لذلك لم يحفل بعدم عودة الكيمياوى ، ولا باكتمال تكون حجر الفلاسفة .

* * *

• **وكانا** قد استمرءا لهوهما هذا لأكثر من عشر ليال ، حين أعلن حارس باب الدار — ذات يوم — عودة الكيمياوى . واضطر « بان » الى الترحيب به ، وهو مأخوذ مستاء . وأسرع الرجل الى محظيته ، وبعد أن قضى معها وقتا فى الحديث ، عاد الى مضيفه قائلا : « ان محظيتى تقول أن خاتم القدر ظل سليما ، لم يفض ، وان العملية استوفت أمدها . وها قد عدت اليوم من سفرى ، فلنفتح القدر غدا ، بعد ان نقدم القرابين للآلهة ! »

ومع ان « بان » حرم من لهوه الليلى ، الا انه وجد شيئا من العزاء فى عودة الكيمياوى ، وفى أنه لن يلبث أن يوافيه بحجر الفلاسفة . وبعد أن ابتاع ورقا سحريا ، وقدم القرابين — فى اليوم التالى — سار مع الكيمياوى الى المعمل . ولكنهما لم يكادا يجتازان عتبته ، حتى تجهم وجه الرجل ، وتمتم لنفسه : « ما الذى خلق هذا الجو الغريب ! »

وفتح القدر وأطل فى جوفها ، ثم دق الارض بقدمه ، وهتف: **« لقد ضاع كل شىء ! .. ضاع كل شىء ! .. لقد تبخر حجر الفلاسفة مع الهواء .. حتى الفضة التى اتخذت اساسا ، تحولت الى نفاية ! .. لقد أفسد شخص ما كل شىء ، بأقدامه على الرذيلة والفسق فى هذا المكان ! »**

وشحب وجه « بان » ، ولم يجرؤ على أن يجيب بشىء ، فقد كان يدرك ان كلام الرجل صحيح . وكان الكيمياوى يحرق الارم ، ويصر على اسنانه — فى تلك الأثناء — غيظا . وصاح فى الفتى : « من الذى جاء الى هنا ؟ »

— لا أحد سوى السيد « بان » والسيدة ، اللذين اعتادا ان يأتيا فى كل يوم . ولكن احدا غيرهما لم يجرؤ على المجىء !

فصاح الكيمياوى : « اذن فكيف تلف حجر الفلاسفة ؟ .. استدع مولاتك الى هنا توا ، لتفسر لى هذا ! »

واسرع الفتى فأحضرها . وبادرها الكيمياوى فى حنق : « ماذا كنت تفعلين هنا ، وانت تتفقدين الفرن ؟ .. كيف تسنى لحجر الفلاسفة ان يتلف ؟ »

فأجابت : « لقد اعتدت أن أجىء الى هنا ، مع السيد « بان » ، مرة فى كل يوم . وما مس الخاتم السحرى بشىء . ومن ثم فلست أدرى كيف تسرب التلف ! »

فقال الكيمياوى فى غلظة : « اننى لم أقل ان الخاتم قد مس . اذن فلا بد أنك التى عبثت به ! » . ثم التفت الى الفتى



فسـألـه : « هل بارحت مكانك لحظـة ، بينما كان السيد بان ومولاتك هنا ؟ »

فأجـاب الفتى : « **مرة واحـدة فقط .. ففى ذات يوم ، أكرمنى السيد بان بطعام شهى ، جزاء لى على جدى ودأبى ، وقد اسرفت فى الشراب ، فاستولى على النعاس . هـذه هى المرة الوحيدة التى انفردا فيها هنا ! »**

واذ ذاك قال ساخرا متوعدا : « اذن فالامر كذلك ؟! »

وهرع الى متاعه ، فانتزع منه سوطا ، وصاح فى هدير : « سألقنك درسا أيتها الفاجرة ! » .. فصـاحت وهى تتقى الضربات : «لقد قلت انه لا يليق ! .. ان اللوم فى هذا يقع على السيد بان ! »

وسمر « بان » فى مكانه مأخوذا ، وقد ود لو انشـقت الأرض فابتلعته . وصاح الكيمياوى فى غضب مهتاج : «**ما الذى قلته لى عندما عهدت بها اليك ؟ .. ومع ذلك فها أنتذا ــ فى الأيام القـلائل التى غبتهـا ــ تفعـل الاثم ! .. انك أشر من الوحش ! .. كيف يأمل شرير مثلك أن يظفر بحجر الفلاسفة ؟ .. لقد كنت أعمى أكثر مما ينبغى . لا بأس ، فمن الخير أن**

**أضرب تلك الفاجرة حتى تموت ، فلا خير فى استبقاء زانية تجردت من الحياء ، مثلها ! »**

وهجم ليضرب محظيته ، ففرت مذعورة الى غرفتها ، بينما حاولت وصيفتاها ان تضرعا اليه كى يعفو عنها ، فاذا السوط يلفح وجه كل منهما ، فيسبب لهما أفظع الآلام ! .. واذ رأى « بان » مدى هياج الكيمياوى ، لم يجد بدا من ان يركع أمامه ، قائلا : « لقد تصرفت تصرفا لا أستحق عنه عفوا ، وانى لعلى استعداد لأن أغض البصر عن الخسارة التى حاقت بى ، اذا أنت صفحت عنى »

فعاجله الكيمياوى مجيبا : « انت الملوم على ما أصابك من خسارة . ان اثمك هو الذى جعل حجر الفلاسفة يستحيل الى دخان . ولكن ، ما الذى يحملنى على أن أدع لك أحب محظياتى الى ، ايها الكلب المهين ؟ .. كيف تستطيع ان تعوضنى عما فعلته بها ؟ إن نفسى تحدثنى بأن أقتلها ، وأن أجعلك تدفع حياتك ثمنا ! »

فعاد « بان » يلح فى ضراعة : « دعنى أكفر عن خطيئتى ! »

وبادر فأمر خادما بأن يحضر سبيكتين من فضة ، قيمة كل منهما مائة « تايل » ، فقدمهما « بان » للكيمياوى وهو جاث يناشده الصفح . بيد ان الرجل لم يعن حتى بالقاء نظرة عليهما ، أو عليه . بل قال فى ازدراء : « اننى أصنع الفضة دون عناء ، فما حاجتى الى فضتك ؟ »

**وركع « بان » ثانية ، وعرض عليه مائتى « تايل » اخرى ، قائلا : « انك بهذا تستطيع ان تبتاع محظية اخرى . لقد كانت خطيئة منى .. كان الذنب ذنبى ، فاغفر لهما من أجل ماضيها معك ! »**

فقال الكيمياوى مزمجرا : « لست راغبا فى فضتك ، ولكن الوغد الذى على شاكلتك لا يتورع عن ارتكاب الذنب ثانية ،

اذا لم يخسر نقودا جزاء زلتـه .. لسوف آخذ هذه الفضـة لأنفقها فى أوجه البر »

وصر «التايلات» الثلاثمائة فى كيسه ، ثم استدعى محظيته وخدمه ، وأمرهم بنقل متاعه الى القارب الذى كان قد أقبل فيه ، فى اليوم السابق .. وقال وهو محنق ، عند انصرافه :
« أبدا لم أتلق فى حياتى مثل هذه الاهانة .. ايها العبد الوقح !»

وظل يسب ، طيلة الطريق الى القارب ، الذى أقلع بمجرد أن استقروا فيه

* * *

• **وكان** « بان » ــ فى تلك الاثناء ــ فى خوف من أن يقتل الكيمياوى محظيته ، حتى انه شعر بارتياح لما آل اليه الأمر ، بالرغم مما فقد من مال . وكان يوقن حقا بأن تحول الفضة ، التى كانت فى القدر ، الى دخان ، انما كان نتيجة ذنبه هو . ومن ثم فقد راح يقول لنفسه : « لقد كنت عجولا .. ولو اننى تريثت حتى تم تكون حجر الفلاسفة ، ثم تحايلت على استبقاء الغانية أمدا .. او لو اننا مارسنا متعتنا بعيدا عن المعمل ، لسارت الأمور كما كان ينبغى لها ان تسير .. ان تعجلى هو الذى أفقدنى فضتى . مـا أتعس ان يلتقى المرء بكيمياوى صادق ، ثم يخفق فى الحصول على حجر الفلاسفة ! .. ومع ذلك ، فقد كانت مغامرة رائعة ! »

**ولم يخطر بباله قط انه انساق لخدعة بارعة ! .. وذلك لأن الكيمياوى لم يكن سوى محتال ، بلغه ماكان من أمر «بان» مع الكيمياويين . فلما علم بأنه قادم الى ( هانكاو ) ، عقد عزمه على أن يزعم انه كيمياوى ، ليسعى الى التغرير به .**
وحرص على أن يطيل من أمد الحيلة ، ريثما يزرع الثقة فى نفس « بان » ، حتى اذا أقبل الخادم الذى أعلن اليه موت أمه ، حمل معه الفضة ، التى كان قد أوهم « بان » بأنهـا فى

القدر ، والتى كانت قيمتها ألفى «تايل» .. وترك محظيته فى رعاية « بان » ، ليهدىء من وساوسه . وما كان اغواء الغانية الا خطة مدبرة كذلك ، لكى يلقى اللوم كله على عاتق « بان » ، حتى يشعر بأنه مذنب ، فلا يطالب بتعويض عن ثروته التى تبخرت فى القدر ! .. وتردى التعس فى الشرك ، وهو موقن بأن الغريب الغنى كان يمتلك حجر الفلاسفة . **وما درى أن ما ظنه ذهبا وفضة — من أوعية واوانى ذلك الغريب — لم يكن سوى نحاس وقصدير ، ولكنها طليت ببراعة .. وما كان لامرىء يعاقر الخمر ، على ضوء المصباح ، أن يفكر فى فحص معدن الكأس !**

**وهكذا استدرج الى الشرك فى مهارة !**

على ان ( بان ) ابى ان يفقد الامل ، حتى بعد أن فقد ماله .. فراح يلوم نفسه على أن ضيع فرصة ذهبية كهذه ، وازداد انغماسا فى الايمان بالكيمياء ! .. وقدر له أن يلتقى — ذات يوم — بكيمياوى تحدث اليه فى فن النساك ، فاطمأنت نفسه الى هذا الغريب ، اذ لمس فيه طيبة ، ودعاه الى داره

وقال « بان » للرجل : « لقد التقيت يوما برجل كان قديرا على ان يحول المعادن الخسيسة الى ذهب حقا ، وقد أرانى كيف كان يفعل ذلك ، وشرع فعلا فى تكوين حجر الفلاسفة لى . ولكننى — لسوء الطالع — أسأت اليه ، ومن ثم فقد خلفنى دون أن يتم عمله ! »

فقال الغريب : « بوسعى انا الآخر أن أفعل ذلك »

وشرع يمارس العملية ذاتها ، ثم ذر حفنة من مسحوق على القصدير ، فاستحال فضة . واذ ذاك هتف بان : «مرحى ! .. لقد أخفقت فى المرة السالفة ، ولكننى عاقد العزم على أن أفوز فى هذه المرة ! »

**وجمع الف « تايل » اخرى من الفضة ، لهذا الكيمياوى الذى استدعى رجلين أو ثلاثة — من أتباعه — لمعاونته . وكان**

**(( بان )) قد اطمأن اليه ـ بغباء ـ بعد أن رآه قد صنع الفضة بسهولة ، فلم يحرص على مراقبته ، ومن ثم أتيح للغريب أن يفر ذات يوم ، حاملا معه كل ما كان فى القدر ، ولم يعرف له ـ فى اليوم التالى ـ أثرا !**

وكانت هاتان الخديعتان كافيتين لأن توردا (( بان )) موارد الأفلاس ، وان تورثاه الخزى والسخط . فراح يندب حظه قائلا : (( ياالضيعة ما أنفقت فى هذه السبيل من وقت وجهد !.. لقد كنت الملوم فيما جرى ، فى المرة السابقة ولكننى ظننت ـ فى هذه المرة ـ أن الأمور تجرى فى يسر ، فاذا بى مغتر مخدوع! .. فلأسع بحثا عن هـذين المحتالين ، فلا بد انهما يمارسان عين الحيل فى مكان ما .. او لعلى ملاق كيمياويا صادقا يبصرنى بطربقة صنع حجر الفلاسفة ! ))

ومن ثم فقد حزم بعض الثياب ، وانطلق يجوس خلال البلاد !

* * *

• **وفى** ذات يوم ، التقى بالعصابة ، فى حشد من الناس ، بجوار البوابة الغربية لمدينة ( سوتشاو ) ، فلما هم بأن يفضح أمرهم ، أقبلوا عليه يحيونه فى بشر ومودة ، وكأنه صديق حميم ، ثم دعوه الى مائدة نظيفة فى حانة كبيرة ، وأمروا بطعام وخمر . وبادروه بالاعتذار عما أسلفوا ، قائلين : (( لقد استغللنا كرمك وطيبتك ـ فى المرة السالفة ـ ولكن هذا ديدننا ، فلا تحنق ولا تحمل ضغينة . وبودنا الآن أن نتباحث فى الطريقة التى نوفيك بها حقك ، ونصلح ما أفسدنا ! ))

فتساءل : (( ترى ما الذى تضمرون ؟ ))

**ـ لقد انفقنا فضتك ، بمجرد أن استولينا عليها ، ولهـذا فلن يكون بوسعنا أن نردها اليك ، على أن ثمة رجلا غنيا فى**

( شانتونج ) ، سألنا ــ هو الآخر ــ أن نصنع له حجر الفلاسفة، وقد اتفقنا معه ، وسيسلمنا الفضة بمجرد وصول معلمنا ، غير ان المعلم غائب فى سفر طويل ، لاينتظر أن يؤوب منه الا بعد مدة من الزمن . فاذا شئت ان تحل محله ، فسندفع اليك حقك ، بمجرد ان يسلمنا الغني فضته . والأمر ــ كما ترى ــ سهل بسيط . اما اذا رفضت ، فلن يكون بوسعنا أن ندفع لك أى مبلغ ، مهما يكن ضئيلا .. فما قولك فى هذا ؟

ــ وما شكل معلمكم هذا ؟

ــ انه ناسك ، ومن ثم فلا بد لك من أن تقص بعض شعرك .. وسنسافر فى معيتك كتلاميذ لك ، الى ( شانتونج ) .

ووافق « بان » ــ فى تلهفه على استرداد فضته ــ على أن يقص شعره . ثم أخذ الرجال يظهرون له كل احترام وتبجيل، ورافقوه الى ( شانتونج ) ، حيث قدموه الى الرجل الغنى ، على أنه معلمهم . فاستقبله الرجل فى اجلال ، ودعاه الى الجلوس فى القاعة ، ليتدارسا الكيمياء . ولما كان « بان » واسع الاحاطة بهذا الموضوع ، كما كان متعلما فانه راح يتحدث فى دراية وافاضة ، حتى تأثر مضيفه بحديثه وشخصيته . وفى الليلة ذاتها ، قدم الغنى الغى « تايل » من الفضة ، واستقر الأمر على أن يبدأ العمل فى اليوم التالى .

ودعا صاحب الدار ضيفه ــ بعد ذلك ــ الى الشراب ، حتى اذ ثمل ، أمر بأن يحمل الى مرقد فى غرفة داخلية . فلما اقبل الفجر ، أخذ المحتالون يتباحثون فى طريقة اشعال النار فى الفرن . ولما كان « بان » على بعض الملام باجراءاتها ، فانه لم يلبث أن أدلى بدلوه فى البحث ، وأخذ يوجههم . ثم وضعت الفضة فى القدر لتنصهر ، وأخذ الرجال ــ الذين كانوا يزعمون انهم تلاميذ « بان » ــ فى مراقبة النار ، بينما انتحى صاحب الدار ببان جانبا ، وراح يجاذبه أطراف الحديث ، ويقدم له الشراب ، حتى لا يدع له طريقا للانصراف . واذا بالاوغاد

**ينتهزون هذه الفرصة ليسرقوا الفضة ويهربوا بها ، تاركين « استاذهم » وحده ! .. ولم تداخل رب الدار الغنى أية هواجس ، لأن « الناسك » - أى « بان » - كان باقيا معه . ولكنه عندما فطن - فى اليوم التالى - الى غياب العصبة بأسرها ، أمسك ببان ، وراح يهدده بأن يسوقه الى الحاكم ، ليشى بالآخرين :**

وبكى « بان » قائلا فى احتجاج : « اننى من ابناء ( سونجشيانج ) ، ولا انتمى الى عصابتهم . ولكننى مشغوف بالكيمياء ، وقد استطاعوا ان يخدعونى من أمد غير طويل فسلبونى بعض المال . ثم قدر لى ان التقى بهم فى الطريق ، فوعدونى بأن يردوا الى مالى ، بعد أن يصنعوا لك حجر الفلاسفة . على أن اقص شعرى واتظاهر بأنى « استاذهم » ومعلمهم . ومن ثم جئت الى هنا ، على أمل أن أسترد نقودى ، دون ان يخالجنى أتفه ظن فى أنهم قد يغررون بى ثانية ، وان يخدعوك ويوقعونى فى المأزق »

وراح يجهش بالبكاء طويلا فأقبل الغنى يسأله فى عناية ، وما ان تبين أن « بان » كان من ثراة ( سونجشيانج ) فعلا ، حتى تذكر أنه كان على اتصال بأسرته فى زمن مضى ، فصدق انه مخدوع مثله ، وقرر ان يخلى سبيله دون أن يسوقه الى الحاكم . واضطر « بان » - الذى لم يكن يملك نفقات السفر والذى كان فى زى النساك - الى ان يتخذ طريقه الى بلده مستجديا قوته ، متظاهرا انه من الرهبان الجوالين

* * *

• **واذ** بلغ فى سيره (لينجشينج) ، لمح حسناء تسترق النظر خلال فرجات الستائر المسدلة على احدى نوافذ سفينة كبيرة . وبدا له وجهها مألوفا ، فأنعم النظر فيه ، واذا به يتبين انها شديدة الشبه بمحظية الكيمياوى ، التى عشقها يوما . فساءل



نفسه : « أفمن المعقول أن تكون هى ؟ »

واقترب من السفينة ، وراح يستعلم عن الحسناء ، فعلم انها غانية ذائعة الصيت ، ترافق شابا متعلما من ( هونان ) ، فى طريقه الى العاصمة ليؤدى امتحانا كى يلتحق بخدمة الحكومة . وعاد « بان » يفكر فى سريرته : « أيجوز أن الكيمياوى قد باعها للشاب ؟ .. من المحتمل أن لا يعدو الامر مجرد الشبه ! »

**وراح يتسكع قريبا مع السفينة ، وهو يراقب المرأة ، حتى أبصر بخادم تخرج من قمرتها ، فتقترب منه وتسأله : « ان مولاتنا تسأل عما اذا كنت من سونجشيانج ! » فأجابها : « أجل »**

— وهل تدعى « بان » ؟

— حقا .. فكيف عرفت اسمى ؟

وما ان عادت لسيدتها بالنبأ ، حتى أمرتها قائلة : « سليه أن يصعد الى هنا ! » .. فصعد « بان » الى السفينة ، وسار الى القمرة . واذ ذاك ، قالت له المرأة من وراء ستار : **« اننى المرأة التى كان الكيمياوى يزعم انها محظيته . والواقع اننى غانية من حى الهوى فى ( هونان ) ، ولكنه سألنى ان ألعب ذاك الدور ، وأن أنفذ تعليماته ، وأعاونه على خداعك . ويخيل**

**الى اننى ارتكبت بهذا شرا . والا ، فكيف انحدرت بك الحال الى هذا الدرك ؟ »**

وروى لها « بان » ـ وهو محزون ـ كيف انه وقع فريسة للخداع ، مرة ثانية ، وكيف انه يستجدى قوته ، ساعيا الى بلده . فقالت المرأة : « لايسعنى سوى أن آسف لحـــالك ، وسأعطيك مبلغا يكفى لنفقات الطريق ، فيحسن بك ان تسعى الى بلدك لفورك . واذا قابلت فى طريقك بعض الكيمياويين ، فلا تدعهم يغررون بك ، فقد بت أعرف حيلهم ومكرهم ، بعد أن شاركتهم اياها . ولو انك تقبلت نصيحتى ، لأشعرتنى بأننى قد وفيتك بعض الجزاء ، عما أذقتنيه من ليالى الهوى ! »

وامرت خادمها بأن تعطيه كيسا به ثلاث أوقيات من الفضة ، فتقبل « بان » العطية شاكرا . ومع انه علم انها لم تكن سوى مومس ، الا انه عرف لها صنيعها اذ ساعدته على العودة الى بلده ، فتقبل نصحها ، ولم يعد يركن الى الكيمياويين قط !

بيد انه خرج من التجربة وقد قص شعره ، وجلل بالخزى ، وبات أضحوكة كل أصدقائه الذين سمعوا بمغامراته الخائبة .

**فليكن هذا درسا لكل من يغتر بالكيمياء !**




# السيف العجيب!

قصة "كلاسيكية" للأديب الصيني الأكبر "لو شون"

**لا يزال الأدب الشعبى الصينى القديم ، مصدر الهام لأدباء العصر الحديث . وهذه القصة أسطورة عريقة ، تناولها (( لو شون )) ـ أب الأدب القصصى الحديث فى الصين ـ بقلمه المبدع**

## (١)

• لم يكد (( ميى ـ تشيين ـ تشيه )) يرقد الى جوار امه حتى أثارت أعصـــابه الجرذان التى خرجت من جحورها وراحت تقرض الغطـــاء الخشبى المستقر فوق وعاء الماء . وأصدر بعض أصوات كان لها أثر فى ارهاب الفئران ، فى بداية الأمر ، ولكنهـــا لم تلبث أن آثرت تجاهلها ، وراحت تقرض وتمضغ ماشاء لها مزاجها .. فى حين أنه لم يكن يجرؤ على أن يحدث ضجة لطردها ، خشية أن يوقظ أمه التى كانت قد أنهكت نفسها بالعمل خلال نهار ذلك اليوم ، حتى انهـــا سرعان ما راحت فى سبات عميق ، بمجرد أن أسلمت رأسها الى الوسادة !

وهدأت الأصوات بعـــد وقت طويل .. وكاد (( ميى ـ تشيين ـ تشيه )) أن ينام ، عندما انبعث فجأة صوت سقوط جسم فى ماء ، فعاد يفتح عينيه ، بينما تناهى الى اذنيه صوت احتكاك مخالب بجدار من الفخار

وهتف لنفسه ! (( وى ! .. ليتخطفك الشيطان ! )) . ثم استوى جالسا ، وهو جذلان طروب . وتسلل مغادرا السرير ، ثم تلمس طريقه ـ على ضوء القمر الواهن ـ الى ما وراء الباب ، حيث عثر على القداحة ، فاستعان بها فى اشعال عود من الخشب ، وأرسل الضوء على وعاء الماء .. **وظهر بجلاء قاطع ان فأرا كبيرا كان قد سقط فيه ! .. ولما لم يكن ثمة ماء كثير ، فأن الفأر لم يســـتطع أن يرقى الى حافة الوعاء ، بل راح يدور بداخله ،**

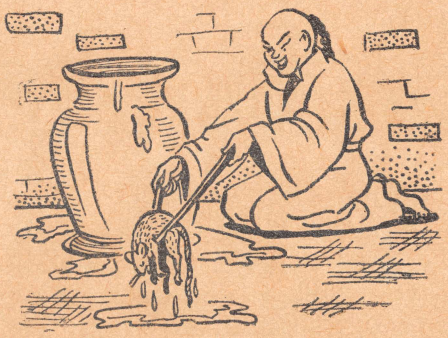
**محاولا أن ينشب مخالبه فى جداره .. وهتف الفتى : (( انه لجزاء وفاق تستحقه ! )) . وشعر بسرور ضاف عندما تذكر ان تلك المخلوقات التى اعتادت أن تقرض الأثاث ـ فى كل ليلة ـ كانت تقض مضجعه بجلبتها .**

وثبت المشعل فى ثقب بالجدار الطينى ، ليستمتع بالمنظر . ولكنه سرعان ماشعر بالتقزز لمرأى عينى الفأر الشبيهتين بـ (( الخرزتين )) .. وبحث عن قصبة من الغاب المجفف ، فدفع بها الحيوان الى ما تحت سطح الماء . ثم رفع القصبة بعد زمن ، فاذا الفأر يطفو ويدور ، وهو يخمش جدران الوعاء ، من جديد .. على ان خمشه هذا أصبح أضعف من ذى قبل ، كما ان عينيه كانتا تحت سطح الماء .. لم يكن يرى من وجهه سوى ذؤابة انفه المدبب الصغير .. وكانت حمراء ، تتنسم وتتشمم فى يأس !

وكانت قد راودته ـ فى الآونة الأخيرة ـ كراهية بالغة لذوى الانوف الحمراء . ومع ذلك فقد بدا له منظر هذا الأنف ـ المدبب الصغير الأحمر ـ مثيرا للاشفاق ، ومن ثم فانه تناول القصبة من جديد ، ودفعها تحت بطن الفأر . فتشبث هذا بها ، وبعد أن استرد أنفاسه ، اخذ يتسلقها . وعندما أصبح جسده ظاهرا بأكمله ـ بفرائه الأسود المخضل ، وبطنه المنتفخة ، وذيله الشبيه بالدودة ـ بدا المنظر للفتى مثيرا للتقزز والغثيان فبادر الى هز القصبة ، وكان ان هوى الفأر ثانية ، مرتطما بسطح الماء . وراح الفتى يضربه مرارا على رأسه بالقصبة ، لكى يغرقه .

وبعد أن بدل العود المشتعل ست مرات ، لم يعد الفأر يقوى على الحراك ، واخذ يطفو فى وسط الجرة ، ورأسه تحت الماء .. وكان يشد عضلاته قليلا ـ من وقت الى آخر ـ محاولا أن يرتفع فوق سطح الماء . **ومرة أخرى استولى الاشفاق على (( ميى ـ تشيين ـ تشيه )) ، فكسر القصبه الى فرعين ، وتصيد بهما**

**الفأر المسكين ، وانتشله فألقاه على الأرض . ولم يحر الحيوان حراكا - بادىء ذى بدء - ثم شهق .. وبعد فترة طويلة ، اختلجت أقدامه الأربع ، وانقلب كما لو كان يسعى للوقوف على قوائمه والاعتدال ..** وبدل هذا اشفاق « ميى - تشيين - تشيه » الى اشمئزاز ، فرفع قدمه اليسرى ، وهـوى بها عنيفا .. وانبعث صوت انسحاق . فلما انثنى لينظر الى الفأر ، اذا بدم قد انبثق من جانبى فمه .. وكان من المحتمل انه قد مات !



وشعر بأسى من أجله - مرة أخرى - فداخله شقاء ، كما لو انه كان قد ارتكب جرما . وأقعى الى جوار الفأر ، دون ان يقوى على النهوض .

* * *

• **ولكن** امه استيقظت فى هذه المرة . وتساءلت وهى بعد فى فراشها : « ماذا تفعل يابنى ؟ »

فنهض متعجلا ، واستوى على قدميه ، واستدار ايجيب بايجاز : « فأر ... »

- فأر ؟! .. أجل ، أننى لأدرك ذلك ، ولكن ماذا تفعل ؟..

اتقتله ، أم أنك تنقذه ؟

ولم يحر جوابا . وحرقت النار عود المشعل عن آخره . وظل الفتى واقفا ساكنا – فى الظلام – ريثما تعودت عيناه ضوء القمر الشاحب . فتنهدت أمه ، وقالت :

**– ستصبح فى السادسة عشرة من عمرك ، بعد منتصف الليل ، ومع ذلك فانت لا تزال لين القلب . انك لا تتبدل قط ، حتى ليبدو لى أن أباك لن يحظى بمن يثأر له !**

وبدا له أن أمه – فى جلستها ، فى ضوء القمر الواهن – كانت ترتجف بكل جسمها ، وان فى لهجتها وصوتها الخفيض أسى لاقرار له ، فسرت فى جسده قشعريرة ، ثم شعر – فى اللحظة التالية – بالدم الحار يتدفق فى عروقه . وتساءل فى عجب ، وهو يتقدم نحوها : « الثأر لأبى ؟ .. وهل هو بحاجة الى ثأر ؟ »

**– أجل ، ولا بد من أن تثأر له أنت . لقد وددت أن انبئك منذ أمد طويل ، ولكنك كنت جد صغير ، فلم أبح لك بشىء . انك لم تعد بعد طفلا ، ومع ذلك فأنت لاتزال تتصرف تصرف الأطفال ، ولست أدرى – فى الواقع – ماذا ينبغى أن أفعل .. كيف يتسنى لطفل مثلك أن يؤدى مهمة كهذه خليقة بالرجال ؟**

– اننى استطيع أن اؤديها . أنبئينى يا أماه .. لسوف أبدل من حالى ...

– لامراء فى أن بوسعى أن أنبئك ، وأن عليك أن تبدل حالك .. لابأس ، اقترب منى !

فسار اليها .. وكانت تجلس جامدة فى السرير ، وقد راحت عيناها تومضان فى العتمة التى لم يكن يشقها سوى ضوء القمر الشاحب

وقالت فى لهجة المقدم على حديث خطير : « انصت ! .. كان أبوك ذائع الصيت ، لما كان يصنعه من سيوف .. كان خير حداد فى البلاد ! .. ولقد اضطررت الى بيع عدده وأدواته ، حتى ادرأ

عنك وعني قسوة الجوع ، لذلك لم يتبق منها شيء تراه . على أنه كان أحسن صانع للسيوف فى الدنيا بأسرها ! .. وحدث منذ عشرين سنة ، أن واتى المخاض محظية الملك ، فولـدت قضيبا من حديد . وكان حديدا نقيا ، شـفافا ! .. وأدرك الملك أن هذا كنز نادر ، فعقد العزم على ان يصنع منه سيفا يذود به عن مملكته ، ويقتل به اعداءه ، ويحمى به نفسه !.. وشاء نحس الطالع أن يختار أبوك للقيام بهذه المهمة ، فأحضر قطعة الحديد الى البيت . وراح يطرقها ويعالجها ليل نهار ، لثلاث سنوات ، حتى استطاع أن يصوغ منها سيفين !

« وفى ذات يوم ، فتح فرنه للمرة الأخيرة ، فاذا بشيء مروع يحدث ! .. فقد اندفع من الفرن عمود من البخار الأبيض ، انطلق فى الهواء ، فاذا الارض تتزلزل . وتحول البخار الأبيض الى سحابة بيضاء صغيرة ، انتشرت فوق هـذه البقعة ، ثم أستحال أونها تدريجا الى أحمر عميق الحمرة ، القى وهجا على كل شيء . وفى فرننا الأسود ، استلقى سيفان أحمران لفرط سخونتهما . واذ نثر أبوك عليهما ماء صافيا من البئر ، انبعث منهما أزيز ، وظهرت على سطحيهما فقاقيع ، ثم تحول لونهما تدريجا الى الزرقة ! .. وبعد ان تكررت هذه العملية سبعة أيام وسبع ليال ، اختفى السيفان ، وما كان بوسعك ــ مالم تنعم النظر جيدا ــ أن ترى انهما كانا فى الفرن ، ولكنهما أصبحا نقيين ، شفافين ، كعمودين من الثلج !

« وانبعث من عينى أبيك بريق نم عن سعادة ضافية . وتناول السيفين فراح يطرقهما مرارا وتكرارا . وانجابت عن جبينه تغضنات الأسى ، واختفت التجعدات من جانبى فمه. ثم وضع السيفين فى قرابين . وقال فى صوت خافت : **«يكفى أن تستعرضى الأحداث التى مرت فى الأيام القلائل الأخيرة ، لتدركى أن كل امرىء جدير بأن يعرف ان السيفين قد صيغا. ولا بد لى من أن أقدم أحدهما الى الملك غدا . ولكن اليوم الذى**

**أقدمه فيه ، سيكون آخر أيام عمرى . وأخشى انه لن يقدر لنا أن نلتقى ثانية ! »**

« ولم أستبن معنى كلامه ، لفرط جزعى ، ولا دريت ما كان ينبغى لى أن أقول .. كل ما وقفت اليه ، هو أن تمتمت قائلة : « لقد أتقنت هذا العمل كل الاتقان ! »

« فهتف أبوك : **« آه ! .. انك لاتفقهين شيئا ! .. لقد عاش الملك دائما فى شك وقسوة . ولقد صنعت له الآن سيفا لن تقع عين على مثيل له . ومن ثم فهو خليق بأن يقتلنى ، حتى لاأوفق قط الى صوغ سيف آخر لأى مخلوق قد يظهر وينافسه أو يتغلب عليه ! »**

وذرفت الدمع مدرارا ، فقال : « ليس لك أن تشقى ، فما من مفر هناك ، ولن تمحو الدموع القدر المكتوب لقد ظللت أتوقع هذا أمدا طويلا » .. وكأنما كانت عيناه تطلقان شررا لامعا ، وهو يضع قرابا على ركبتى ــ وبه أحد السيفين ــ قائلا : « هاك واحدا من السيفين التوأمين ، لتحتفظى به . لسوف آخذ قرينه غدا لأقدمه الى الملك . فاذا لم أعد ، جاز لك أن توقنى من اننى قد لاقيت حتفى !.. او لن يواتيك المخاض بعد أربعة أشهر أو خمسة ؟.. اذن ، فلا تستسلمى للبؤس ، بل أعنى بجنيننا حتى تضعيه فى خير حال . وبمجرد أن يكبر ، اعطيه هذا السيف واطلبى اليه أن يقطع به رأس الملك ، ليثأر لى ! »

* * *

**. وهنا** تساءل الفتى فى عجلة : « هل عاد أبى فى ذلك اليوم ؟ »

فأجابت أمه وهى رابضة الجاش : « لم يعد ! .. ولقد سألت عنه فى كل مكان ، ولكنى لم أعثر على نبأ عنه . على أن شخصا ما أخبرنى ــ فيما بعد ــ بأن دم أبيك بالذات كان أول دم خضب السيف الذى صاغته يداه ! .. ولقد

دفنوا جسمه عند الأبواب الخارجية لقصر الملك ، ودفنوا رأسه في الحديقة الخلفية ، حتى لايرتاد شبحه القصر ! »

**وكأنما تأججت نار ضارية فى جسد (( ميى - تشيين - تشيه )) بأسره ، حتى لقد خيل للفتى ان الشرر كان ينبعث من كل شعرة فى رأسه . وأخذ يضم قبضتيه بعنف فى الظلام ، حتى كادت مفاصلهما أن تتمزق !**

ووقفت أمه فرفعت اللوح الخشبى القائم عند رأس السرير ، ثم اوقدت مشعلا ، وتناولت معولا - من وراء الباب - فأسلمته الى ابنها ، وقالت له : « احفر ! » .. وراح قلب الفتى يدق فى عنف ، ولكنه تمالك جأشه وأخذ يهوى بالمعول .. دقة اثر دقة . وظل يرفع التراب الأسمر ، حتى تعمق الى اكثر من خمس أقدام ، واذا بلون التربة يتبدل ، كما لو كان ثمة خشب بال قد دفن فيها !

وهتفت امه : « حذار ! .. تمهل هنا والزم الحذر ! »

وجثا « ميى - تشيين - تشيه » الى جوار الثغرة التى أحدثها ، ومد يده الى جوفها . وفى انتباه وحرص بالغين ، راح يرفع الخشب ، حتى مست أطراف أصابعه جسما فى برودة الثلج .. وتبدى لعينيه السيف النقى الشفاف . واستطاع أن يتبين مقبضه فأمسك به ، ورفع السيف الى خارج مخبأه .

**وفى تلك اللحظة ، بدا كأنما فقد القمر والنجوم - فى الخارج - والمشعل المتقد - فى الداخل - ضياءها ، وكأنما شاع فى الدنيا نور فولاذى ! .. وفى هذا النور الفولاذى ، ذاب السيف ، فكأنه اختفى عن العيان . ولكن الفتى أنعم النظر ، فرأى جسما يتجاوز طوله خمس أقدام ، لا يبدو مرهف النصل .. بل لقد كان نصله ملتف الحد ، فى الواقع .**

وقالت امه : « الآن وجب عليك أن تكف عن ليونتك وضعفك ، وأن تأخذ هذا السيف فتثأر لأبيك ! »

**ـ لقد كففت فعلا عن أن أكون لينا ضعيف القلب . ولسوف آخذ هذا السيف فأثأر لأبى !**

ـ هذا ما أرجوه . ويحسن بك أن ترتدى معطفا أزرق ، وأن تشد السيف الى ظهرك . فان انسجام لونى السيف والمعطف ، لن يمكن أحدا من أن يراه . ولقد أعددت لك المعطف هنا !

واشارت الأم الى صندوق عتيق وراء السرير ، وقالت : « ولك أن ترحل منذ الغد .. ولا تحمل هما من أجلى ! »

وأخذ « ميى ـ تشيين ـ تشيه » المعطف ، فلما ارتداه وجده ملائما له تمام الملاءمة . وعاد فخلعه . ثم لف السيف ووضعه تحت وسادته ، ورقد بسلام . وأيقن انه قد كف عن ليونته ورقة عواطفه . وعول على أن يطرد عن رأسه كل خاطر ، وأن يستغرق فى النوم ، حتى اذا أقبل الصباح ، استيقظ كعادته ، ورحل فى شجاعة واعتداد ، سعيا وراء عدوه اللدود !

بيد انه لم يستطع أن ينام ، بل راح يتقلب ويتململ ، وقد تولته رغبة طاغية فى أن ينهض من مرقده . وأخذ ينصت الى تنهدات امه وزفراتها وهى تنبعث فى رفق .. زفرات حرى ، طويلة . ثم سمع اول صياح للديك ، فأدرك ان اليوم الجديد قد أقبل .. وانه قد أصبح فى السادسة عشرة من عمره !

( ٢ )

• **عندما** اجتاز « ميى ـ تشيين ـ تشيه » باب البيت ـ دون أن يلقى نظرة خلفه ـ لم يكن ثمة اثر لضوء فى الجانب الشرقى .. وكانت عيناه متورمتين ، وقد ارتدى المعطف الازرق ، بعد ان شد السيف الى ظهره ، ويمم شطر المدينة بخطوات واسعة . وكان هواء الليل لا يزال متواريا فى قطرات الندى العالقة بأطراف أوراق الشجر فى غابة الصنوبر . ولكنه لم يكد يبلغ الطرف الأقصى من الغابة ، حتى كانت قطرات

النـدى تتلألأ ببريق أنوار الفجر الذى انبثق .. واستطاع ان يرى على البعد معالم اسوار المدينة المحصنـة ، تقوم كأشباح سمراء قاتمة !

**وولج بوابة المدينة ، وسطباعة الخضر ، فاذا الطرقات تعج بالحركة والنشاط رغم البكور . وكان الناس يقفون فى جماعات، دون عمل ، بينما كانت النسوة يطللن من وراء ابواب الدور ، بين آن وآخر .. وكانت عيون معظمهن لا تزال منتفخة بآثار النعاس ، وشعورهن مهوشة غير مرجلة ، ووجوههن شاحبة لأن الوقت لم يتسع كى يخضبنها بالحمرة !**

وحدس « ميى ـ تشيين ـ تشيه » أن ثمـة حدثا كبيرا يوشك أن يقع .. حـدث كان كل هؤلاء القوم ينتظرونه فى لهفة .. وفى صبر ، فى الوقت ذاته !

واذ سار قليلا ، اندفع طفل بجواره ، فكاد يصطدم بذؤابة السيف المشدود الى ظهره ، فتفصد العرق باردا من جسمه.

ويمم شطر الشمال ، غير بعيد عن قصر الملك ، فوجد الناس محتشدة ، مصطفة ، مشرئبة الاعنـاق نحو الطريق . وكانت صيحات النساء وصراخ الأطفال تتعالى وسط الجمع .. ولم يجرؤ على ان يشق لنفسـه سبيلا وسط القوم ، خشية أن يؤذى أحدا بسيفه . ولـكن الناس كانوا يتدافعون من ورائه فيدفعونه قدما .. واضطر الى أن يتنحى عن طريقهم ، وان يفسـح لهم ، حتى لم يعـد يرى سوى ظهور مدبرة ، وقـد اشرأبت أعناقها .

وعلى حين غرة ، ركع الذين كانوا فى الصفوف الأمامية تباعا. واستطاع أن يرى على البعد فارسين يتقدمان جنبا الى جنب ، يتبعهما المحاربون وقد حملوا هراواتهم ، ورماحهم ، وسيوفهم ، وقسيهم ، وأعلامهم ، وأثاروا حولهم سحابة من الغبار . وجاءت خلفهم مركبة كبيرة تجرها أربعة من الجياد ، وقد جلست فيها فرقة من الموسيقيين تدق نواقيس وطبولا ، وتنفـخ فى بعض

الآلات الموسيقية الغريبة . وأعقبتها مركبات أقلت أفراد الحاشية فى ثياب زاهية ، كما أقلت شيوخا وأفرادا قصارا مكرشين ، وقد جلل العرق وجوههم ! .. وتبع هؤلاء فرقة من الفرسان ، يحملون سيوفا ، وحرابا ، ورماحا . واذ ذاك سجد الناس الراكعون . وأبصر « ميى — تشيين — تشيه » مركبة كبيرة ، ذات مظلة صفراء ، وقد توسطها رجل بدين فى ثياب زاهية . وكانت له لحية شيباء ، ورأس صغير ، ولاح انه كان يتمنطق بسيف يشبه السيف الذى كان مشدودا الى ظهره .

**وسرت فى جسد الفتى قشعريرة ، وقد تولته رهبة غريزية ، ولكنه سرعان ما أحس بالنار تتأجج فى كيانه ، وكأنما كان لها لهب يلفحه . ومد يده ليقبض على السيف المشدود الى ظهره ، وهو يشق لنفسه طريقا ، بين الرقاب ، وبين الجاثين . ولكنه لم يكن قد تقدم اكثر من خمس خطوات أو ست ، عندما أوقعه شخص ما ، فهوى بطوله على شاب ذى وجه أعجف ! ..** وخشى أن تكون ذؤابة السيف قد آذته ، فنهض بسرعة وانفعال ، واذا به يتلقى لكزتين فى ضلوعه .. ولم يحفل بأن يحتج ، بل بادر ينظر الى الطريق من جديد ، ولكنه وجد أن المركبة ذات المظلة الصفراء قد تجاوزت البقعة التى كان يقف فيها .. حتى الفرسان الذين كانوا وراءها ، ابتعدوا عن المكان !

* * *

• **ونهض** القوم الذين كانوا على جانبى الطريق . وكان الشاب ذو الوجه الأعجف قد ظل قابضا على طوق « ميى — تشيين — تشيه » ، مصرا على أن لا يفلته ، وراح يتهمه بأنه قد هشم ضفيرته العليا (١) ، ويطالبه بأن يتعهد بأن يدفع تعويضا ، اذا قدر له — أى للرجل — أن يموت قبل سن الثمانين ! .. وتجمع

(١) كان أتباع العقيدة « التاوية » يؤمنون بأن الضفيرة التى تتوسط رأسهم ، جزء حيوى من الجسد !

حولهما المتسكعون ، ولكن أحدا منهم لم يقل شيئا .. بيد ان فئة من الواقفين لم يلبثوا أن شرعوا فى القاء بعض النكات الساخرة أو الشتائم ، منحازين الى صف الشاب الأعجف . ولم يدر « ميى — تشيين — تشيه » ما اذا كان يضحك أو يغضب أمام أعداء كهؤلاء . كان الأمر مثيرا للسخط ، ولكنه مع ذلك لم يكن يملك الافلات منه !

ودام المشهد وقتا كافيا لانضاج ملء وعاء من الاذرة . وكان « ميى — تشيين — تشيه » قد فقد الصبر ، فى تلك الأثناء ، وتأججت نار غضبه . ومع ذلك فان المتفرجين لم ينفضوا من حوله ، بل ظلوا يرقبونه دون أن يخف فضولهم . **وما لبث أن شق رجل أسمر لنفسه طريقا وسط عقدهم .. وكانت له لحية سوداء ، وعينان سوداوان ، كما كان عوده ناحلا مسرف النحول . وابتسم ببرود — دون أن ينبس ببنت شفة — فى وجه « ميى — تشيين — تشيه » ، ورفع يده ليدفع بها فك الشاب ذى الوجه الاعجف ، وهو يسدد بصره الى عينيه . وقابل الشاب نظراته بمثلها زمنا ، ثم أفلت طوق « ميى — تشيين — تشيه » رويدا ، وابتعد . وكذلك انصرف الرجل الاسمر .. وانفض الجمع فى استياء .** ولم يتخلف منهم سوى عدد ضئيل ، أقبلوا يسألون « ميى — تشيين — تشيه » عن عمره وعن عنوانه وعما اذا كانت له شقيقات . بيد ان « ميى — تشيين — تشيه » تجاهلهم !

وسار نحو الجنوب ، وقد خطر له أن من السهل — فى هذا الزحام وهذه الحركة اللذين سادا المدينة — أن يصيب بسيفه انسانا ما ، بمحض المصادفة ، ولذلك فمن المستحسن أن يتربص خارج البوابة الجنوبية للمدينة ، ريثما يعود الملك ، واذ ذاك يستطيع أن يثأر لأبيه . فقد كان الفضاء فسيحا هناك ، ولم يكن ثمة أناس كثيرون ، فكان — حقا — خير مكان لما اعتزم أن يفعله . وكان أهل المدينة يتحدثون عن بكرة أبيهم

ـ فى تلك الأثناء ـ عن رحلة الملك الى الجبل ، تصحبه حاشيته، ويحف به جلاله .. وكيف أن بعض الناس قد ذهبوا فى ركوعهم الى حد الانبطاح على الارض ، وكيف أن هؤلاء جديرون بأن يعتبروا من الرعايا المثاليين . كانت المدينة بأسرها تتحدث ، والجو ملىء بطنين كطنين النحل ، فلم يزدد الهدوء الا بالقرب من البوابة الجنوبية !

وسار الى خارج المدينة ، فجلس تحت شجرة توت ضخمة، حيث التهم فطيرتين من الخبز المصنوع على البخار . وراح يفكر ـ أثناء الأكل ـ فى أمه ، فأحس بغصة فى حلقه ، ولكنها لم تلبث أن انجابت فى الحال . وأخذ كل ماحوله يزداد هدوءا وسكينة ، حتى أصبح بوسعه ان يسمع بجلاء تردد أنفاسه .

وكان يزداد قلقا كلما اقترب الغروب ، وراح يمد بصره الى ما أمامه ، ولكنه لم ير أثرا للملك . وأخذ القرويون ، الذين حملوا الخضر الى المدينة ـ فى الصباح ـ ليبيعوها ، يعودون واحدا بعد آخر ، بسلالهم الفارغة . **وبعد أن مر كل هؤلاء الفلاحين بأمد طويل ، أقبل الرجل الأسمر من المدينة ، فى عجلة . وقال وكأنما كان صوته صيحة قنبرة : (( اجر يا ميى ـ تشيين ـ تشيه ، فان الملك يبحث عنك ! ))**

وارتجف ميى ـ تشيين ـ تشيه من رأسه الى قدمه . ثم تبع الرجل الأسمر ، وكأنه مسلوب الارادة ، فاذا بهما يجريان بأقصى ما وسعهما من سرعة . ووقف برهة ليلتقط انفاسه ، فتبين انهما قد بلغا حافة غابة الصنوبر . وكانت ثمة أشعة فضية تبدو فى الطرف الأقصى ، حيث بزغ القمر . ولكن كل ما تبدى للفتى ـ فى البقعة التى كانت أمامه مباشرة ـ هما عينا الرجل الأسمر وقد اتقدتا كالغاز الذى يتصاعد من المستنقعات فيشتعل من تلقاء ذاته !

وسأله الفتى فى خوف وعجب : (( كيف عرفتنى ؟ .. ))

فضحك الرجل قائلا : (( **لقد كنت أعرفك دائما .. وانى**

**لأعرف أنك تحمل سيفا مشدودا الى ظهرك ، لتثأر لأبيك . كما أعرف انك ستخفق . انك لن تخفق فى الانتقام لأبيك فحسب ، ولكن ثمة من وشى بك اليوم فعلا . لقد عاد عدوك الى القصر – منذ وقت طويل – خلال البوابة الشرقية ، وأصدر أمرا بالقبض عليك ! »**

وبدأ « ميى – تشيين – تشيه » يشعر بتعاسة آسية . ثم تمتم : « لا عجب اذن فى أن أمى قد تنهدت ! »

**– ولكنها لا تعرف سوى نصف الحقيقة .. انها لا تعرف أننى سوف أنتقم لك !**

– انت ؟ ! .. أنت راغب فى الانتقام ، أيها الفارس الشهم ؟

**– آه ، لا تهيننى بأن تلقبنى بهذا اللقب !**

– اذن ، فهل ما يحملك على ذلك ، هو عطفك على الارامل والأيتام ؟

فقال الرجل فى لهجة صارمة : **« لا تستخدم كلمات أصبحت اليوم ملطخة ياصغيرى .. ان الفروسية ، والشهامة ، والعطف ، وكل ما اليها من أسماء كانت نقية ، لم تعد اليوم سوى مطية للاستغلاليين .. اننى لا أحفل بكل هذه الأشياء ، فلست أبغى سوى أن أثأر لك ! »**

– حسنا .. ولكن ، كيف ستقدم على هذا الثأر ؟

فانبعث صوت الرجل من تحت عينين متقدتين : **« لست أرغب منك فى غير شيئين .. أى شيئين ؟ .. سأخبرك : أولهما سيفك .. وثانيهما رأسك ! »**

ومع ان « ميى – تشيين – تشيه » رأى الطلب غريبا ، وتردد ازاءه ، الا انه لم يشعر بخوف . ولكنه ظل لحظة لا ينبس ببنت شفة . بينما انبعث الصوت من الظلام متسلطا ، مرة أخرى : **« لا تخش أن أكون راغبا فى ان أخدعك لأسلبك حياتك وكنزك .. ان الأمر موكول اليك تماما . فاذا وثقت بى ، فاننى سأقتل الملك .. واذا أنت لم تثق بى ، فلن أقتله ! »**

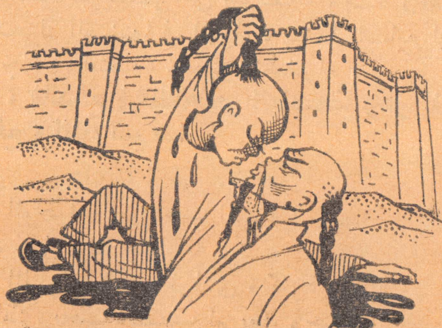
ــ ولكن ، لماذا تعتزم ان تنتقم لى ؟ .. أفكنت تعرف أبى ؟

**ــ عرفته طيلة عمره ، كما عرفتك طوال حياتك ! ..ولكن هذا ليس بالسبب الذى أريد من أجله أن أتولى الانتقام . انك لا تفهم يا بنى مدى براعتى فى الأخذ بالثأر . ان مالك مالى ، وما يهمك يهمنى أنا الآخر . ان نفسى مثخنة بكثير من الجراح التى ألحقها بى الغير ، والحقتها انا بنفسى ، حتى اننى لأبغض نفسى فعلا !**

وما ان توقف الصوت المنبعث من الظلام ، حتى مد ميى تشيين تشيه يده الى السيف الأزرق ، فنضاه عن ظهره ، ومر به ــ بنفس الحركة ــ على قفاه ، فاذا رأسه يهوى على العشب الأخضر ، عند قدميه ، فى نفس اللحظة التى امتدت بها يده بالسيف الى الرجل الأسمر !

* * *

• **وهتف** الرجل : «آه !» .. وباحدى يديه تناول السيف ، بينما أمسك باليد الأخرى بشعر رأس ميى تشيين تشيه ، فرفعه عن الأرض ، وقبل الشفتين الميتتين ــ اللتين كانتا



لاتزالان دافئتين - مرتين ، ثم أرسل ضحكة حادة ، باردة .. واذا الضحكة تسرى - فى الحال - فى غابة الصنوبر .. وسرعان ما أومضت فى أعماق الغابة عيون متقدة ، لم تلبث ان اقتربت سراعا ، حتى لقد كان بوسعك أن تسمع أنفاس الذئاب الجائعة اللاهثة ! .. وبجذبة واحدة ، كانت ثياب ميى تشيين تشيه قد تمزقت تماما عن جسده .. وبنهشة واحدة ، كان لحمه قد اختفى باكمله ، ثم لعق دمه - فى الحال - فلم يبق منه شىء .. ولم يعد يسمع سوى انسحاق العظام تحت الأنياب !

وانقض الذئب الضخم - الذى كان على رأس القطيع - على الرجل الأسمر ، ولكن اشارة واحدة بالسيف الأزرق ، أطاحت برأسه على العشب الأخضر ، فمزقت الذئاب الأخرى جلده بعضة واحدة ، ثم انقضت على جسده فاذا به يتلاشى .. واذا بالدم يلعق فيبقى مكانه نظيفا .. ولم يعد يسمع سوى انسحاق العظام تحت الأنياب !

**والتقط الرجل الأسمر المعطف الأزرق عن الأرض ، ليلف فيه رأس ميى تشيين تشيه ، ثم ربط الحزمة والسيف الأزرق الى ظهره . ونكص - بعد ذلك - على عقبيه ، ثم غاص فى الظلام ، ميمما شطر العاصمة .**

ووقفت الذئاب مسمرة فى أماكنها ، وقد رفعت اكتافها ، وراحت تحرك ألسنتها فى الهواء ، بينما تتابع لهيثها ، وهى ترقب الرجل فى ابتعاده ، بعيون خضراء .

**اما هو ، فاندفع فى الظلام نحو العاصمة ، وهو يغنى فى صوت رفيع مرتفع ، أثناء سيره :**

« غن .. هاى ، ، غن .. هو !
« ان الوحيد الذى أحب السيف
« قد نال الموت جزاء له .
« ان الذين يمضون فرادى ، كثرة وافرة ،
« والذى يحب السيف لم يعد وحيدا !

« عدو بعدو ، ها !.. ورأس برأس !
« لقد لقى رجلان حتفهما بيديهما ! »

(٣)

• لم يهنأ الملك برحلته الى الجبل ، وحمله التقرير السرى الذى نمى اليه - عن وجود قاتل يتربص به - على ان يعود الى المدينة وهو اكثر غما وضيقا من ذى قبل . وكان فى أسوأ مزاج - فى تلك الليلة - فراح يتذمر من كل شىء ، حتى من أن شعر المحظية التاسعة لم يكن فى السواد والنعومة اللذين كان عليهما فى اليوم السابق !.. على انها - لحسن الحظ - قفزت الى ركبته الملكية بطريقة مثيرة ، وراحت تتثنى أكثر من سبعين مرة ، حتى زالت التغضنات عن الجبين الملكى ، رويدا ..

وعند ما استيقظ الملك بعد ظهر اليوم التالى ، كان معكر المزاج مرة أخرى ، فما ان حانت ساعة غدائه ، حتى كان مهتاجا . وزمجر ، وهو يتثاءب وقد فتح شدقيه : « أشعر بضجر ! »

**وأثار ذلك ذعر كل امرىء ، من الملكة حتى مهرج البلاط .. لقد ظل الملك طويلا فى ضجر من مراسم وزرائه القدامى ، ومن الحركات البهلوانية التى كان أقزامه السمان يؤدونها .. بل انه أصبح - فى الآونة الأخيرة - يضيق ببعض الحركات الرائعة ، كالسير على حبل مشدود ، وتسلق الصارى ، وأعمال الشعوذة ، والقفز ، وابتلاع السيف ، ونفث النار من الجوف .. وأصبح يستسلم لنوبات من الغضب والهياج ، كان يذهب فيها الى حد تجريد سيفه ، والبحث عن أتفه الأخطاء ، كى يقتل عددا من الناس !**

وكان ثمة اثنان من عبيد القصر ( الأغوات ) قد تسللا من القصر ليلعبا ، فما ان رأيا - عند عودتهما - الوجوم الذى ساد البلاط ، حتى ادركا ان المتاعب كانت تستفحل من جديد فى

القصر ، ففاض لون احدهما لفرط الخوف . بيد ان الآخر بدا معتدا بنفسه ، فاتخذ طريقه الى الملك فى غير عجلة ، وهناك ، ركع أمامه وقال : « لقد التقى عبدكم – منذ لحظة – برجل عجيب ، نادر البراعة ، بوسعه أن يسرى عن جلالتكم . ولقد جئت لأنبىء جلالتكم بذلك ! »

فقال الملك فى حرص الضنين بكلماته : « ماذا ؟ »

– انه رجل اسمر نحيل ، يبدو كالمتسول ، ويرتدى ثيابا زرقاء ، كما يحمل على ظهره حزمة باللون ذاته ، ولا يفتأ يغنى مرددا مقاطع من قصيدة عجيبة . ولقد سألته عن أمره ، فقال ان بوسعه أن يقوم بألاعيب رائعة ، لم يشهد أحد لها مثيلا من قبل .. وليس فى الدنيا ما يضارعها ! .. ان منظرها كفيل بأن يضع حدا للهموم ، وان يضفى على الدنيا دعة وسلاما . ولكنه يرفض أن يؤدى هذه الألعاب ، اذا طلب اليه احد ذلك ، ويقول انه لا بد من ان يحصل اولا على تنين ذهبى ، وثانيا على قدر ذهبية !

**– انما التنين الذهبى أنا (١) . أما القدر الذهبية ، فلدى واحدة !**

– هذا ما حدسه عبدكم ...

**– اذن ، فاحضر الرجل هنا !**

وقبل ان يتلاشى جرس صوت الملك ، اسرع أربعة من الحراس مع الخصى ( الأغا ) الى الخارج . وأشرق وجه كل امرىء – من الملكة حتى مهرج البلاط – بالحبور ، وقد داخلهم جميعا الأمل فى أن يستطيع هذا المشعوذ أن يزيل الهم ، وأن يبسط الوئام .. فاذا قدر للألاعيب ان تمنى بالاخفاق ، فسيتجه سخط الملك وغضبه الى الرجل الاسمر النحيل

---

**(١) كان التنين رمزا للملك فى الصين القديمة**

الشبيه بالمتسولين .. وأوشكوا ان يفقدوا الصبر ، متلهفين على مقدم الرجل !

* * *

• **وسرعان** ما ظهر ستة رجال يهرولون نحو العرش . وكان الخصى فى المقدمة ، يتبعه الحراس الأربعة ، وفى الوسط رجل أسمر . فلما اقتربوا ، تجلى ان الرجل كان يرتدى معطفا ازرق وأن لحيته وحاجبيه وشعره كانت سوداء ، كما انه كان من النحول بدرجة ان عظام وجنتيه كانت بارزة ، بينما كانت عيناه غائصتين فى محجريهما . واذ ركع فى خشوع ، لكي يسجد للملك ، رؤيت على ظهره حزمة ملتفة فى قماش أزرق يتخلله وشى أحمر !

وصاح الملك ، وهو نافذ الصبر : « وبعد ؟ ! »

وكان مظهر الرجل يبدو من السذاجة والبساطة ، حتى ان الملك ارتاب فى استطاعته ان يؤدى أية ألاعيب ذات قيمة . وما لبث الرجل ان قال :

**ـ ان عبدكم يدعى « ين ـ تشيه ـ آو ـ تشه » ، وقد ولد فى قرية ( وينوين ) . ولم أدرب من صغرى على حرفة ما ، ولكننى التقيت ـ حين كبرت ـ بحكيم علمنى كيف أقوم ببعض العمليات السحرية ، مستعينا برأس غلام . على اننى لا أستطيع أن أؤدى ألعابى ما لم يكن ذلك فى حضور تنين ذهبى .. ولا بد لى من قدر ذهبية ، تملأ بماء صاف ، وتوقد تحتها نار من الفحم .. فاذا وضعت رأس الغلام فيها ، وغلى الماء ، فسيأخذ الرأس فى الارتفاع والانخفاض ، وسيرقص فى مختلف الأشكال والأوضاع . كما انه سيرسل اصواتا عجيبة ، وسيضحك ويغنى ! .. وكل من يسمع غناءه ، ويرى رقصه ، لن يعرف للهم مذاقا .. ولو رآه الناس أجمعين ، لساد الهناء الدنيا !**

فصاح الملك بصوت مرتفع : « هيا اذن ! »

ولم تمض لحظات ، حتى جيء بقدر ذهبية ضخمة ، تكفي لسلق ثور ، ووضعت أمام العرش ، ثم ملئت بالماء ، ووضع تحتها فحم أشعلت فيه النار . ووقف الرجل الاسمر الى جانبها ، فلما تحول الفحم الى جمر أحمر ، خلع حزمته عن ظهره ، ووضعها على الأرض وفضها ، ثم التقط رأس الفتى منها ، وأمسك به بين يديه ، ثم رفعه عاليا ، فاذا له حاجبان كثان ، وعينان براقتان ، واسنان ناصعة ، وشفتان حمراوان ، تراقصت عليهما ابتسامة . وكان شعره المشعث اشبه بدخان رقيق !

* * *

• **وظل** الرجل الاسمر رافعا رأس الفتى برهة ، واداره ليراه جميع الحضور ، ثم حمله فوق القدر ، وراح يتمتم بكلمات غير مفهومة . وما لبث ان اسقطه – في النهاية – الى القدر ، فسمع صوت ارتطامه بالماء . وارتفع الزبد الى خمس أقدام ، على الأقل ، ثم سكن كل شيء بعد ذلك !

وانقضت فترة لم يقع فيها شيء ، فبدأ صبر الملك يعيل ، وشرع الذعر يرواد نفوس الملكة والمحظيات والوزراء ( والأغوات ) ، بينما كان الأقزام المضحكون يبتسمون في سخرية . **وما ان رأى الملك هذه الابتسامات الساخرة ، حتى شعر بأنه كان العوبة ، وان الساحر كان يغرر به ، فتملكه غضب محتدم ، وتحول الى الحراس ، وهم بأن يأمرهم بأن يقبضوا على هذا الدجال – الذي اوتي الجرأة على خداع مليكه – فيحملوه ويلقوا به داخل القدر الضخمة ، ليغلي مع الماء حتى يموت !**

على أنه – في تلك اللحظة بالذات – سمع الماء يمور داخل القدر ، وبدأ الفحم يرسل طقطقة مسموعة ، ويلقي وهجا قانيا على وجه الرجل الأسمر ، فبدا كالحديد المحمي الذي بدأ

لونه يستحيل الى الحمرة ! .. وما ان رأى الملك ذلك ، حتى ارتد الى وضعه الأول ، بينما بسط الرجل الأسمر ذراعيه نحو السماء ، وحلق فى الفضاء ، وراح يرقص .. ثم انبعث صوته فجأة ــ رفيعا ، عاليا ــ وهو ينشد :

« غن ، هاى ، من اجل الحب .. من اجل الحب هاى هو !
« آه الحب ! .. آه الدم ! .. من الذى لم يؤت كلاهما ؟
« الناس تتخبط فى الظلام ، والملك يقهقه عاليا ،
« وعشرة آلاف رأس قد انحنت فى موتها ،
« ولكنى وحدى الذى استعمل رأسا .. فذا ،
« فليرق الدم من أجل رأس رجل واحد !
« الدم .. دع الدم يسيل !
« الا غن .. هاى ! غن .. هو ! »

**وفيما كان يغنى ، ارتفع الماء فى القدر على شكل مخروط ، حتى بات شبيها بالجبل الصغير ، ولكنه ظل فى دورة مستمرة، من قمته الى قاع القدر ، طيلة الوقت . وأخذ الرأس يدور معه فى صعود وهبوط ، وهو يلف كذلك من جانب الى آخر . ويقفز فى أثناء ذلك ، والقوم يشهدون بوضوح ابتسامة تتراقص على محياه ! ..** ومالبث بعد فترة أن كف عن هذه الحركات ، وراح يسبح عكس اتجاه الماء ، وهو يدور ، ويتقدم ويتأخر ، ناثرا الماء فى كل اتجاه ، حتى انتشرت النقاط الساخنة فى كافة أرجاء بلاط الملك . وصرخ أحد الأقزام فجأة ، وراح يحك أنفه متوجعا ، فقد أصابته نقطة سلخت بشرة انفة ، فلم يتمالك أن صرخ متألما .

***

. **وما أن** كف الرجل الأسمر عن الغناء ، حتى كف الرأس عن الدوران ، ووقف فى وسط الماء ، مواجها العرش ، وقد

اكتسبت أساريره مخايل الجد . وبعد ان مكث هكذا لحظات ، شرع يغطس ويطفو تباعا . ثم راح يسبح بسرعة وهو يغوص ويصعد دون انقطاع .. ولم تكن سرعته هوجاء ، بل بدت فيها رشاقة وجلال . ودار حول حافة الماء ثلاث مرات ، وهو ماض فى الغوص والارتفاع .. **ومالبث أن فتح عينيه عن آخرهما ، فاذا بانسانيهما الأسودين يومضان ببريق غير عادى ، ثم فتح فمه وراح يغنى :**

« ان حكم العاهل يمتد بعيدا وشاسعا ،
« وانه ليهزم الاعداء فى كل جانب ..
« ولقد تنتهى الدنيا ، ولكن سلطانه لن ينتهى ،
« وها انذا قد جئت ، أتألق بالبريق ..
« تألق السيف اللامع .. فلا تنسنى !
« يالبهاء المنظر الملكى ، ويالتعس حظى أنا !..
« فغن هاى ، غن هو ، للمنظر الملكى !
« وعد الى حيث يتألق الضوء الازرق اللامع ! »

**وتوقف الرأس فجأة ، عند حافة المـاء . ثم شرع يدور ويقفز عدة مرات ، وما لبث ان عاد يغطس ويطفو من جديد ، وهو يوزع نظرات - كأنها السحر المتسلط - يمنـة ويسرة ، ويغنى :**

« هاى هو ، مرحى بالحب الذى نعرفه !
« لقد قطعت رأسا واحدا .. رأسا واحدا هاى هو !
« انما استخدم رأسا واحدا .. واحدا لا أكثر ،
« اما الرؤوس التى يستخدمها هو ، فما أكثرها !.. »

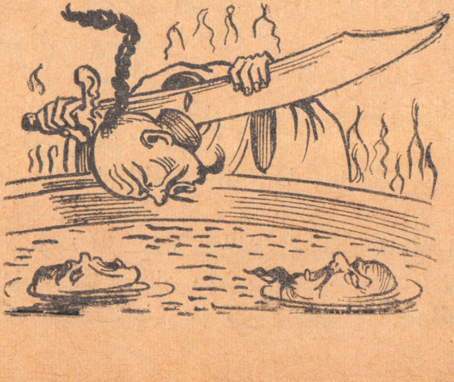
ثم غطس الرأس ، فلما عاد الى الطفو ، لم يعد احد يسمع بجلاء بقية الغناء ، وأخذ الماء المغلى يهدأ - مع خفوت الغناء - حتى غاص وهدأ ، وعاد تحت حافة القـدر ، فهبط الرأس معه ، ولم يعد الواقفون على مسافة من القدر يرون شيئا !

**وصاح الملك بلهجة آمرة ، وقد عيل صبره ، بعد أن انتظر برهة : « وبعد ؟ ! »**

وجثا الرجل الأسمر على احدى ركبتيـــه ، وقال : « انه يرقص يا صاحب الجلالة ـ فى قاع القدر ، ابدع رقص عجيب خارق .. ولا سبيل الى رؤية هذا الا من كثب ، اذ ليس فى طوقى أن أقربه اليكم ، لأنهلابد له من أنيدور فى رقصه هذا، حول القاع ! »

* * *

• **ونهض** الملك فهبط درجات العرش ، ووقف الى جـوار القدر ، غير حافل بحرارة النار ، ثم انحنى ليشاهد ما يجرى فى جوف القدر .. فاذا الماء ساكن ، صاف كسطح المرآة .. واذا الرأس راقد فى القاع ، ووجهه الى أعلا ، وقد سـلطت عيناه على الملك . وما ان استقرت عليه عينـــا الملك ، حتى انفرجت أساريره فى ابتسامة فاتنة . وخيل الى الملك ـ حين لمح الابتسامة ـ انه قد رأى هذا الوجه من قبل ، بيد انه لم يستطع ان يتذكر صاحب الوجه ، فى تلك اللحظة ! .. **وفيما كان فى حيرته ودهشـــته ، سحب الرجل الأسمر السيف**



**الأزرق المشدود الى ظهره ، ولوح به فى الهواء كأنه البرق ،ثم جره على قفا الملك ،فهوى رأس الملك فى القدر ،مرسلا رشاش الماء عاليا !**

وعنـــدما يلتقى غريمان ، يعرف كل منهما الآخر لفوره ، لاسيما اذا كانا متقاربين . وما ان مس رأس الملك الماء ، حتى خف اليه رأس ميى تشيين تشيه ليلتقى به ، ثم أطبق بأسنانه على أذنه ! .. واذا الماء يغلى فى القدر ، ويفور ويمور فى شدة. وبعد حوالى عشرين جولة بين الرأسين ، كان رأس الملك قد أصيب بخمسة جراح ، بينما أصيب رأس ميى تشيين تشيه بسبعة ! .. واستطاع الملك الداهية أن يتسلل تحت عدوه ، وفى غفلة من ميى تشيين تشيه أطبق بأسنانه على مؤخر عنقه، بشدة لم يعد يتمكن معها من الحركة . وظلت أسنان رأس الملك متشبثة برقبة رأس الفتى لاتفلتها ، وأخذ الرأســان يغوصان ، والأســـنان تغوص فى مؤخر الرقبـــة ، وصيحـات الألم تنبعث من رأس الفتى فتسمع .. حتى خارج القـدر !

* * *

• **وبعد** ان سمر كل امرىء فى مكـانه ـ من الملكة حتى مهرج البلاط ـ لفرط الخوف ، اذا بالحياة تدب فيهم لدى صوت الصراخ ، وشعروا كأنما الشمس غاصت فى ظلمـــات محزنة . كانوا جميعا أغبياء ، ولكن الخداع الذى مر بهم بعث فى نفوسهم اغتباطا خفيا مكتوما ،وهم يحملقون بأعين واسعة، وكأنهم يتوقعون حدثا عظيما !

وبدا على الرجل الأسمر انه أخذ بما جرى فبهت ، ولكن لونه لم يتغير .

ورفع ساعده بالسيف ـ الذى لم يكن ظاهرا لشفافيته ـ دون ما عناء ، كما لو كان ممسكا بغصن جاف ، ثم انحنى على القدر وكأنه يســـتجلى ما كان فى جوفها . **وانحنت ذراعه**

**فجأة ، فدفعت بالسيف خلف رأسه بحركة سريعة ، واذا رأسه يجتث من مكانه ويهوى فى القدر ، مرسلا نثار الماء ابيض شفافا كالجليد ، فى كل اتجاه !**

أما الرأس ، فما ان مس الماء حتى انقض على رأس الملك ، وأطبق بأسنانه على الأنف الملكى ، حتى قطعه فعلا . وأطلق الملك صرخة متوجعة . وفيما هو فاغر فاه ، استطاع رأس ميى تشيين تشيه ان يفلت منه ، وان يلف حوله ، ليقبض بأسنانه على فكه . ولم يكتف رأسا الرجل الأسمر والفتى بالعض ، بل انهما راحا يتجاذبان رأس الملك فيما بينهما ، بكل ما فيهما من قوة ، حتى لم يعد هذا يستطيع ان يغلق فمه . **ثم راحا يعضانه فى شدة وعنف ، كدجاجتين تتباريان فى التقاط حبات الارز ، حتى هرءا رأس الملك وشوهاه ، فلم يعد فى الوسع التعرف على معالمه . وراح هذا الرأس يدور حول ذاته ، فى جوف القدر ، بسرعة جنونية ، ثم هبط الى القاع وهو يئن ، وما لبث أن شهق شهقة أخيرة ، ثم استسلم للسكون !**

وكف رأسا الرجل الأسمر وميى تشيين تشيه عن العض ، وتركا رأس الملك ، ثم راحا يسبحان على سطح الماء ، يتبينان ما اذا كان يتربص بهما ، أو انه مات فعلا . فلما استوثقا من أن رأس الملك لفظ آخر أنفاسه حقا ، تبادلا نظرات الاغتباط ، وابتسما ، ثم تطلعا الى السماء ، واغمضا أعينهما ، وغاصا الى قاع الماء

( ٤ )

**• وخبت** النار ، وكف الماء عن الغليان . ورد السكون الغريب كل امرىء فى البلاط الى وعيه . فأطلق بعضهم صيحات عالية ، ثم راحوا يتنادون جميعا ، فى جزع . وما لبث أن سار أحدهم الى القدر الذهبية ، فتدافع الكل خلفه .

وراح الذين فى الخلف يرسلون ابصارهم خلال اعناق الذين فى الصفوف الأمامية ، ليستجلوا ما كان يجرى .

وكانت الحرارة لاتزال تلفح الوجوه ، ولكن الماء كان ساكنا فى القدر ، كأنه سطح مرآة ، استقرت فوقه طبقة زيتية ، انعكست عليها وجوه المطلين : من الملكة ، الى المحظيات ، الى الحراس ، الى الكهنة والأقزام والخصيان ....

وصاح صوت : « ياللسموات ! .. ان رأس ملكنا العظيم لايزال فى القــدر ! .. ياللحدث الفظيع ! » .. وانخرطت المحظية السادسة فى البكاء !

**واستولت عليهم جميعا – من الملكة الى مهرج البلاط – رهبة قاسية ، فانفرط عقدهم فى جزع ، وراحوا يدورون حول أنفسهم على غير هدى . وقد تملكتهم الحيرة ! .. ولكن احكم الشيوخ المستشارين ، اتجه وحده الى القدر ، ومد يده فمس جدرانها الداخلية ، ثم ارتجف بكل كيانه ، وسحب يده لفوره ، ووضع أصبعين فى فمه وراح ينفخهما ليخفف من أوجاع احتراقهما**

وما لبث القوم أن تمالكوا أنفسهم ، فتجمعوا خارج القاعة ليتشاوروا فى خير وسيلة لأخراج رأس الملك من القــدر . واستغرقت مشاوراتهم وقتــا يعادل ما يكفى لطهو ثلاث صيعان من الأذرة ، ثم انتهوا أخيرا الى قرار .. ذلك هو أن يحضروا من المطبخ ملاقط من السلك ، وأن يأمروا الحراس أن يبذلوا قصارى وسعهم ليتصيدوا بها الرأس الملكى !

وسرعان ما اعدت الأدوات : ملاقط سلكية ، وخيوط ، وأطباق ذهبية ، وأدوات للتنظيف . فوضعت جميعا الى جوار القدر . ثم شمر الحراس عن اكمامهم ، واخذ بعضهم الملاقط السلكية ، وبعض آخر الخيوط ، وراحوا يحاولون جمع بقايا الرأس ، فى خشوع ! .. وسمعت الملاقط وهى تصطدم بعضها ببعض ، أو ترتطم بجوانب القدر ، والماء ينزاح لحركاتها.

**وبعد وقت ، اكفهر وجه احد الحراس ، وهو يرفع ملقاطه فى بطء وعناية ، وقد شد على مقبضه بيديه معا . وتساقطت قطرات الماء من الملقط كأنها حبات اللآلىء ، ثم تبدت جمجمة فى بياض الثلج . فصاح الجميع مذهولين . ووضـــع الحارس الجمجمة فى طبق ذهبى .**

وانخرطت الملكة ،والمحظيات ،والكهنة ، والوزراء ،والخصيان، فى البكاء ، وهم يولولون : « اواه ياعزيزنا ! .. اواه ياملكنا!» . بيدانهم لم يلبثوا أن كفوا فجأة عن البكاء ، لأن الحارس أخرج جمجمة أخرى ، تشبه الأولى تماما . وحملقوا بغباء ، وبعيون يملأها الدمع السخين ، فرأوا الحراس يتفصدون عرقا ، وهم لايزالون ماضين فى بحثهم . ثم أخرجوا كمية من الشـــعر الأبيض والشعر الأسود ـ اختلط بعضهـــا ببعض ـ وملء ملاعق من الشعر القصير ، الذى بدا انه شعر لحى سـوداء وشيبا ، ثم اخرجوا جمجمة ثالثـة ، وأردفوها بثلاثـة من مشابك الشعر !

* * *

. ولم يكف الحراس عن البحث ، الا بعد ان تبينوا انه لم يبق فى القدر سوى مرق صاف ! .. ثم وزعوا ما أخرجوه على ثلاث صحاف ذهبية : احداها للجماجم ،والثانية للشعر، والثالثة للمشـابك .. وصـاحت المحظيـة التاسعة فى جزع جنونى : « **ليس لمليكنا سوى رأس واحد .. فأى هـــذه رأس مليكنا ؟** »

وتبادل الـكهنة والوزراء نظرات الحيرة والقنوط وقالوا : « هو ذلك حقا .... »

فقال أحد الأقزام ، وهو يجثو : « لقد كان من السهل تبين ذلك ، لولا ان الجلد واللحم قد سلقا سلقا ! »

وحملوا أنفسهم على أن يفحصـــــوا الجماجم ، وهم غير

متحمسين ، ولكنها كانت متشـــابهة — تقريبا — فى الحجم واللون ، حتى لقد عجزوا عن ان يميزوا احداها عن الآخرين.

**وقالت الملكة ان الملك أوتى ندبة فى أعلى صـدغه الأيمن ، نتيجة وقوعه عن جواده وهو أمير ، ولابد انها تركت أثرا فى الجمجمة .ولقد كشف أحد الأقزام عن ندبه كهذه فعلا فى احدى الجماجم ، فساد الارتياح جميع الحضور ، الى ان اكتشف قزم آخر علامة مشابهة ، على جمجمة أصفر لونا من الأخرى قليلا !**

وصاحت المحظية الثالثة ، وقد واتتها فكرة جعلتها تغتبط: « أنا اعرف !.. لقد كان لمليكنا انف شديد الارتفاع ! »

وأسرع الخصيان الى فحص أنوف الجماجم الثلاث ، فألفوها متباينة الارتفاع نسبيا ، ولكن .. بدرجة لاتمكن من التفرقة بينها . وكان أشد الأنوف ارتفاعا ، هو أنف الجمجمة التى لم تؤت على الصدغ الأيمن علامة أو ندبة ما !

وقال الوزراء للخصيان الذين كانوا يفحصون هذه الجمجمة الأخيرة : « هناك أمر آخر .. فهل من المحتمل ان مؤخر رأس مليكنا كان بارزا بهذا الشكل ؟ »

— اننا لم نول اهتمامنا يوما الى مؤخر رأس جلالته ....

وأخذت الملكة والمحظيات يجهدن عقولهن — هن الأخريات — ليتذكرن ، فقالت بعضهن ان مؤخر رأس الملك كان مستويا ، وقالت البعض انه كان بارزا . وعنـدما استدعين الخصى — الذى كان موكلا بترجيل الشعر الملكى — وسألنه ، لم يستطع ان يحير جوابا !

وعقدوا — فى ذلك المساء — اجتماعا حضره الأمراء والوزراء، ليقرروا اى الرؤوس كان رأس الملك . ولكن الاجتماع لم يكن أكثر توفيقا من مشاورات النهار . والواقع ان كل شىء — حتى شعور الرؤوس واللحى — كانت تزيد المشكلة تعقيدا.. لقد كان الشعر الأبيض شعر الملك حقا ، ولكن شيب الملك لم يكن كاملا ، بل كان يتخلله شعر أسود ، ومن ثم فقد كان

من العسير الجزم بأمرازاء الشعرالأسود الذى أخرج من القدر..
وأستمر النقاش الى منتصف الليل ،ولم يفعلوا أكثر من أن أقصوا
عن الفحص بضع شعيرات حمراء ، ولكن المحظية التاسعة
احتجت لانها كانت واثقة من انها رأت بضع شعيرات تميل
الى الصفرة ، فى لحية الملك .. واذا صح هذا ، فكيف يملك
القوم أن يجزموا بأنه لم يكن بين هذه الشعيرات شعرة حمراء ؟
.. ومن ثم ، اضطروا الى ان يضموا الشعر الأحمر الى بقية
الشعور ، وان يتركوا المسألة دون حل !

★★★

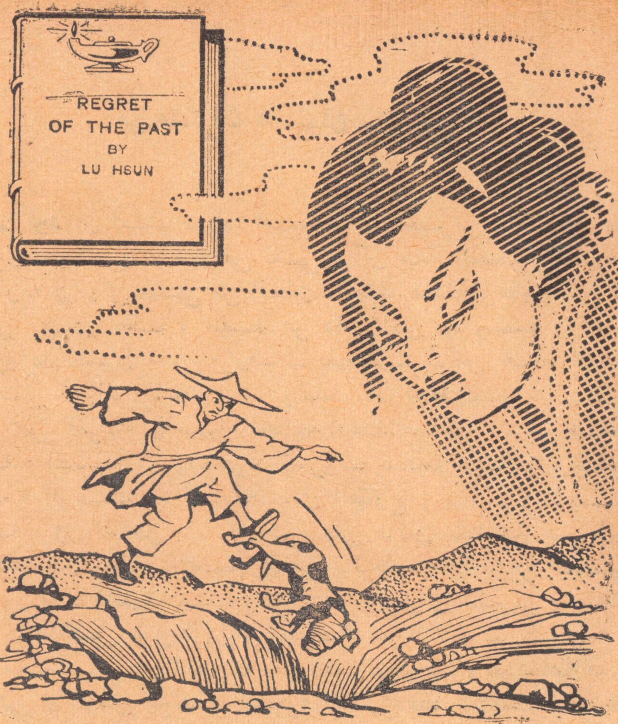
• ولم يكونوا قد احرزوا أى تقدم ، عندما بدأ النهار
التالى ..وأطالوا الجدل-و هم يتثاءبون - حتى صاح الديك ،
واذ ذاك انتهوا الى حل مأمون ، يدعو للرضى حقا .. ذلك هو ان
توضع الرؤوس الثلاثة فى التابوت الذهبى ، الى جانب جثة
الملك - لتدفن معا .

وشيعت الجنازة بعد اسبوع، فاذا المدينة على قدم وساق،
وقد تدفق عليها الرعايا من أقصى البقاع ، ليشهدوا جنازة
الملك . وما ان غمرت أنوار النهار المكان ، حتى ضاقت الطريق
على رحبها بالرجال والنساء ، وقد مدت بين الصفوف موائد
حملت القرابين . وعندما انتصف النهار ، خطر بعض الفرسان
على جيادهم ، ليخلوا السبيل . وبعد قليل ، أقبل موكب
الاعلام ، والرماح ، والحراب ،والقسى والنشاب ، وما اليها ..
وتبعته اربع عربات زخرت بالموسيقيين . ثم أقبلت مظلة
صفراء ، تعلو وتنخفض تبعا لعدم استواء سطح الطريق ..
وأخذت تقترب رويدا ، حتى أمكن تبين المحفة التى حملت
التابوت الذهبى ، الذى ضم رؤوسا ثلاثة وجسدا واحدا !

واذ ركع القوم ، برزت خلال جموعهم صفوف الموائد المحملة
بالقرابين .. وكان بعض الرعايا الأوفياء من الاعتزاز بالكرامة ،

بحيث انهم ابتلعوا الدموع وهم يستنكرون ان تحظى روحا الرأسين — اللذين تسببا فى مصرع الملك — بالقرابين التى قدمت من اجل روح الملك .. ولكن أحدا لم يكن يملك فى هذا الصدد حيلة !

ثم أقبلت مركبات الملكة والمحظيات ، فتطلع الناس اليهن ، ونظرن بدورهن الى الناس ، دون ان يكففن عن العويل ! .. وجاء بعدهن الكهنة والوزراء ، والخصيان ، والاقزام .. كل هؤلاء كانوا يظهرون بمظاهر الحزن ، ولكن الناس لم تكترث لهم .. وبدأ موكبهم بعيدا عن كل انسجام مع ما سبقه !.. بل سرعان ما دبت الفوضى ، فى الجنازة بأسرها !




# حسرة على الماضي!

قصة من الأدب الصيني الحديث، للأديب الأشهر "لو شون"

## من مذكرات (( شوان ـ شينج ))

• **أود** أن أصف ـ اذا استطعت ـ حسرتى وأساى على (( تزو ـ تشون )) ، وعلى نفسى . ان هذه الحجرة القذرة ، المتوارية فى ركن منسى من الخان ، جد هادئة وخاوية .. ان الزمن يجرى حقا ، فلقد مر عام كامل مذ وقعت فى هوى (( تزو ـ تشون )) ، وقررت ـ بفضلها ـ من هذا الهدوء الموحش ، والفراغ الخاوى .. ولقد شاء الحظ العاثر ، أن تكون هذه هى الغرفة الوحيدة الخالية ، عند عودتى .. ووجدت النافذة المهشمة ، وشجرة الخروب نصف الميتة ، وشجرة نبات (( الويسطار )) العتيقة ـ فى الخارج ( ١ ) ـ والمنضدة المربعة ، فى الداخل .. كل شىء على ماكان عليه من قبل !.. وكذلك كان الجدار الناضح بالعفن والرطوبة ، والسرير الخشبى المجاور له ، كالعهد بهما . وانى لأرقد بالليل فى السرير وحيدا ، كما كنت أفعل قبل أن أبدأ الحياة مع (( تزو ـ تشون )) . لقد محيت السنة المنصرمة ، وكأنما لم يكن لها وجود اطلاقا .. وكأننى لم انتقل من هذه الحجرة القذرة قط ، لأتخذ مسكنا خاصا صغيرا فى شارع ( تشيتشاو ) ، وأنا ملىء بالأمل !

وليس هذا غاية الأمر !.. فمنذ عام مضى ، كان هذا الصمت وهذا الفراغ مختلفين عما هما اليوم .. فكثيرا ماكان يخالطهما رجاء وترقب ، اذ كنت ارتقب مجىء (( تزو ـ تشون )) . وكان انتظارى يطول ، وصبرى ينفد ، ثم .. **اذا بدقات كعبين عاليين على الرصيف الحجرى ، تجتذب كل أحاسيسى ، وتردنى الى الحياة . ولا ألبث أن أرى وجهها المستدير الشاحب**

---

**(١) الويسطار : نبات صينى**

**ـ وقد اشرق بابتسامة كشفت عن غمازتين فى خديها ـ وذراعيها النحيلتين الناصعتين ،وقميصها القطنى المخطط ، و«الجونلة» السوداء** . وقد تحضر لى معها ورقة جديدة من شجرة الخروب الذابلة ـ القائمة خارج النافذة ـ لأتأملها ، أو فروعا محملة بالزهور البنفسجية الباهتة ، المدلاة من شجرة « الويسطار » العتيقة التى كان جذعها يبدو وكأنه صيغ من حديد !

**أما الآن ، فليس ثمة سوى الصمت والوحشة القديمين !.**

ولن تفد « تزو ـ تشون » ثانية . . ابدا ، ابدا . . ولا مرة أخرى !

* * *

• **لم** أكن أستطيع أن أرى شيئا فى هذه الحجرة الزرية ، فى غياب « تزو ـ تشون » . وكنت ألتقط ، بدافع من الملل فحسب ، كتابا علميا أو أدبيا ـ فالكل عندى سواء ـ واقبل على القراءة ، حتى افطن الى اننى قد قلبت حوالى اثنتى عشرة صفحة ، دون أن أفقه كلمة مما قرأت . . أذناى وحدهما هما اللتان كانتا تحتفظان بحس مرهف ، حتى ليبدو لى اننى كنت أسمع كل الخطى خارج الدار ، وأميز بينها خطوات « تزو ـ تشون » . وكثيرا ماكانت خطواتها تنبعث وكأنها تزداد اقترابا ، ثم لاتلبث ان تزداد وهنا وخفوتا ـ مرة اخرى ـ حتى تضيع فى وقع الأقدام الأخرى ! . . **لقد كرهت ابن الخادم ، الذى يلبس حذاءين نعلاهما من قماش ، لأن وقعهما يختلف تمام الاختلاف عن وقع نعلى « تزو ـ تشون » . ولقد بغضت جارتى الخليعة التى تستخدم المعاجين لنطرية وجهها ، والتى كثيرا ما ترتدى حذاءين جديدين من الجلد ، لأن وقع خطاها فيهما يبدو شديد الشبه بوقع خطى « تزو ـ تشون » !**

ترى هل تكون مركبتها ( الركشة ) ، قد انقلبت ؟ (١) . .

---

(١) الركشة أو الركشو : مركبة ذات عجلتين ، يجرها انسان

او تكون قد صدمتها احدى قاطرات ( الترام ) ؟

وأكاد أهم بأن أرتدى قبعتى وأنطلق لأزورها ، لولا ان عمها كان قد سبنى فى وجهى !

وفجأة ، أسمعها مقبلة ، تقترب خطوة فخطوة ، وما ان أخرج لملاقاتها ، حتى تكون قد تجاوزت «تعريشة الويسطار»، وقد أشرق وجهها بابتسام أبدى حسن غمازتيها . اذن فمن المحتمل انها لم تلق معاملة سيئة فى بيت عمها ، رغم كل هواجسى ؟!.. وتهدأ نفسى . وبعد أن يحدق كل منا فى الآخر — فى صمت — للحظة ، اذا بالحجرة الحقيرة تمتلىء بدوى صوتى ، وأنا أحمل على طغيان الأهل ، وعلى الحاجة الى تحطيم التقاليد ..وأتحدث عن المساواة بين الرجال والنساء ، وعن « ابسن » ، و « تاجور » ، و « شيللى » ... وهى تهز رأسها ، وتبتسم ، وقد زخرت عيناها بنظرة عجب شبيهة بنظرة الطفل ! .. وكانت ثمة صورة لشيللى — اقتطعت من احدى المجلات — مسمرة الى الجدار . وكانت من أفضل الصور تبيانا لملامحه ، ولكن « تزو — تشون » لم تكن تزيد — كلما اشرت لها نحو الصورة — على أن تلقى عليها نظرة عاجلة ، ثم تطوح برأسها الى الوراء ، وكأنها فى حرج وحيرة . **ولعل « تزو — تشون » لم تكن قد حررت نفسها تماما من الآراء العتيقة ، فى أمور كهذه !** .. ولقد خطر لى — فيما بعد — انه قد يكون من الأفضل أن أبدل الصورة بأخرى لشيللى وهو يغرق فى البحر ، أو لوحة تمثل «ابسن» . ولكنى لم أسع أبدا الى ذلك جديا .. بل ان هذه الصورة ذاتها قد اختفت الآن !

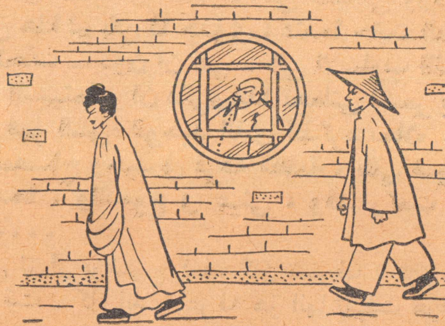
* * *

• « **اننى** سيدة نفسى .. ليس لأحد منهم ان يعترض طريقى ! »

أطلقت «تزو — تشون» هذا البيان بحزم ووقار ، بعد صمت

أخلدت فيه الى التفكير .. وكنا نتحدث عن عمها – الذى كان فى المدينة – وعن أبيها الذى كان فى بلدهما الأصلى. وكان كل منا قد عرف الآخر لنصف عام . وكنت – فى تلك الأثناء – قد أنبأتها بكل آرائى ، وبكل ما مر بى ، وبينت لها عيوبى . فلم أخف عنها سوى نزر يسير . **ولقد فهمتنى هى حق الفهم ، فاذا الكلمات القلائل التى أعربت لى بها عن ذلك ، تهز العواطف فى أغوار قلبى ، وتظل تتردد فى أذنى أياما عديدة . كنت سعيدا الى درجة تجل عن الوصف ، لأن الصينيات لم يكن من الجهل والبؤس كما صورهن المتشائمون ، ولأننا لن نلبث ان نراهن فى أبهى مجدهن ، فى المستقبل غير البعيد !**

وكنت كلما رافقتها الى الخارج مودعا ، حرصت على أن أظل على بضع خطوات خلفها ..ودائما ما كان وجه الجار المسن – بشعر فوديه الشبيه بشوارب الاسماك – ملتصقا بزجاج النافذة المتسخ ، الى درجة ان طرف انفه كان ينبسط لفرط التصاقه . حتى اذا بلغنا الفناء الخارجى ، بدا خلف زجاج النافذة اللامع ، وجه تلك الخليعة الصغيرة الجسم ، وقد لطخ بالمعاجين . ولكن « تزو – تشون » لم تكن تلمح هذا الوجه او ذاك ، وهى تنطلق خارجة ، رافعة الرأس فى اعتزاز .



وكنت أسير خلفها مزهوا .

**(( اننى سيدة نفسى .. ليس لأحد منهم ان يعترض طريقى )) !**

كان ذهنها قد استقر تماما على هذا الرأى . وكانت أكثرنا مضيا وعزيمة. فما الذى يعنيها من الوجه الرازح تحت نصف ما فى وعاء معجون التطرية .. أو من الأنف الذى انبسط طرفه لفرط التصاقه بزجاج النافذة ؟

* * *

**• ولست** أذكر بجلاء كيف أظهرتها على حبى الصادق المشبوب. فان الطابع الذى بقى فى ذهنى لهذه المناسبة، مهتز وباهت .. ليس الآن فحسب، بل عقب حدوث ذلك مباشرة ! فعندما استعدت فى بالى ما جرى - بالليل - لم أستطع أن أتذكر سوى عبارات مبتورة مما قلت لها .. وحتى هذه العبارات المبتورة لم تلبث - بعد شهر او اثنين من بدء حياتنا معا - ان تلاشت كالحلم ، ولم تخلف اثرا ! .. كل الذى كنت اذكره ، هو : كيف ظللت حوالى أسبوعين - قبل ذلك - أفكر فى عناية فى المسلك الذى كان ينبغى أن أنتهجه ، وأعد ما كان يحسن أن أقوله .. ثم قررت ما كان يجب أن أفعله اذا هى صدتنى ورفضتنى ! .. **على ان كل هذا لم يكن ذا جدوى ، عندما حانت الفرصة .ففى انفعالى ، لجأت - دون أن أعى - الى الأسلوب الذى كنت قد شهدته فى السينما . ان ذكرى هذا تجعلنى اشعر بخزى عارم، ومع ذلك فهو الشىء الوحيد الذى أتذكره بجلاء . انه - الى اليوم - كمصباح وحيد فى غرفة مظلمة ، يلقى ضوءه على وأنا أمسك بيدها ، والدموع فى عينى ، وقد ركعت على احدى ركبتى ! ....**

بل اننى لم أر بوضوح كيف كان تصرف (( تزو - تشون )) فى ذلك الوقت . كل الذى أعرفه هو انها تقبلت هواى . ومع

ذلك ، فاننى أخالنى أذكر أن وجهها شحب ، فى البداية ، ثم أخذ يتضرج تدريجا ، حتى غدا اكثر احمرارا ممـا رأيته فى اى وقت قبل ذلك أو بعده . وانبثق من عينيها ـ الشبيهتين بعيني الطفل ـ اسى وفرح ، امتزجا بوساوس وقلق ، بالرغم من انها تفادت أن تلتقى عيناها بعينى ، ولاح كأنما كانت تود ان تطير خلال النافذة فى ارتباكها .. اذ ذاك ، أدركت أنها قد رضيت ، مع اننى لم ادر ما الذى قالتــه .. بل اننى لم ادر ما اذا كانت قد قالت شيئا على الاطلاق !

أما هى ، فكانت تتذكر كل شيء . وكان بوسعها ان تردد كل ما قلت ، دون أن تتعلثم ، وكأنها حفظته عن ظهر قلب .. وان تصف كل تصرفاتى بدقائقها ، وتمثلها وكأنما ثمة شريط سينمائى ينبسط أمام عينى ، ويضم ـ بطبيعة الحال ـ ذلك المنظر السينمائى المستهجن الذى كنت تواقا الى نسيانه .

**وكان الليل ، فى هدأة السكون ، هو وقتنا المختار لاستعادة الذكرى . وكنت كثيرا ما أتعرض للأسئلة والتحقيق ، أو أتلقى الأوامر بأن اروى كل ما قيل فى تلك المناسبة .. ولكنها غالبا ما كانت تضطر الى ان تملأ الثغرات ، وان تصحح اخطائى ، وكأننى تلميذ فى المدرسة الثانوية !**

ثم أخذت هذه الاستعراضات تقل وتتباعد تدريجا . على اننى كنت ـ كلما رأيتها تسرح طرفها فى الفضاء ، وقد لفهـا جو حنون ، وغارت غمازتاها فى ابتسـامة ـ أدرك انها كانت تستعيد فى ذاكرتها الدرس القديم ، فكنت أخشى ان تتمثل فى خاطرها ذلك التصرف المضحك الذى اقتبسته من السينما ! .. ومع ذلك ، فقد كنت اوقن من انها رأته ، ومن انها كانت تصر على ان تستعيد منظره !

غير أنها لم تكن تراه سخيفا أو مضحكا . ومع اننى كنت أراه مدعاة للضحك، بل وللازدراء ، الا انها لم تكن تجده كذلك،

اطلاقا . ولقد أدركت ان ذلك كان راجعا الى انها كانت تحبنى حبا صادقا ، مشبوبا !

* * *

• **وكان** الشطر الأخير من ربيع العام الماضى ، هو أسعد أوقاتنا وأحفلها . كنت ــ اذ ذاك ــ أهدأ بالا ، وان كان شطر من عقلى قد غدا فى نشاط جسمى . وكان ذلك عندما شرعنا نخرج معا فى الطرقات . فذهبنا عدة مرات الى المتنزه ، ولكنا ــ فى أكثر الاحيان ــ كنا نمضى بحثا عن مسكن . وكنت أشعر ــ خلال الطريق ــ بالنظرات المتفرسة ، او الابتسامات الساخرة ، أو اللمحات التى يختلط فيها الاشتهاء بالازدراء . وكانت جميعا خليقة بأن تجعلنى ارتجف ، لولا اننى كنت أتشبث بالحذر .. **كنت فى كل لحظة أضطر الى أن أستجمع كل كبريائى واعتدادى بنفسى . أما هى ــ «تزو ــ تشون» ــ فكانت خلوا من الخوف ، وكانت بعيدة تماما عن ان تتأثر بكل هذا . وانما كانت تمضى فى الطريق بخطى وئيدة ، وكأن احدا لم يكن يتبدى لناظريها !**

ولم يكن العثور على مسكن بالأمر السهل .. فقد كنا نقابل بالرفض فى معظم الحالات ، بحجة أو بأخرى . بينما كنا نرفض ــ من ناحيتنا ــ بعض المساكن لعدم ملاءمتها . وكنا جد متعنتين ــ فى بادىء الأمر ــ وان لم نسرف الى حد الشطط .. فقد رأينا أن أغلب هذه المساكن لم تكن لائقة لسكنانا . بيد أننا اصبحنا ــ فيما بعد ــ لا نرجو فى المسكن سوى أن يكون مناسبا . وشاهدنا أكثر من عشرين مسكنا ، قبل أن نعثر على واحد كان بوسعنا أن نقنع به .. مسكن مؤلف من حجرتين مواجهتين للشمال ، فى بيت صغير بشارع (تشيتشاو) . وكان صاحب البيت موظفا حكوميا صغيرا ، ولكنه كان ذكيا .. ولم يكن يشغل سوى الحجرتين الوسطى والجانبية ، من الدار . وكان أهل منزله لا يتألفون من أكثر من زوجة ، وطفل لاتزيد

سنه عن بضعة أشهر ، وخادم من الريف . وكان من الممكن ان يسود السكون ، مادام الطفل لايبكى !

**واستنفد أثاثنا ـ رغم بساطته ـ القسط الأكبر من النقود التى كنت قد دبرتها ، كما أن « تزو ـ تشون » كانت قد باعت خاتمها الذهبى الأوحد .. وقرطيها كذلك . ولقد حاولت أن أصدها عن هذا ، بيد أنها أصرت ، ومن ثم فاننى لم أمعن فى الالحاح ، فقد كنت أدرك انها لن تستشعر راحة اذا هى لم تساهم فى انشاء بيتنا !**

وكانت « تزو ـ تشون » قد اشتجرت مع عمها.. والواقع انه كان شديد الغضب ، حتى أنه تبرأ منها ! .. كما اننى كنت قد فصمت عرى الصداقة مع عدد من أصحابى الذين ظنوا انهم كانوا يمحضوننى النصح ، ولكنهم ـ فى الواقع ـ كانوا بين مشفق يخاف على ، أو حاسد يغار منى . على ان القطيعة كانت تعنى ـ بالنسبة الينا ـ راحة البال والطمأنينة. ومع ان الظلمة كانت توشك ان تسيطر على الكون ، عندما كنت أغادر ديوانى ، وكان الحوذى يضطر الى ان يمضى الهوينا ، الا اننا كنا لا نلبث ان نصبح معا ، من جديد . وكان كل منا يتأمل الآخر فى صمت ـ بادىء الأمر ـ ثم نتخفف من هواجسنا ، ونروح نتكلم فى ود وألفة .. ثم لا نلبث ان نهوى الى الصمت ثانية ، فنطرق برأسينا ، دون أن نفكر فى شىء معين .

**وشيئا فشيئا ، استطعت أن اقرأ ما بنفسها ـ جسدا وروحا ـ فى وضوح ، وكأننى أقرأ كتابا .. وفى ثلاثة اسابيع فحسب ، عرفت عنها الكثير ، فوق ما كنت أعرف ، وحطمت حواجز لم أكن أعرف انها كانت قائمة ، ولكننى لم ألبث أن تبينت انها كانت حواجز حقيقية !**

وازدادت « تزو ـ تشون » انتعاشا ، على مر الأيام . بيد انها لم تكن تحب الزهور . ولقد ابتعت من السوق أصيصين من أصص الأزهار ، ولكن أزهارهما ماتت مهملة فى أحد

الاركان ، بعـد ان ظلت أربعة أيام بدون رى . ولم يكن لدى متسع من الوقت ، كى اعنى بكل شىء بنفسى على انها كانت تميل الى الحيوان ، ولعلها هواية أخذتها عن زوجة الموظف ، فسرعان ما ازداد عدد أسرتنا ـ فى أقل من شهر من الزمن ـ زيادة كبيرة .. وأصبحت لنا اربع دجاجات تشق طريقها فى فناء الدار مع دجاجات صاحبة البيت الاثنتى عشرة . على ان كلا من السيدتين كانت قادرة على ان تميز بين الدجاج ، وان تتعرف على دجاجاتها . وما لبث أن انضم الى اسرتنـا كلب مرقط ، ابتيع من السوق . واعتقد انه كان ذا اسم من قبل، ولكن «تزو ـ تشون» أطلقت عليه اسما جديدا .. «أشوى». وكذلك أصبحت أدعوه « أشوى » ، وان لم أحب الاسم !

**ولا بد للحب من تجديد مستمر ـ فى الواقع ـ حتى ينمو ويثمر . وكانت « تزو ـ تشـون » تهز رأسها دلالة الفهم ، عندما أحدثها فى هذا !**

آه ! .. ما كان احلاها من ليال وادعة ، هانئة !

* * *

• **ولا بد** للطمأنينة والسعادة من أن تكونا مرتبطتين ،تعزز كل منهما الأخرى ، اذا كان لهما أن تدوما أبدا . ولقد كانت تعرض لنا ـ عندما كنا فى الخان ـ خلافات طارئة فى الرأى ، أو فترات من سوء التفاهم . ولـكن هذه الخلافات الطفيفة لم تلبث أن تلاشـت بعد أن انتقلنا الى شارع ( تشيتشاو ) . وأصبحنا نجلس متقابلين ـ فى ضوء المصباح ـ نسـتعيد الذكريات ، ونستمرىء ـ من جديد ـ بهجة الوئام الجديد الذى كان يعقب شقاقنا !

وازدادت « تزو ـ تشون » سمنة ، كما اشتد تورد خديها .. لم يكن ثمة ما اشفق عليها منه ، سوى انها غدت جمة المشاغل . كانت واجباتها المنزلية لا تدع لها وقتـا . حتى

للـكلام ، وبالتالى للقراءة أو للخروج للتريض . وكثيرا ما كنا نقول ان من الحرى بنا ان نستأجر خادما .

**ومن الأمور التى كانت تسوؤنى ـ عندما أعود الى البيت فى المساء ـ أن أراها تحاول أن تخفى عنى مظهرا ينم عن شقاء ، أو ـ وهذا ما كان يزيد من همى ـ تفتصب الابتسام لترسمه على وجهها . ولكننى تبينت ـ لحسن الحظ ـ ان هذا كان راجعا الى شقاق مستتر بينها وبين زوجة الموظف ، وكانت « خميرة » الخلاف هى الدجاجات ! .. ولكن ، لماذا كانت تأبى أن تخبرنى بذلك ؟ .. من الجدير بالناس ان يكون لهم بيتهم الخاص .. ولم يكن هـذا المسكن بالمكان الذى يصلح لاقامتنا !**

وكان لى ـ أنا الآخـر ـ نهجى الرتيب . كنت اذهب من البيت الى الديوان ، ومن الديوان الى البيت ، سـتة أيام من الأسبوع . وكنت ـ فى الديوان ـ أجلس الى مكتب ، وانسخ، دون‌ما نهاية ،الوثائق‌والرسائل الرسمية .اما فى البيت،فكنت أونس « تزو ـ تشون » ، وأساعدها فى اشعال الموقد ، وطهو الارز وتسخين الخبز . وكانت هـذه هى الفترة التى تعلمت فيها الطهو !

وكنت ـ فوق ذلك ـ اكثر اقبالا على الأكل منى عندما كنت فى‌الخان. ومع ان الطهو لم يكن أفضل ميزات «تزو ـ تشون»، الا انها أقبلت عليه بقلبها وروحها . **وكانت عوامل القلق التى تنتابها فى هذا الصـدد ، تثير قلقى ـ أنا الآخر ـ وبهذا كنـا نتقاسم حلو الحياة ومرها معا . وكانت تنهمك فى العمل طيلة نهارها ، فكان العرق يجعل شعرها القصير يلتصق برأسها ، كما اخشوشنت يداها .**

وكان عليها ـ كذلك ـ ان تغذى « اشوى » والدجاجات . . فما كان بوسع سواها أن يؤدى ذلك .

ولقد قلت لها اننى أوثر ان لا انال أكلا ، على أن أراها ترهق

نفسها بالعمل الى هذا الحد . فاكتفت بأن رمقتنى بنظرها ، دون ان تنبس ببنت شفة .. وبدا عليها شيء من القلق ، كما اننى لم أجد من طيب الكلام ما أزيده . غير انها واصلت العمل فى جد اكثر من ذى قبل .

* * *

• **وما لبثت** الصدمة ــ التى كنت اتوقعها ــ ان انقضت ، فى النهاية !

ففى الأمسية السابقة للعيد العاشر المزدوج (١) ، كنت أجلس خاملا ، بينما كانت هى منصرفة الى غسل الصحاف ، عندما سمعنا طرقة على الباب . فلما ذهبت لأفتحه ، وجدت رسولا من ديواننا أسلمنى قصاصة مكتوبة ، حدست للتو كنهها . وعندما حملتها الى المصباح ، قرأت ما حقق حدسى :

**« بأمر الرئيس المسئول ،**
**يفصل شيه ــ شوان ــ شينج من منصبه**
**السكرتيرية »**
**٩ اكتوبر**

كنت قد تنبأت بذلك ، مذ كنا نقيم فى الخان . فان تلك المرأة ذات الوجه المكسو بالمعاجين ، كانت من أصدقاء الميسر لابن الرئيس المسئول . وكانت اهلا لأن تنشر الشائعات ، وان تحاول اثارة المتاعب . ولم يدهشنى سوى ان هذا لم يحدث قبل الليلة . والواقع ان هذا لم يكن صدمة بالمعنى الحقيقى ، لأننى كنت قد رأيت أن بوسعى أن أتولى عملا كتابيا فى أى مكان آخر ، أو أن أشتغل بالتدريس ، أو ــ وهذا أكثر مشقة ، الى حد ما ــ أقوم ببعض الترجمة . وكنت قد عرفت رئيس تحرير « صديق الحرية » ، وراسلته ، قبل ذلك بشهرين . ومع كل هذا ، فقد راح قلبى يخفق بعنف . وكان أشد ما أحزننى ، ان رأيت « تزو ــ تشون » ــ التى لم تكن تعرف

---

**(١) أحد أعياد الصين القومية التقليدية**

الخوف ـ تشحب .. كانت تبدو ـ فى هذه الفترة ـ كما لو انها كانت قد ضعفت عن ذى قبل .

وقالت : « وفيم يهمنا هذا ؟ .. سنبدأ من جديد ، ألسنا كذلك ؟ .. لسوف ... » . ولم تتم عبارتها ، اذ فقد صوتها حرارته . ولاح ضوء المصباح كئيبا معتما ، على غير المألوف .. ان البشر مخلوقات مضحكة حقا ، اذ ان من السهل للتوافه ان تقلب امزجتهم ! .. وراح كل منـــا يحملق فى الآخر ، فى صمت ـ بادىء ذى بدء ـ ثم شرعنا نتباحث فيما ينبغى أن نفعل . **وقررنا ـ فى النهاية ـ أن نعيش على النقود التى كانت لدينا ، ملتزمين أقصى اقتصـــاد ممكن ، وان نعلن فى الصحيفة طلبا لمنصب كاتب أو مدرس ، وأن أكتب ـ فى الوقت ذاته ـ الى رئيس تحرير « صديق الحرية » ، موضحا موقفى الراهن ، وسائلا اياه ان يتقبل احـدى قطعى المترجمـة ، ليعاوننى على الخروج من هذه الضائقة .**

وقلنا : « لنعزز القول بالعمل ! .. لنشرع فى بداية جديدة ! »

ومضيت لفورى الى المـائدة ، فأزحت زجاجة الزيت وطبق الخل جانبا ، بينما أحضرت « تزو ـ تشون » المصباح الكابى الضوء . ووضعت صيغة الاعلان ـ أولا ـ ثم تخيرت نخبة من



الكتب للترجمة ، وكنت لم ألق نظرة على كتبى ، مذ انتقلنا الى هذا المسكن ، فكان كل كتاب منها مثقلا بالغبار . وما لبثت ان كتبت الرسالة ، فى النهاية .. ولقد ترددت طويلا فى اختيار كلماتها ، وكنت كلما توقفت عن الكتابة لأفكر ، أنظر الى «تزو ــ تشون » فى ضوء المصباح الكئيب ، فأراها وفى عينيها تلك النظرة الطافحة بالقلق .. ما تصورت قط أن يحدث أمر تافه كهذا ،مثل هذا التغير العجيب، فى شخص له جلد «تزو ــ تشون» وعدم خوفها ! .. كانت قد ازدادت ضعفا ــ فى المدة الأخيرة ــ حقا .. وما كان هذا الذى اعتراها ، وليد الليلة . وقد جعلنى هذا اكثر اغتماما. وتمثلت لعين خيالى ــ فجأة ــ صورة حياة هادئة .. **وومض امامى هدوء غرفتى الزرية فى الخان ، فلما هممت بأن أتفرس فى الرؤيا ، وجدتنى قد عدت الى ضوء المصباح الكابى ثانية !**

وفرغت من الخطاب بعد وقت طويل .. كان خطابا طويلا، وقد شعرت بتعب بالغ بعد كتابته ، وتحققت من اننى ــ أنا الآخر ــ قد ازددت ضعفا فى الفترة الأخيرة . وقررنا أن نرسل الاعلان والخطاب فى اليوم التالى . ثم استوينا معا ، وشددنا قامتينا، فى صمت .. وكأن كلا منا قد ادرك قوة الآخر وجلده، واستطاع ان يرى أملا جديدا ينبثق من هذه البداية الجديدة !

* * *

• **والواقع** ان هذه الصدمة ، التى انقضت من خارج عالمنا، بعثت فينا روحا جديدة . كنت قد عشت فى الوظيفة كطائر برى فى قفص ، لا يصيب من الحبوب ــ من آسره ــ سوى ما يكفى لأن يستبقيه على قيد الحياة ، دون أن يزداد سمنة. ثم لا يلبث ــ مع مرور الزمن ــ ان يفقد القدرة على استخدام جناحيه ، ومن ثم فاذا قدر له أن يسرح من قفصه ، عجز عن ان يطير .على اننى قد غدوت خارج القفص، على أية حال،ولابد لى أن أحلق ــ من جديد ــ فى السماء الواسعة ، قبل أن تفوت

الفرصة ، مادام بوسعى أن أحرك جناحى !

ولم يكن لنا ان نتوقع نتائج سريعة ، من اعلان صغير ، بطبيعة الحال . **كما ان الترجمة لم تكن بالمهمة اليسيرة . فأنت تقرأ الموضوع ، وتخال أنك قد فهمته ، حتى اذا شرعت فى ترجمته ، قفزت امامك الصعاب من كل ناحية ، ورحت تتقدم فى بطء .** ومع ذلك ، فقد صممت على أن ابذل خير ما فى وسعى . وقبل ان ينقضى أسبوعان ، كانت حافة قاموس جديد قد اسودت من آثار اصابعى ، مما يشى بمدى الجد الذى أقبلت به على عملى .. فان رئيس تحرير « صديق الحرية » كان قد قال ان مجلته لا تتجاهل قط أى انتاج كتابى طيب !

ولم يكن ثمة مكان أنجو فيه من الازعاج ، لسوء الحظ . كما ان « تزو ـ تشون » لم تعد فيما كانت عليه من هدوء ومراعاة . فكانت غرفتنا جد مزدحمة بالصحاف والأوعية ، وجد مليئة بالدخان ، فكان من المستحيل أن أعكف على العمل هناك . على انه لم يكن لى سوى أن ألوم نفسى ، فى الواقع .. كان ذنبى اننى كنت عاجزا عن ان أهيىء لنفسى حجرة مكتب ! .. ومما زاد الطين بلة ، وجود «آشوى» والدجاجات . فان هذه كانت قد كبرت ، واصبحت « خميرة » شقاق بين الأسرتين ، أكثر مما كانت فى أى وقت آخر !

**ثم ، كانت هناك مهمة الأكل التى لا تنتهى ، فى كل يوم .. كأنما كانت كل جهود « تزو ـ تشون » وقفا على وجبتنا . فالمرء يأكل ليكسب العيش ، ويتكسب ليأكل ! .. كذلك لم يكن ثمة بد من اطعام « آشوى » والدجاجات . والظاهر ان « تزو ـ تشون » نسيت كل ما كانت قد تعلمته ، فلم تكن تتبين انها كانت تقطع استرسال تفكيرى كلما كانت تنادينى لتناول الطعام . ومع اننى كنت أبدى ـ أحيانا ـ بعض الاستياء ، اذ أجلس الى المائدة ، فانها لم تكن تبدى اكتراثا ،**

**على الاطلاق ، وانما كانت تمضى فى مضغ الطعام غير مبالية البتــة !**

واستغرقت خمسة اسابيع لتتعلم ان عملى ما كان ليخضع لقيود تناول الطعام فى أوقات منتظمة . ومن المحتمل انهـــا حنقت ـ عنـدما تبينت هذا ـ بيد أنها لم تقل شيئا . واسترسلت ـ بعد ذلك ـ فى عملى ، بمزيد من السرعة ، فلم ألبث أن ترجمت خمسين ألف كلمة . ولم يعد أمامى سوى أن أنقح انتاجى ، ثم ارسله الى «صديق الحرية»، مع قطعتين أخريين أقصر منـه . ومع ذلك ، فقـد ظلت تلك الوجبـات مصدر صداع لى.. لم يعد ثمة بأس من أن يكون الطعام باردا، ولكنه أصبح غير كاف . وكانت شهيتى أقل من ذى قبل اذ أصبحت أجلس فى البيت ، واقتصرت على استخدام عقلى طيلة النهار . ومع ذلك ، فانه لم يكن ثمة ارز كاف .. دائما ! كان الأرز يقدم الى « آشوى » أحيانا ، مع اللحم الذى نادرا ماكان يتاح لى ـ أنا نفسى ـ أن آكله ، فى الفترة الأخيرة . **وكانت « تزو ـ تشون » تقول ان « آشوى » قد اشتد هزالا. والحق انه كان يستدر الاشفاق ، كما كان يحمل صاحبة البيت على ان تسخر منا . ولم تكن « تزو ـ تشون » تطيق أن يضحـك أحد منها !**

ومن ثم ، فلم يكن ثمة سوى الدجاجات لتقتات على فضلاتى . ولقد تبينت ذلك بعد وقت طويل . بيد اننى كنت أشعر تماما بأن « مكانى فى الكون » ـ كما يقول هكسـلى ـ انما يقـع فى نقطة ما .. بين الكلب والدجاجات !

* * *

• **وما لبثت** الدجاجات أن بدأت تظهر على مائدتنا ، بعـد طول جدال واصرار ، فاستمتعنا و « آشوى » بها ، اكثر من عشرة ايام . ومع ذلك فانها كانت جد هزيلة ، اذ أنها ظلت

طويلا لا تصيب سوى قدر ضئيل من الحبوب يوميا . واخذت الحياة تزداد دعة بعد ذلك ، فلم يكن يعكرها سوى ان « تزو ـ تشون » أصبحت فاقدة الهمة ، وبدت جد حزينة وجد ضجرة بعد ان فقدت دجاجاتها .. بل انها أخذت تزداد تجهما وبرما . فما أسهل ما يتغير الناس !

ومع ذلك ، فانه لم يكن ثمة بد من التخلى عن « أشوى » هو الآخر ! .. كنا قد كففنا عن الأمل فى تلقى خطاب من اى مكان ، وانقضى وقت طويل لم يتبق فيه لدى « تزو ـ تشون » طعام يدعو الكلب الى ان يتمسح بها ، أو أن يقف على مؤخرتيه ليلتمسه منها . **والى جانب هذا ، كان الشتاء يغذ السير مقبلا ، ولم نكن ندرى كيف ندبر أمر موقد للتدفئة . وكانت شهية الكلب للطعام عبءا طال به الأمد ، وأصبحنا مرهفى الشعور بصددها . ومن ثم ، لم يعد ثمة بد من ان يذهب الكلب ـ بدوره ـ من حياتنا !**

ولو اننا ربطنا بطاقة الى عنقه ، وحملناه الى السوق لنبيعه ، لكان من المحتمل أن نصيب منه بضعة دراهم نحاسية ، ولكن أيا منا لم يقو على أن يحمل نفسه على أداء هذه المهمة . وأخيرا ، لففت رأسه فى قطعة من قماش ، وحملته الى خارج البوابة الغربية للمدينة ، حيث أطلقته . فلما جرى ورائى ، دفعته فى حفرة لم تكن بالغة الغور !

واذ عدت الى البيت ، وجدته أكثر هدوءا ، ولكننى بهت لمظهر «تزو ـ تشون» الحزين .. أبدا لم أرها مغرقة فى الأسى الى هذا الحد . وكان حزنها من أجل «آشوى» طبعا ، ولكن .. لماذا تحزن عليه كل هذا الحزن ؟ .. فما بالك لو اننى أنبأتها بأننى دفعته الى الحفرة !

وفى ذلك المساء ، تسلل الى مظهرها شىء جليدى كذلك .. ولم أتمالك ان قلت لها : « حقا ! .. ما الذى داخلك اليوم يا تزو تشون ؟ » .. فتساءلت ، دون ان تنظر الي : «ماذا ؟»

ــ انك تلوحين جد ..

ــ لا شيء هناك .. لا شيء اطلاقا !

**وما لبثت أن أدركت انها ولا بد تعتبرنى فظا قاسيا . والحق اننى كنت حسن المعشر ، عندما كنت أقيم وحدى ، بالرغم من اننى كنت اشد كبرا وغرورا من أن أكثر من الاختلاط بمعارف الأسرة . ولكننى ــ منذ انتقالى الى هذه الحياة الجديدة ــ قد انفصلت عن جميع أصدقائى القدامى . ومع ذلك ، فقد كانت ثمة أبواب كثيرة ، لا تزال مفتوحة أمامى ، لو اننى تخلصت من كل هذا . كان على الآن أن أتغلب على كل هذه المحن ، من اجلها هى ، قبل أى شيء آخر ! .. وما كان التخلص من « آشوى » سوى ضرورة جاءت فى وقتها . ولكن « تزو ــ تشون » بدت شديدة العناد والضيق ، حتى انها أبت أن تفهم هذا !**

وعندما انتهزت فرصة أشرت فيها الى هذا ، هزت « تزو ــ تشون » رأسها ، وكأنها كانت تفهمه . ولكنى ــ على ضوء مسلكها الأخير ــ لم أتمالك أن أحكم بأنها لم تستوعب ذلك ، أو انها لم تصدقه وتقتنع به !

★ ★ ★

• **وتعاون** برد الجو مع برود « تزو ــ تشون » ، فجعلا ارتياحى الى البقاء فى البيت أمرا مستحيلا . ولكن ، الى أين كان لى أن أذهب ؟ .. كان بوسعى أن أفر من نظراتها الجليدية ، وألوذ بالشارع أو المتنزهات ، ولكن الريح الزمهرير كانت تعصف بالمرء خارج الجدران ! .. وأخيرا ، وجدت فى المكتبة العامة ملاذا لى !

كان ولوج المكتبة مباحا ، دون ما مقابل . وكانت ثمة مدفأتان فى قاعة المطالعة . ومع ان النار كانت خافتة ، الا أن مجرد رؤية المدفأتين كانت كفيلة بأن تدفىء المرء ! .. ولم تكن

هناك كتب جديرة بأن تقرأ .. فان القديم منها لم يعد يلائم العصر ، فى حين انه لم تكن ثمة كتب جديدة تذكر !

**ولكنى لم أكن أذهب الى هناك بغية المطالعة .. وكنت أجد هناك نفرا ضئيلا من الناس ـ عادة ـ يصل عددهم أحيانا الى اثنى عشر ، كلهم مثلى فى ثياب خفيفة . فكنا نتظاهر بالمطالعة ، لكى نبقى بمنجاة من البرد !** .. وكان هذا يلائمنى كل الملاءمة ، فى موقفى الذى كنت فيه .. فأنت معرض فى الطريق الى ان تلتقى بأناس تعرفهم ، ولا يتورعون عن ان ينظروا اليك شذرا .. أما فى المكتبة ، فلم يكن ثمة ازعاج من هذا القبيل ، لأن معارفى كانوا يلتفون جميعا حول مدافىء أخرى ، أو يستدفئون حول مواقد خاصة فى بيوتهم !

ومع انه لم تكن هناك كتب أطالعها ، الا اننى كنت أجد هدوءا أفكر فيه . واذ كنت أجلس هناك ، استعرض ماضى حياتى ، شعرت بأننى اهملت كل مهام الحياة ـ ذات القيمة ـ خلال نصف العام الأخير ، من اجل الحب ، الحب الأعمى ! .. وأهملت أولا ـ وقبل كل شىء ـ مورد العيش ! .. **فلا بد للرجل من أن يكسب عيشه ، قبل ان يفسح فى حياته مكانا للحب ! .. وكان لا بد للراغبين فى الكفاح ، من مخرج من مثل هذا الموقف ، وما كنت قد نسيت بعد ، كيف أحرك جناحى ، وان كنت قد غدوت ـ ولا بد ـ أضعف من ذى قبل !**

.. .. .. .. .. .. ..

وتلاشت القاعة والمنكبون على القراءة فيها ، من ناظرى ، رويدا .. فرأيت صيادى السمك فى البحر الهائج ، والجنود فى الخنادق ، وعلية القوم فى مركباتهم ، والمضاربين فى «البورصة» ، والابطال فى الغابات الجبلية ، والمدرسين على منصات التدريس ، والهائمين فى ظلمات الليل ، واللصوص فى الدياجير .. .. كانت «تزو ـ تشون» بعيدة كل البعد ! .. لقد أضاعت كل شهامتها

فى عنادها من أجل « اشوى » ، وفى استغراقها فى الطهو ! .. وكان الغريب فى الأمر ، انها لم تصب بهزال ملحوظ بعد نكبتنا !

**واشتد البرد ، فقد نفدت الكتل القلائل من الفحم البطىء الاحتراق ، التى كانت فى الموقد .. وحان وقت اغلاق المكتبة . وصار حتما على ان أعود الى شارع ( تشيتشاو ) ، لأتعرض لتلك النظرة الجليدية . ولقد كنت أصادف — فى الفترة الأخيرة — شيئا من الدفء ، فى نظراتها ، ولكن هذا لم يكن يزيدنى الا بلبلة وحيرة ! ..** وانى لأذكر أن النظرة الصبيانية البريئة — التى لم أكن قد رأيتها منذ أمد طويل — انبثقت ذات ليلة من عينى « تزو — تشون » ، وهى تذكرنى — مبتسمة — بأمر كان قد حدث أثناء اقامتنا فى الخان . على انه كان ثمة خوف مقيم فى عينيها كذلك ! .. كان يزعجها اننى أصبحت أعاملها — فى الآونة الأخيرة — ببرود يفوق ما كانت تعاملنى به . وكنت أقسر نفسى أحيانا على الكلام والضحك ، لأسرى عنها .. ولكن خواء ضحكى وحديثى ، والطريقة التى كانا لا يلبثان ان يترددا بها فورا فى أذنى ، كانت تجعلها اشبه بالسخرية البغيضة ، الى درجة فوق ما احتمل !

**ولا بد ان « تزو — تشون » شعرت بهذا ، هى الأخرى . اذ انها لم تلبث — بعد ذلك — ان فقدت هدوءها الجامد ، وبدت أكثر قلقا ، وان حاولت — غاية وسعها — أن تخفى ذلك عنى . على انها راحت تعاملنى بمزيد من الحنو الضافى !**

ولقد وددت أن أصارحها فى جلاء ، ولكنى لم أوت الجرأة على ذلك . وكان مرأى تلكما العينين الطفلتين يضطرنى — كلما عقدت العزم على الكلام — الى أن أمسك عنه وأبتسم ، الى حين .. ولكن ابتسامتى كانت تنقلب لفورها الى سخرية منى ، فتفقدنى هدوء أعصابى وتجلدى !

وعادت — بعد ذلك — الى بعث الأسئلة القديمة الى الحياة ، كما شرعت فى توجيه اسئلة جديدة ، فكانت تضطرنى

بذلك الى كافة الوان الختل والرياء فى الاجابة ، حتى أبين لها حبى. وختم الرياء على صدرى، فملأه بالزيف الى درجة عز على معها التنفس ! .. وكثيرا ما كنت أحس - فى ضيقى - بأن قول الحق كان يتطلب شجاعة كبيرة حقا . فان الرجل الذى تعوزه الشجاعة فيروض نفسه على الكذب ، لايمكن أن يسلك طريقا أخرى قط . بل الأنكى من ذلك ، انه لايعود قادرا على أن يكون ذا وجود فى عالم الحقيقة !

وما لبثت « تزو - تشون » أن شرعت تبدى عنادا . وقد حدث هذا - للمرة الأولى - ذات صباح .. صباح قارس البرد ، أو هكذا خيل الى ! وابتسمت لنفسى - فى الخفاء - وقد غشينى استنكار بارد . اذ ان كل ماكانت تعرفه من آراء وحكمة وعبارات جريئة - خالية من الخوف - أصبحت فارغة . بيد انها لم تفطن الى هذا الفراغ ! .. **كانت قد هجرت القراءة من عهد طويل ، ولم تكن تدرك أن أول أمر فى الحياة هو كسب العيش ، وأن على الناس - فى سبيل ذلك - أن يتقدموا يدا فى يد ، أو أن يتقدموا فرادى. أما هى ، فكان كل ما بوسعها أن تفعله ، هو أن تتعلق بثياب سواها ، فتجعل الكفاح عسيرا ، حتى على ربيب القتال ، وتؤدى الى دمار الاثنين .. دمارها ودمار من تتعلق به !**

وشعرت بأن أملنا الأوحد يكمن فى انفصالنا .. كان خليقا بها أن تنأى عنى نأيا تاما . وخالجتنى - فجأة - فكرة موتها ، ولكننى استجبيت لفورى وأنبت نفسى ! .. وكنا - حين خالجتنى هذه الفكرة - فى الصباح ، لحسن الحظ ، فكان ثمة متسع من الوقت أمامى ، كى أصارحها بالحقيقة .. فعلى هذه كان يتوقف ما اذا كان بوسعنا أن نقدم على بداية جديدة ..

وتعمدت أن أستعيد لها الماضى .. وتحدثت عن الأدب ، وعن المؤلفين الأجانب ومؤلفاتهم .. وعن « نورا » و « امرأة البحر » لابسن .. واطريت « نورا » لقوة عقلها وحجاها ..

كل هذا كان قد قيل فى الحجرة الزرية فى الخان ، ولكنه بدا الآن خاويا فارغا ! . . وأصبحت لا أقوى ـ اذ تغادر الكلمات فمى ـ على أن أتحرر من التوجس من وجود جنى غير مرئى خلفى ، يردد كل ما أقول فى خبث !

وكانت تصغى ،وتطرق برأسها موافقة ،وهى تلوذ بالصمت . وفرغت مما كنت أود قوله فجأة ، فتبدد صمتى فى الفراغ الموحش .

وقالت بعد فترة من الصمت : « اجل ، ولكن . . . اننى اشعر ياتشوان ـ شينج ،بأنك تغيرت كثيرا فى الفترة الأخيرة . . أصحيح هذا ؟ أنبئنى ! »

وكانت هذه صدمة ، ولكننى تماسكت لأحتفظ بهدوئى ، وشرحت لها رأيى واقتراحاتى . ان نبدأ بداية جديدة ، ونقلب صفحة أخرى فى حياة كل منا ، لنتفادى أن يحيق بنا الهلاك معا !

**ولكى أحسم الأمر ، قلت لها فى حزم ! « . . . والى جانب هذا ، أرى أنك لست بحاجة الى مزيد من الهواجس ، بل عليك ان تمضى بجرأة . لقد سألتنى أن أقول لك الحقيقة ، وهذه هى . . من الواجب ان لا نغرق فى الزيف والرياء . واذا شئت الحق ، فان هذا راجع الى . . اننى لم أعد أحبك ! . . وهذا ييسر عليك امرك فى الواقع ، اذ سيغدو من السهل عليك ان تستغنى عنى ، دون ما ندم . . . »**

وكنت اتوقع موقفا عاصفا ، ولكن حديثى لم يعقب سوى صمت . . واستحال لون وجهها الى شحوب مربد ، فكأنه وجه جثة ميتة . ولكن لونها الطبيعى لم يلبث أن ارتد اليها بعد لحظة ، وانبعثت من عينيها تلك النظرة الشبيهة بنظرة الأطفال . وتلفتت حولها كطفل جائع يبحث عن أمه الرؤوم ، ولكن بصرها لم يقع الا على الفضاء . . وراحت تتحاشى عينى وهى خائفة !

وكان هذا المنظر فوق ما أقوى على احتماله. وكان الوقت

لا يزال مبكرا لحسن الحظ ، فخضت خلال الريح القارسة ، لأهرع الى المكتبة .. وهناك قدر لى أن أرى مجلة « صديق الحرية » ، وفيها كل مقالاتى . وكانت هذه مفاجأة هزتنى ، وكأنما طوحت بى الى حياة جديدة . وقلت لنفسى : « هناك طرق كثيرة مفتوحة أمامى لأسلكها . ولكن الأمور لا يمكن ان تستمر على هذا الوضع ! »

**وشرعت أزور الأصدقاء القدامى ، الذين لم تعد ثمة صلة بينى وبينهم من أمد طويل ، ولكنى لم أقم بأكثر من زيارة او اثنتين .. والواقع ان غرفهم كانت دافئة ، بيد اننى شعرت بالبرودة تنفذ الى عظامى هناك .. وكنت فى الأمسيات ، أعود كارها الى حجرة أبرد من الثلج !**

**كانت ثمة ابرة جليدية تخز قلبى ، وتجعلنى فى ألم مستمر من الشقاء الجامد الراسخ .. وكنت أقول لنفسى : « هناك طرق كثيرة مفتوحة أمامى .. اننى لم أنس بعد كيف أحرك جناحى ! » . وخالجتنى ـ فجأة ـ فكرة موتها ، ولكنى استحييت لفورى وأنبت نفسى !**

وكثيرا ما كنت أرى ـ فى المكتبة ـ طريقا جديدا يلوح لى فى وميض البرق الخاطف .. كنت أتصورها تواجه الواقع فى شجاعة ، وتبرح هـذا البيت الجليـدى .. وتتركه ـ فوق ذلك ـ دون أن تكون بنفسها ضغينة نحوى ! .. اذ ذاك كنت أشعر بأننى أغدو خفيفا كسحابة تطفو فى الفضـاء ، والسماء الزرقاء فوقهـا ، والجبـال الشاهقة والمحيطات الشاسعـة تحتها .. والبنايات الضخمة ، وناطحات السحاب ، وميادين القتال ، والسيارات ، والحارات ، وبيوت الاغنياء ، والأسواق المضيئة الزاخرة ، والليل الحالك البهيم ...

والأكثر من هذا ، اننى شعرت بأن هـذه الحياة الجديدة كانت تنتظرنى عند منعرج الطريق !

واستطعنا ـ بطريقة ما ـ ان نعيش معا خلال شتاء (بكين)

القارس . ولكنا كنا أشبه بزنبارين وقعا فى أيدى اطفال أشرار، ربطوهما بخيط ،وراحوا يلعبون بهما ويعذبونهما وفق هواهم! .. ومع اننا خرجنا من هذه المحنة وفينـا رمق من الحياة ، الا اننا كنا بلا حراك .. وكانت النهاية أمرا محتوما .. مسألة متعلقة بالوقت فحسب !

وتعاقبت ثلاث رسائل على رئيس تحرير «صديق الحرية» قبل أن يرد . وكانت رسالته تضم اذنين بمبلغين – كأجر رمزى – احدهما بعشرين « سنت » ، والآخر بثلاثين « سنت » ، عن كتابين .. وكنت قد انفقت تسعة « سنتات » رسما للبريد عن الخطابات التى كنت أتعجل بها الدفع ، كما كنت قد قضيت يوما بأكمله جائعا ، دون أن أكسب شيئا !

ومع ذلك ، فقد شعرت بأننى قد نلت – أخيرا – ما كنت أرجو !

* * *

• **وأخذ** الشتاء يفسح مكانه للربيع ، ولكن الريح لم تهدأ ، بل كانت شـديدة البرد . وأصبحت أقضي مزيدا من الوقت هائما خارج البيت دون أن أعود اليه – عادة – قبل الغروب. وفى احدى الأمسيات المظلمة ، عـدت الى البيت منهوك القوى كعادتى .. وكعادتى ، اشتد كربى اذ رأيت باب البيت ،فقصرت الخطى .. على اننى لم ألبث أن بلغت غرفتى، فاذا بها مظلمة. وفيما كنت أتحسس مكان الثقاب لأشعل النور ، بدا لى المكان أكثر هدوءا ووحشة من العهد به .

وكنت أقف فى حيرة ، عندما نادتنى زوجة الموظف – خلال النافذة – وقالت ببساطة : **« لقد أتى والد تزو – تشون اليوم، وأخذها ! »**

ولم يكن هذا فى حسبانى . وشعرت كأن ضربة هوت على مؤخر رأسي ، فوقفت لا أحير كلامـا . ثم غالبت نفسي – فى

النهاية ـ لاتساءل : « هل ذهبت ؟ . »

**وكان الجواب : « نعم ! » . .**

ـ وهل قالت أي شيء ؟

**ـ لا ، بل سألتني أن أنبئك ـ اذا ماجئت ـ بأنها ذهبت . . فقط !**

ولم أكد أصدق ذلك ، ولكن الحجرة كانت أكثر هدوءا ووحشة من العهد بها . وبحثت عن « تزو ـ تشون » في كل مكان ، ولكن كل ما وسعني أن أراه هو ذلك الأثاث القديم الحائل اللون ، الذي بدا مبعثرا ، متباعد القطع ، وكأنما كان يكشف عن عجزه عن ان يخفي شيئا أو شخصا . وخطر لي انها ربما كانت قد تركت رسالة ، او سطرت بضع كلمات على عجل ، على الأقل . ولكن ، لا ! . . لم يكن ثمة سوى ملح ، وفلفل احمر مجفف ، ونصف كرنبة ، وضعت جميعا معا ، مع بضع عشرات من النقود النحاسية الى جانبها . كان هذا كل متاعنا من حطام الدنيا . . وها هي ذي قد عنيت بترك كل هذا لي ، وكأنما كانت ترجوني ـ دون ما كلام ـ أن أستخدم هذه الأشياء لأقيم أودي فترة أطول !

واذ شعرت بأن الأشياء التي أحاطت بي كانت تكربني وتجثم على صدري ، أسرعت الى الفناء ، حيث كان الظلام يحوطني . وتجلى ضوء باهر خلال ورق نوافذ الحجرات الوسطى ، حيث كان الموظف وزوجته يدغدغان طفلهما ليحملاه على الضحك . وأخذ فؤادي يهدأ ، وبدأت ألمح مخرجا من هذا الضيق الشديد : الجبال الشاهقة ، والآجام الشاسعة ، والطرق الخلوية ، والمآدب ذات الأضواء البراقة ، والخنادق ، والليل الفاحم الظلمة ، ووخزة خنجر حاد ، وخطى غير مسموعة الوطء . . .

وارتاحت نفسي ، ففكرت في نفقات الترحال ثم تنهدت أسى !

* * *

• **ورحت** أتمثل صورة لمستقبلي ، وانا مستلق مغمض

العينين ، ولكن الصورة تلاشت قبل ان ينتصف الليل . وخيل الى اننى أرى وسط الظلام – وعلى حين غرة – كوما من مواد البدالة ( البقالة ) ، ثم وجه «تزو – تشون» الشاحب بينها ، يحملق فى ، وكأن عينيه الشبيهتين بعينى الطفل تضرعان الى . ولكننى لم أكد أتمالك نفسى حتى تلاشى كل شىء !

**على أن قلبى ظل مثقلا . لم لم أنتظر بضعة أيام ، بدلا من أن ألفظ الحقيقة فى وجهها بهذا الشكل ؟ .. لقد أيقنت بعد ذلك انه لم يبق لها سوى حب أبيها الصارم – الذى كان مع أولاده جامد القلب كالدائن – وجفاء الناس .. وفيما عدا ذلك ، لم يكن ثمة سوى الخواء الموحش . ما أقسى تحمل عبء الفراغ الموحش الثقيل الوطأة ، ، الذى يجثم على المرء وهو يشق طريقه فى الحياة بين الصرامة والجفاء ! .. ثم لا تظفر فى النهاية بشىء .. ولا شاهد من حجر يحمل اسمك ، على القبر !**

لقد ظننت ان «تزو – تشون» خليقة بأن تمضى فى الحياة ، جريئة ، بلا هواجس ، اذا أنا صارحتها بالحقيقة .. تماما كما كانت حالها عندما بدأنا العيش معا . ولكنى كنت مخطئا ، ولا بد .. فقد كان تجردها من الخوف راجعا الى الحب !

اننى لم أوت الجلد على تحمل عبء الرياء الفادح ، ومن ثم فقد ألقيت عليها عبء الحقيقة . وكان عليها – لأنها أحبتنى – أن تحمل هذا العبء ، بين الصرامة والجفاء ، مدى الحياة !

ولقد فكرت فى موتها .. .. لشد ما تبينت اننى كنت خائرا ! لكم كنت استحق أن ينبذنى من هم أقوى منى ، سواء كانوا صادقين أو كانوا مرائين ! ومع ذلك ، فقد كانت « تزو – تشون » تأمل – من البداية – أن أكون أطول منها عمرا !

* * *

• **ورغبت** فى أن أبرح شارع (تشيتشاو) ، فقد كان المسكن

جد موحش ، وجد خاو . وخطر لى اننى لو استطعت الفرار منه ، لعاودنى ما كنت أستشعره و « تزو — تشـون » الى جانبى .. أو لشعرت كما لو انها كانت لاتزال فى المدينة بحيث يتاح لها ان تفاجئنى بزيارتها فى أى وقت ، شأنها عندما كنت أقيم فى الخان !

ومع ذلك، فان رسائلى ظلت بلا جواب ،كما كانت رجاواتى الى الأصدقاء كى يبحثوا لى عن منصب . ولم تكن ثمة حيلة سوى ان اذهب لأزور اسرة من المعارف ، لم اكن قد زرتها من أمد بعيد . وكان ربها زميلا قديما من زملاء عمى فى الدراسة، من العلماء الكبار ذوى المكانة الرفيعة ، وقد عاش فى ( بكين ) سنين عديدة ، وكان محوطا بعدد وفير من المعارف .

ورمقنى حارس بابه باستهجان — لابد ان مبعثه زراية ملبسى — ولم يدعنى ألج الدار الا بعد عناء . وكان صـديق عمى لايزال يذكرنى ، فعاملنى بفتور بالغ ، اذ كان يعرف كل شىء عنا .

**وقال لى ببرود ، بعـد أن سألته ان يزكينى لعمل فى أى مكان : « من الجلى انك لاتملك الاقامة هنا . ولـكن الى أين تراك تذهب ؟ .. انه لأمر جد عسير ، ان .. أ .. ان صديقة لك .. اعتقد انك تعرف ان « تزو — تشون » قد ماتت ! »**

وصعقت .. ثم تمتمت ، فى النهـاية ، مرتبكا : « أواثق أنت ؟ »

فأرسل ضحكة مصطنعة ، وقال : « بلا شك .. أن خادمى « وانج شينج » من قرية أهلها »

— ولكن .. كيف ماتت ؟

— من يدرى ؟ .. أنها — على كل حال — قد ماتت !

ولست اذكر كيف أستأذنت للانصراف ، ولا كيف غادرت الدار .. كل الذى أدركته هو أنه ما كان ليكذب ، وأن « تزو — تشون » لن تكون ثانية معى أبدا ، كما كانت فى العام الماضى ..

**ومع انها أرادت أن تحمل عبء الفراغ والوحشة بين الصرامة والجفاء ، الى نهاية أيامها ، الا أن العبء كان اثقل مما تحتمل ! لقد شاء لها القدر أن تموت وهى تعرف الحقيقة التى صارحتها بها .. أن تموت محرومة من الحب !**

وكان من الجلى فعلا ، اننى لن أقوى على البقاء فى المدينة .. ولكن ، الى أين أذهب ؟

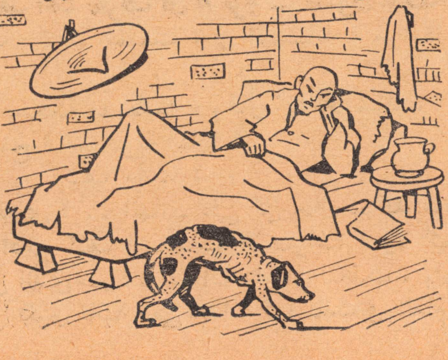
كان كل ماحولى فارغا ، ساكنا ، كالموت .. لكأننى كنت أرى الظلام الذى يتمثل لعينى كل شخص يموت محروما من الحب ، وأسمع كل الصيحات المريرة اليائسة التى كانت تصدر عن المحرومين فى كفاحهم !

ورحت انتظر شيئا جديدا .. شيئا لا اسم له .. شيئا غير جلى ولا مرتقب ، ولكن الأيام توالت فى نفس السكون المميت !

. . . . . . . . . . . .

واصبحت أقل من ذى قبل مغادرة لمسكنى ، فكنت اجلس أو أرقد فى هذا الفراغ الموحش العظيم ، تاركا هذا السكون القاتل ينهش روحى !.. وكان الصمت ذاته يبدو أحيانا خائفا ، منكمشا .. وفى مثل هذه الأوقات ، كان يومض أمامى أمل جديد ، غير مرتقب ، لا ادرى كنهه !

وفى ذات صباح ملبد بالغيوم ، وقد عجزت الشمس عن



الجهاد لتشق لنفسها طريقا من وراء السحب ، وبدا الهواء ذاته كليلا خاملا ، اذا بدبيب قدمين صغيرتين وتهدج أنفاس لاهثة ، يحملاننى على أن أفتح عينى . ولم تكشف لى النظرة — التى طوفت بالحجرة — عن شيء ، ولكنى عندما أنعمت النظر الى الأرض ، رأيت مخلوقا صغيرا يزحف فى المكان .. ناحلا ، مغبرا ، أقرب الى الموت منه الى الحياة ....

وعندما تفرست فيه ، أوشك قلبى ان يكف عن الوجيب . وقفزت من مرقدى .. كان القادم « اشوى » .. لقد عاد !

* * *

• **ولقد** غادرت شارع ( تشيتشاو ) ، لا من جراء نظرات صاحب البيت وخادمه ، وانما بسبب «آشوى» بوجه خاص . ومع ذلك ، فالى أين كنت أملك ان أذهب ؟ .. لقد كنت اتبين — طبعا — ان امامى سبلا مفتوحة ، وكان يخيل الى اننى أراها ممتدة أمامى .. ومع ذلك فاننى لم أكن أعرف كيف أتخذ الخطوة الأولى !

وبعد تدبر طويل ، قررت أن الخان كان هو المكان الأوحد الذى أستطيع أن أستقر فيه . فها هى ذى الغرفة الزرية على ما كانت عليه من قبل ، والسرير الخشبى ذاته ، وشجرة الخروب نصف الميتة ، وشجرة الويسطار !.. **ولكن المصدر الذى كان يهبنى — فيما مضى — الحب والحياة والأمل والسعادة تلاشى .. فليس هناك سوى الخواء والفراغ .. الحياة الفارغة !**

ان ثمة سبلا كثيرة مفتوحة امامى ، ولا بد لى من أن أسلك أحدها ، لأننى لا ازال على قيد الوجود . ومع ذلك فاننى مازلت أجهل كيف أتخذ الخطوة الأولى .. وان الطريق ليبدو احيانا عريضا ، مغبرا ، مظلما ، ملتويا كالأفعوان ، يختلج ويندفع وكأنه يهم بأن يطعننى . وانى لأنتظر ، وانتظر ، وأرقبه يقترب ، ولكنه دائما يختفي فجأة فى الظلام .

ان ليالى بواكير الربيع لاتزال طويلة كعهدها . وانى لأجلس طويلا خاملا ، واستعرض أمام عينى الخيال موكبا جنائزيا رأيته فى الطريق ، فى هذا الصباح . كانت ثمة اشكال من الورق – فى المقدمة – تمثل اشخاصا وجيادا ، كما كان فى المؤخرة عويل يبدو كأنه الزغاريد . واذ ذاك ، تقفز صورة جنازة « تزو – تشون » الى خاطرى. **لقد حملت عبء الفراغ الموحش – على ثقله – وحدها ، وسارت فى الطريق الطويل المعتم .. حتى ابتلعتها القسوة الصارمة ، والجفاء البارد !**

لكم اتمنى لو انه كانت ثمة اشباح ، وكان ثمة جحيم حقا . ذلك لأننى لن احجم – مهما تهدر ريح الجحيم – عن أن أذهب للبحث عن « تزو – تشون » ، لأخبرها بندمى وحسرتى وأساى ، وألتمس غفرانها .. والا فقد تحيط بى ألسنة الجحيم السامة ، وتبتلع – فى وحشية – ندمى واساى !

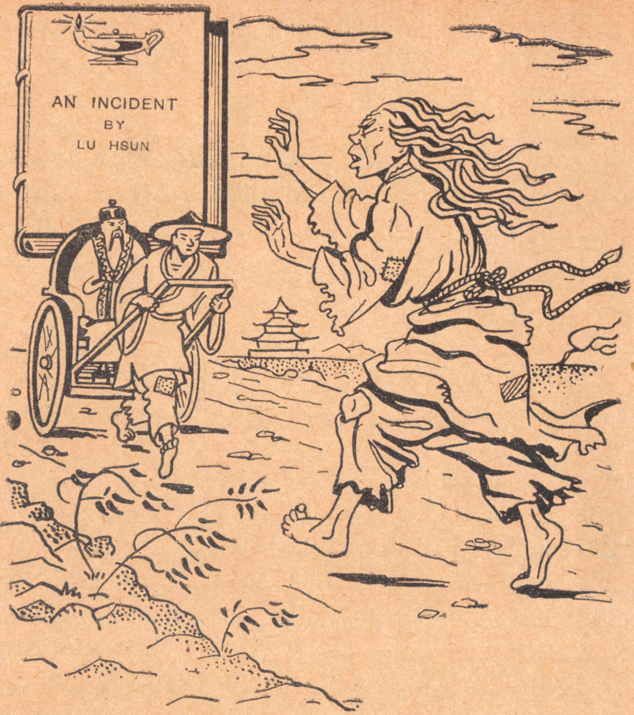
**وفى دوامة اللهب الجامح ، سأحيط بذراعى «تزو – تشون» ، وأسألها الصفح ، أو أحاول أن أجعلها سعيدة ....**

على ان هذا أكثر خواء من الحياة الجديدة . وليس هناك الآن سوى ليل اوائل الربيع .. الليل الذى لايزال طويلا كالعهد به . ولا بد لى من أن أبدأ من جديد ، مادمت على قيد الحياة . ولن تتطلب الخطوة الأولى سوى أن أصف ندمى وحزنى ، من أجل « تزو – تشون » ، ومن أجل نفسى !

ان كل ما لدى هو عويل ينبعث كالزغاريد ، وأنا أندب « تزو – تشون » ، وأدفنها فى النسيان !

**أريد أن أنسى . لا أريد – لمصلحتى – أن أذكر النسيان الذى جعلت منه مدفنا لتزو – تشون !**

يجب أن أبدأ الحياة من جديد .. يجب أن أخفى الحقيقة فى أعماق قلبى الجريح ، واتقدم وئيدا ، مستهديا فى سيرى بالنسيان والزيف والرياء ! ....




# حادث!

قصة من الأدب الصيني الحديث، للكاتب الكبير "لو شون"

• **ست** سنوات مضت ، مذ جئت من الريف الى العاصمة . ولقد سمعت ورأيت – فى تلك الأثناء – ما يكفى ، مما يسمونه « أمور الدنيا » ، لكن شيئا منها لم يترك أثرا كبيرا فى نفسى . فاذا ما سئلت أن أحدد تأثيرها ، فلست أملك أن أقول سوى انها زادت مزاجى حدة ، وجعلتنى – بصريح القول – أكثر بغضا للبشر .

على ان حادثا عرض لى ، فأثار فى نفسى كثيرا من المعانى التى ايقظتنى من سوء الطباع ، حتى اننى لا أقوى على نسيانه .. الى اليوم !

ففى شتاء سنة ١٩١٧ ، اضطرنى كسب العيش الى أن أغادر فراشى ودارى مبكرا ، بينما كانت ثمة ريح صرصر عاتية تهب من الشمال . ولم أكد أصادف مخلوقا فى الطريق ، كما وجدت مشقة حتى استطعت أن أستأجر مركبة من مركبات « الركشة » ، تقلنى الى بوابة ( س .. ) . وما لبثت الريح ان خفت قليلا ، بعد أن أزاحت جميع الغبار المتناثر ، وخلفت الطريق نظيفا ، فاستطاع الحوذى ان يغذ الخطى . وفيما كنا نقترب من بوابة ( س .. ) ، اذا بشخص يعبر الطريق ، فتشتبك ثيابه بمركبتنا ، ويهوى الى الأرض وئيدا .

**.. كانت امرأة ، وخط الشيب شعرها ، وقد ارتدت أسمالا مهلهلة . وكانت قد غادرت الرصيف دون انذار ، لتعبر الطريق امامنا مباشرة . ومع ان الحوذى كان قد أفسح لها سبيلا ، الا أن سترتها الممزقة ، العديمة الأزرار ، كانت تتطاير مع الهواء ، فاشتبكت بذراع المركبة . ومن حسن الحظ ان الحوذى كان قد أوشك على الوقوف ، والا كان من المحقق أن تأتى السقطة عنيفة تصيب المرأة بجرح بالغ**

وظلت المرأة مستلقية على الأرض ، بينما وقف الحوذى تماما . ولم أر أن من المحتمل أن تكون العجوز قد أصيبت ، كما انه لم يكن ثمة شهود لما حدث ، فضايقنى من الحوذى هذا التلكؤ الذى كان خليقا بأن يوقعه فى المتاعب ويعطلنى ، لذلك قلت له : « لا ضرر هناك .. تابع سيرك ! »

لكنه لم يولنى انتباها - بل لعله لم يسمع قولى - وانما أنزل ذراعى المركبة ، واخذ يساعد العجوز بلطف حتى نهضت . واذ كان يساندها بذراع واحدة سألها : « أأنت بخير ؟ »

- لقد أصبت ..

وكنت قد رأيتها وهى تهوى ببطء وأناة ، فأيقنت بأنها لايمكن أن تكون قد أوذيت ، بل لا بد من انها كانت تصطنع ذلك ، وهو أمر كان خليقا بأن يلقى منى استنكارا .. لقد كان الحوذى يبحث عن المتاعب ، وها هو ذا قد حصل عليها ، فعليه وحده اذن أن يخرج نفسه منها !

بيد ان الحوذى لم يتردد لحظة - بعد ان قالت العجوز انها قد اصيبت - بل ظل ممسكا بذراعها ، يساعدها على السير ببطء .. وتطلعت الى الامام فرأيت احد مراكز البوليس ، وقد حالت الريح دون أن يوجد أحد خارجه . ومضى الحوذى يساعد



المرأة على التقدم .. حتى باب المركز !

وفجأة .. انتابني شعور غريب . لقد خيل الى ان شكله الأغبر ، المتباعد ، قد تضخم فأصبح – فى تلك الوهلة – أكبر من حنيقته . وأخذ يزداد ضخامه ، كلما ابتعد ، حتى لقد أصبح على أن أصعد البصر الى أعلى لأراه ! . وفى نفس الوقت .. خيل الى انه يسلط على ضغطا متزايدا ، بدا انه يوشك ان يسيطر على النفس الضئيلة الكائنة تحت معطفى المونتى بالفراء!

وخيل الى – وأنا جالس فى مكانى دون ما حركة – ان حيويتى بدأت تغيض ، وان عقلى يخوى .. الى أن أقبل أحد رجال البوليس ، فهبطت من المركبة .

وجاءنى الرجل فقال : « استقل مركبة اخرى .. فلن يتسنى له المضى بك بعد ذلك » .

وبدون ما تفكير ، وجدتنى أخرج من جيب معطفى حفنة من النقود النحاسية ، فأسلمها الى رجل البوليس قائلا : « تكرم باعطائه هذه ! »

وركدت الريح تماما ، لكن الطريق ظل هادئا .. وسرت فى سبيلى أقلب الفكر ، ولكنى كنت خائفا من أن أعكس أفكارى على نفسى ، ولو اننى غضضت النظر عما حدث ، فما الذى كنت أعنيه بحفنة النقود ؟ .. أهى مكافأة ؟ ومن أنا حتى أقيم نفسي حكما على الحوذي وأهلا لتقدير أعماله ؟ .. لكن اجابة ما لم تواتنى قط !

ان هذا الحادث لايزال واضحا فى ذاكرتى حتى الآن ، وكثيرا ما بعث فى نفسى الهم ، وحملنى على أن أفكر فى هذه النفس !.. لقد نسيت الشئون الحربية والسياسية لتلك الفترة .. تماما كما نسيت المؤلفات الأدبية القديمة التى قرأتها فى طفولتى . أما هذا الحادث ، فما زالت ذكراه تعاودنى ، فى حيوية تفوق الحياة الحقيقية ، فتعلمنى الشعور بالخجل ، وتستحثنى على الاصلاح ، وتمدنى بشجاعة جديدة .. وأمل !

# ( الاوبرا ) فى أدب الصين ...

• **قدمنا** لك فيماسبق من صفحات هذاالكتاب ، نموذجين من القصص الصينى العريق ، الممعن فى القدم الى درجة يتعذر معها معرفة المؤلفين .. وهذان هما قصتا : « جواهر الغانية » و « صانع الذهب » . كما قدمنا نموذجين من القصص الصينى الحديث ، للكاتب الخالد «لوشون» ، هما : «حسرة على الماضى» ـ التى تمثل الصراع بين الشباب الحديث الثقافة ، والمجتمع الرازح تحت ركامات من التقاليد ـ و « حادث ! » . ثم قدمنا لك قصة من الأدب القديم ، صاغها « لو شون » بأسلوب حديث ، واتخذها رمزا للصراع بين الحق والظلم .. وهى قصة « السيف العجيب » .

**وان تكتمل لديك الفكرة الشاملة عن الأدب الصينى العريق، الا اذا قدمنا لك احدى « الأوبرات » .. فان فن كتابة « الاوبرا » من أبرز ألوان الأدب هناك .**

ومن الطبيعى أن تسبق المسرحيات «الأوبرات» فى الظهور. وهذا ما حدث فى الصين فعلا . وقد ظهر فن كتابة المسرحيات وازدهر ، قبيل نهاية القرن الثالث عشر الميلادى . ثم ازداد ازدهارا وثباتا ، فى القرون الثلاثة التى تلت ذلك ، اذ استتب خلالها الحكم لأسرة « منج » ولم تعد البلاد موزعة بين القلاقل والحرب . وعندما قدر للأوبرات أن تظهر ، صادفت رواجا وتحبيذا . ثم ادخلت ـ فى أواسط القرن الثالث عشر ـ تجديدات على فنى التلحين والغناء ، فى « الأوبرات » التى كانت شائعة فى الحوض الجنوبى لنهر ( يانجتسى ) ، فخلق بذلك نوع خاص من « الأوبرات » ، اشتهر فى الصين باسم « أوبرا كرنشو » ، وهو يقوم اساسا على الجمع بين الكلام والغناء ، كما سيرى القارىء فى « الأوبرا » التى نقدمها له

فيما يلى ، اذ يتخلل الحوار أبيات من الشعر ، ترجمناها له نثرا .

وأدى هذا الى مرحلة جديدة فى تاريخ المسرح والموسيقى والغناء فى الصين . وترتب على هذه النهضة ظهور مدارس مختلفة فى فن « الأوبرا » ، منها ما وجه عنايته الى الناحية الأدبية والأسلوبية فى القصة ، ومنها ما ركز اهتمامه فى الناحية الموسيقية والغنائية والتمثيلية قبل كل شىء .. **ومنها ما عنى بالناحيتين على السواء . وقد كان من قادة هذه المدرسة الأخيرة « تشو سو ـ تشين » ، الذى ترجمنا «العدالة» عن « الأوبرا » التى صاغها فى أواسط القرن السابع عشر ، واشتهرت باسم « خيوط النقود الخمسة عشر »** . وقد عاش « تشو سو ـ تشين » فى حقبة من الزمن ، كان الفساد قد دب فيها فى الأداة الحاكمة للصين ، فبدأ الفلاحون فى التمرد واثارة القلاقل ، ومن ثم اتخذت « الأوبرات » طابعا قوميا ، اصلاحيا ، يحبذ الروح الوطنية ، ويحارب الفساد والتداعى ، ويكشف عن محن القوم وعن نواحى الاصلاح

* * *

• **ونقول** ان « تشو سو ـ تشين » صاغ ـ وليس الف ـ هذه « الأوبرا » ، التى نقدمها فيما يلى ، لأنه لم يكن ـ فى الواقع ـ صاحب الفكرة الأولى فيها ، وانما هو اقتبسها عن الأدب الشعبى القديم ، وقد أخذ عقدة هذه الأوبرا ، عن قصة كانت شائعة قبل القرن الرابع عشر ، وقد عرفت باسم « أعدام تسوى نينج ظلما » .. وهى تدور حول رجل فقير ، اقترض من حميه خمسة عشر خيطا من النقود ، ليبدأ بها تجارة . ثم شاء أن يمازح محظيته ، فزعم لها أنه باعها بهذا المبلغ ، مما حملها على أن تهرب فى جنح الظلام . واذ أوشكت أن تضل طريقها ، التقت بتاجر شاب يدعى « تسوى نينج » ، كان يقصد المكان الذى فكرت فى أن تلوذ به ، فسارت معه .

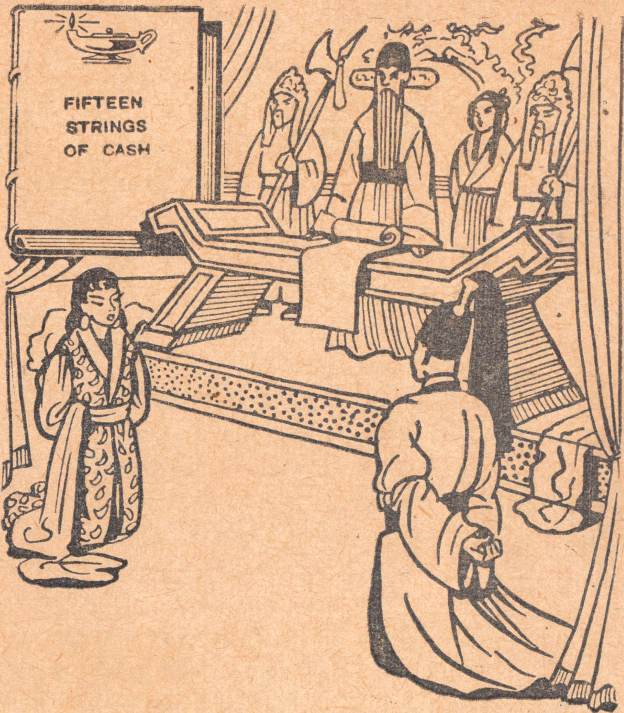
وتصادف ان كان الشاب يحمل خمسة عشر خيطا من النقود .

**وفيما كان الشابان فى الطريق ، اغتيل مولى المحظية ، وارتاب المسئولون فى المراة — عندما اكتشفوا غيابها عن الدار — فانطلقوا وراءها حتى لحقوا بها فى رفقة (( تسوى نينج )) ، فاعتبروه عشيقها ، واتهموهما بسرقة خيوط النقود الخمسة عشر ، واغتيال الرجل** . وكان أن أعدما ظلما . على أن الايام لم تلبث أن كشفت عن القاتل الحقيقى ، ولكن .. بعد فوات الفرصة لأصلاح الخطأ ، وتحقيق العدالة للمظلومين .

على أن (( تشو )) آثر للعدالة ان تنتصر ، بان اضاف الى القصة الأصلية عقدة قصة قديمة اخرى ، مؤداها ان فأرا سرق بعض المصوغات من غرفة فتاة ، ودلف بها الى حجرة شقيق خطيبها .. ثم سرق خمسة عشر خيطا من النقود ، من غرفة جار آخر ، ودلف بها الى غرفة الفتاة دون أن تفطن . وشاءت المصادفة للفأر ان يجر الى غرفة ذلك الجار كعكة مسمومة ، عثر عليها الرجل فأكلها ، ومات !.. وبالبحث ، وجدت الخيوط النقدية لدى الفتاة ، ووجدت المصوغات لدى شقيق خطيبها ، **فاتهما بأنهما عشيقان ، وبانهما اغتالا الجار ليحصلا على نقوده ويفرا بها معا !.. على ان (( تشو )) وضع فى مكان (( الفأر )) — عندما اقتبس القصة لأوبراه — لصا احتفظ له بلقب (( الفأر )) !**

وأدى ادماج القصتين الى ان صارت (( الاوبرا )) تتألف من ثمانية وعشرين مشهدا . على ان المعنيين بفن (( الأوبرا )) — فى القرن الثامن عشر — فطنوا الى أن الرواية بوضعها هذا، طويلة الى درجة الأملال . فأقبلوا يدرسون أصلها ، ثم عمدوا الي اختصار بعض مشاهدها ، والي تجريدها من بعض

الأحداث البعيدة عن المعقول ، ومن بعض المبالغات . فكان من نتائج هذا الاختصار ، انه ساعد على ايضاح الهدف الذى ترمى اليه المسرحية .. وهو مهاجمة القضاة الذين لايعبأون بتحرى العدالة — ممثلين فى القاضى « كوو » الذى حكم على الشابين بالاعدام — ومهاجمة كبار الموظفين الذين لايفهمون مناصبهم الكبرى الا على انها ترف وسلطان ومظهر ، ممثلين فى الحاكم « تشو » فى الأوبرا التى سنقدمها لك بعد هذه السطور




# عدالة!..

"أوبريت" من الأدب الشعبى الصينى

## المشهد الأول

• ستار يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الأمامى الذى يمثل طريقا عامة ، يترنح فيها « يو » ثملا ، وقد حمل على كتفه خمسة عشر خيطا مثقلة بالنقود (١)

**يو** : أف ! .. ما أثقلها .. كلما شربت انشرحت نفسى ،

**وكلما خسرت قل ما عندى ..**

**ورحت « فى يأسى – وقد طال اغلاق حانوتى –**

**أهيم على وجهى ، جريا وراء نقود أقترضها !**

لقد عشت على القروض ورهن متاعى ، مذ أغلقت حانوتى الذى كنت أبيع الخنازير فيه . وأسودت الدنيا فى وجهى . ولكن اخت زوجتى العزيزة الراحلة – التى تقيم فى ( كواتشياو ) – طيبة القلب ، سخية ، لحسن الحظ ، وقد قدمت لى اليوم قدحين من النبيذ ، وأقرضتنى خمسة عشر خيطا مثقلة بالنقود ، لابدأ بها تجارتى من جديد !

**فمن مثل اخت زوجتى ؟**

**ومن غيرها من النساء تبذل المفقر ما بذلت ؟**

**وها قد دوت نوبة المساء ، وأوشكت أن أبلغ دارى مع الغسق**

لقد اعتدت – فى الماضى – أن أعهد الى العم « تشين » بابتياع الخنازير لى . وعندما أذهب الى السوق غدا ، سأسأله – من جديد – ان يعيننى . ها هى ذى داره ، فهل تراه هنا ؟ .. ايها العم « تشين » !

**تشين ( من وراء الستار )** : من المنادى ؟

**يو ( بصوت عال )** : انه أنا ( **يقلص عضلات وجهه** ) تعال!

---

(١) كان الصينيون القدامى يسلكون قطع النقود فى خيوط ، يحمل كل منها عددا معينا من العملة .

**تشين ( وهو يدخل ) :** اذن ، فهذا أنت يا «يو» الحميم !.. أما زلت سادرا فى ألاعيبك ؟ ! .. ان الليل يزحف ، فماذا تبتغى منى ؟

**يو :** انظر يا عماه ! **( يشير نحو النقود مزهوا )**

**تشين :** من أين لك بكل هذه النقود ؟

**يو ( مازحا ) :** سرقتها من عابر طريق

**تشين :** ها أنتذا تعود الى المزاح ثانية

**يو ( ضاحكا ) :** اذا شئت الحقيقة ، فان هذه الخيوط الخمسة عشر ، المثقلة بالمال ، قرض من اخت زوجتى فى ( كواتشياو ) لتكون رأس مال لتجارتى

**تشين :** مرحى ! بهذا تستطيع ان تفتح حانوتك من جديد ، ولن تحمل بعد هم التفكير فى مصدر وجبتك التالية . كذلك ستزداد مبيعاتى من الخمر والزيت . فلنذهب معا ، كعادتنا ، اذا شئت أن تبتاع خنزيرا ، فى غد !

**يو :** شكرا لك يا عماه

**تشين :** أراك ثملا ، وأخشى ألا تتذكر . سآتى غدا لاصطحابك

**يو :** شكرا .. شكرا !

**تشين :** الى غد اذن ! **( يخرج ، ويسير (( يو )) الى داره )**

**يو :** اننى اذ أبارح حانوت تشين للبدالة ،
أصل الى حانوتى لبيع لحم الخنزير !
**( يدق باب الدار )** افتحى الباب .. افتحى !

**( تزاح الستار الداخلية ، فتكشف عن بيت ((يو)). وتدخل سو شو ـ تشوان )**

**سو :** ها أنذى قادمة ! **(تفتح الباب)** اذن فقد عدت يا أبى !

**يو :** أجل يا ابنتى **( يضع النقود عن كاهله )**

**سو :** من أين لك بكل هذه النقود ؟

**يو :** من أين تظنين ؟

**سو :** هل اقترضتها ؟



**سو شو ـ تشوان**
قامت بتمثيل دورها :
**( شانج شيه ـ نجو )**



**يو هو ـ لو**
قام بتمثيل دوره :
**( تشون تشوان تشينج )**

---

**يو** : ومن ترينه يتفضل فيقرضني مبلغا كهذا ؟
**سو** : اذن فكيف حصلت عليها ؟
**يو** : آه ، لم يعد من سبيل الى التكتم عنك . لقد خرجت اليوم فصادفت السيدة « تشانج » الخاطبة ، فأخبرتني بأن ابنة السيد وانج تتأهب للزواج ، وبحاجة الى جارية . . **ومن ثم بعتها اياك بخمسة عشر خيطا من النقود !**
**سو** : ما أراك جادا في قولك ؟ !
**يو** : سيكون عليك أن تذهبي الى هناك في بكور الغد ، فيحسن بك أن تشرعي في حزم ثيابك
**سو** : اواه ، يا أمي ! **( تخرج باكية )**
**يو** : كنت اتحدث مداعبا ، فاذا بها تحمل كلامي محمل

الجد . سأتركها الليلة فى قلق ، ثم أنبئها بالحقيقة فى غد .
يا لها من أمزوحة ! .. والآن ، لأخبىء النقود ، وأنعم بالنوم !
**( يستلقى على السرير ، فيروح فى سبات ـ تدخل سو )**
**سو ( باكية ) :** لست املك ان اكف عن البكاء ..
وكقارب وحيد ، فى البحر الشاسع العريض ،
أتقلب بين الوسائد ، وليس من شاطىء على مرمى البصر !
سأضرع ، متوسلة بذكرى امى الميتة ،
فاشفق عليها ، ورد تلك النقود !
أبى ! ابى ! .. آه ، انه مغرق فى النوم .
ما اراه أبى حقا ، والا فلماذا يعاملنى كغريبة ؟
لقد اعتزم ان يبيعنى ، فلماذا يشفق على ؟
أخشى ان لا أستطيع أن أحمله على الاصغاء لكلامى .
وفى أساى ، أضرع للسماء .. دون جدوى !
لكانما قلبى قد احترمته الاحزان ،
ولكم أنادى أمى ، حتى جفت شفتاى !
**( ترى ـ فى غمرة شقائها ـ « الشاطور » على المنضدة ، فتمسك به ، وتهم بأن تقتل نفسها ، ولكنها تمسك فجأة )**
مهلا ! .. انى لأذكر أن خالتى التى فى ( كواتشياو ) قد قالت لى يوما : « اذا كنت فى ضائقة ، فتعالى الى ! » . ولقد تحرجت الظروف ، حتى بات من المستحسن أن أذهب اليها .
آمل ان تنقذنى خالتى ! .. وما دام نائما مخمورا ،
فلأذهب الى ( كواتشياو ) بأسرع ما استطيع !
**( تتسلل من الدار . وتنطلق مهرعة ـ يدخل « لو » الفأر . اللص )**
**الفأر :** بالمقامرة أضعت كل ما كسبت بحيلتى ،
فلا بد لى من فريسة جديدة !
**أنا ـ « لو » الفأر ـ لست بالتاجر ولا المزارع ، ولكننى أعيش بذكائى . ولا يعنينى ما يحترفه الناس ، ولا ما هم**

عليه ! فاذا كان لديهم مال ، فمهمتى هى أن أتحايل على ابتزازه منهم ، أو على سرقته . ان لى لسمعة سيئة ، ولكن لى فى بيوت الميسر أخوة فى العهد .. ولى فى الحكومة كثير من الاصدقاء ، ومن ثم فاننى أحظى بالاحترام . لقد جردت رجلا من بعض النقود بالأمس ، ولكن الحظ لم يحالفنى ، فأضعته الليلة فى لعب الكعوب (١) . ان كعبى مثقل ، ولكن اللاعبين الليلة كانوا من القدامى المحنكين ، فلم أستطع أن أتحايل عليهم ولا بد لى الآن من أن أسترد نقودى . ولكنى لم أعد أملك ما أقامر به . يجب أن أعجل بالبحث عن أحمق غرير . ( يتلفت حوله فى لهفة ) ها ! ما السر فى أن باب « يو هو — لو » مفتوح ، ومصباحه لا يزال مضاء ؟ .. لا بد أنه قد عاد الى ذبح الخنازير ، فلأحصل منه على بعض اللحم بالنسيئة (٢) ، وأتناول وجبة طيبة ، قبل أن أقدم على شىء . ( يلج دار «يو» وهو ينادى ) ايها العم يو .. أيتها الأخت سو .. عجبا ، انه فى نوم عميق . لا بد انه ثمل ، ونسى أن يطفىء المصباح وأن يغلق الباب . لا بأس ، ها هو ذا « شاطور » على المنضدة ، فخليق بى أن آخذه فأحصل من ورائه على دريهمات .. ! هو ! .. انى لأرى كومة من النقود تحت وسادته . بديع ، بديع ! ( يضع الشاطور مكانه )

ان نجما موفقا يشع على ، فيا له من يوم سعيد !

( يتقدم ليأخذ النقود ، ولكنه يتردد خشية أن يوقظ يو )

ومع ذلك فانى ارتجف فرقا .. لقد كنت مهموما لافلاسى ، أما الآن :

بهذه النقود ، لم يعد ثمة مجال للهم !

---

(١) لعب النرد ، أى « زهر الطاولة » . والكعب المثقل « زهر » يضاف رصاص الى أحد جوانبه ، ليغدو ثقيلا ، فيستقر الزهر على هذا الجانب كلما رمى .

(٢) النسيئة التأخير .. والمقصود ان يدفع الثمن فيما بعد .

وبوسعى ان اذهب الى دار المقامرة :
فأقامر بمبالغ كبيرة .. واذا كسبت اشتريت غداء شهيا ،
ثم أزور فتيات الهوى والطرب !

**( يهم بأن يأخذ النقود ، فيستيقظ يو )**

**يو** : من هذا ؟ النجدة ! الى اللص .. اللص ! **( يقبض على « الفأر » ، الذى يظل صامتا )** اذن ، فهذا أنت ! .. انك مدين لى بنقود ، ومع ذلك فقد جئت لتسرق مالى !

**( يحاول «يو» أن يسترد نقوده ، فيتصارعان .. وينتهى الامر الى أن يقتل « الفأر » يو بالشاطور )**

**الفأر** : الآن ، ليس لك أن تلومنى يا « يو هو — لو » . فلو لم أقتلك ، لأثرت لى متاعب ما كان بوسعى أن أغالبها
فى يأسى ، قتلت الرجل .. فلأول الادبار بالنقود !

**( واذ يهم بمغادرة البيت ، يسمع خطوات الخفير تقترب ، فيرتد مسرعا الى الغرفة ، ويطفىء المصباح ، ويختفى وراء السرير . وتفلت بعض قطع النقود من الخيوط ، ولكن الوقت لا يسعفه بالتقاطها جميعا . حتى اذا سمع خطوات الخفير تجاوز البيت ، يطل برأسه ، فاذا ما رأى الطريق خالية ، جرى هاربا ، بعد أن يكون الكعب قد سقط منه وراء السرير ولا يلبث الشيخ تشين أن يدخل )**

**تشين** : القريب فى عون القريب ، والصديق للصديق
الغنى يساعد الغنى ، والفقير للفقير
ان الباب مفتوح ، فلا بد انه قد استيقظ . **( يستمر فى سيره الى الداخل )** يا «يو» العزيز .. يو ! آه ، ما هذا الملقى على الأرض لتتعثر فيه الناس ؟ انه « يو » . هاى ، انت ، استيقظ ! .. لماذا تنام على الارض بدلا من السرير ؟ **( يهز يو )** النجدة ! النجدة ! انه ملطخ بالدم ! لقد قتل الرجل ! سو — تشوان ! سو — تشوان ! .. لقد اختفت الفتاة ! **( يخرج )** ايها الجيران ! ايها الجيران ! جريمة ! .. الى جميعا !



(( لو الفأر ))
قام بتمثيل دوره
( وانج تشوان – سونج )

( يدخل أربعة من الجيران و (( الفأر )) ) الجاران الاول والثانى: فيم صياحك ؟

تشين : النجدة ! .. اغتيال !

الجاران الثالث والرابع : ومن الذى اغتيل ؟

تشين : يو هو – لو !

الجيران : آه !

الفأر : لست أصدق قولك !

تشين : ادخلوا فتبينوا بانفسكم !

الجيران : هيا بنا ، لندخل فنتبين ماهناك (يدخلون فيتولاهم الذعر للمنظر )

عنقه مقطوع ، والدم يجلل صدره كله .. ووجهه كالشمع .. وهو يرقد على التراب ميتا !

تشين : انظروا هذا الدم الذى يخضب (( الشاطور ))

الجيران : من الجلى انه قتل بالشاطور

الفأر : اواه ، الا انظروا كل هذا الدم ! .. الا يدير رؤوسكم ؟!

الجيران : كيف قدر لك ان تكشف الامر أيها العم تشين ؟

الفأر : حقا ، كيف علمت ؟

تشين : لقد جاءنى فى الليلة السالفة ، فأخبرنى بأنه اقترض خمسة عشر خيطا من النقود ، من اخت زوجته فى (كواتشياو) ، وسألنى أن أساعده على ابتياع خنازير فى هذا الصباح . لهذا جئت – عندما أسفر الصبح – لأصطحبه . ولكنه كان ميتا !

الجار الثانى : واين الخمسة عشر خيطا من النقود ؟

تشين ( يجيل نظره فى المكان ) : يبدو انها اختفت

**الجار الثالث** : وأين ابنته ؟
**تشين** : اختفت هى الاخرى
**الجيران** : عجبا ! .. الأب ميت ، والفتاة اختفت .
يقينا انه لأمر يثير الريب !
**الجار الرابع** : لا بد ان خيوط النقود هى أس البلاء ،
كتب عليه ان يعيش فقيرا ، ويلقى هذه النهاية البشعة !
**تشين** : لعل لصا سرق النقود وقتله .. وخطف الفتاة كذلك !
**الجار الثانى** : من عادة القاتل ان يحمل سلاحه معه ،
فمن الغريب ان يستخدم هذا الشاطور !
**الجار الأول** : لعلها سو ــ تشوان .. قتلت أباها وفرت بالنقود !
**الجار الثالث** : لا ، فان سو ــ تشوان فتاة طيبة ، أمينة ، لا تجرؤ قط على عمل شرير كهذا !
**الفأر** : يقول المثل ، كما تعرفون : اذا كبرت البنت

فمن المتعب استبقاؤها فى البيت .
ولا بد ان لسو ــ تشوان عشيقا فقتلا الأب وسرقا المال
وها قد طار العصفوران العاشقان المجرمان !

**تشين والجار الثانى** : ولكن ، هل رآها أحد مع رجل ؟
**الجيران الاول والثالث والرابع** : هل رأينا لها عشيقا قط ؟
**الفأر** : ان للفتاة فى سنها آراء خاصة ،

وانها لتعانى الوحدة .. بلا رجل .
واذا كان لها عشيق ، فمن الطبيعى أن تكتم أمره .
على ان الذى استخدم هذا الشاطور ليس غريبا !
لا ، لقد كانت تتظاهر بالاستقامة ، ولكن ..
الفاجرة كانت تدبر الشر ، طيلة الوقت .
انها القاتلة يقينا ، فلا داعي للبحث والتحرى !

**تشين :** سواء كان هذا عملها أو عمـل لص ، فليس من المحتمل ان يكون القاتل قد ابتعد . فلنقسم أنفسنا **( يوجه الحديث للجارين الثانى والرابع )** يحسن بكما ان تحملا النبأ الى دار الحكومة **( للجارين الاول والثالث وللفأر )** وعلينا نحن الاربعة أن نطارد القاتل !

**الجاران الثانى والرابع :** حسن .. سنبلغ الامر الى الحاكم **( يخرجون )**

**الجاران الاول والثالث وتشين :** هيا .. لنلحق بالقاتل **( يخرجان )**

**الفأر :** سأذهب معكم ! .. سأذهب معكم **( يخرج ، وتهبط الستار )**

## المشـــهد الثانى

• **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الامامى الذى يمثل طريقا عامة ـ خارج المدينة ـ يبدو فيها « شيونج يو ـ لان » مسرعا ، وهو يحمل على كتفه خيوطا مثقلة بالنقود

**شيونج :** ها انذا انطلق !

ان اسرتى فقيرة ، فانا اعمل لاعول والدى ،
وان حياتى لمريرة ، اذ اعمل لحساب غيرى ..
ان مولاى تاجر غنى .. وكم اقاسى من صعاب
اذ أبيع وأشترى دائما ، لكى يثرى هو ..
من سوتشاو ، الى هانكاو ، الى هوكاو ، وكوانجتشاو
أتاجر فى الحرير والاعشاب ، ونفائس البحر والجبل

**( يخرج ، فتدخل سو ـ تشوان ، وهى جد متعبة )**

**سو :** لكم تؤلمنى ساقاى ، وآه لقدمى ! **( تتعثر )**

ان حلقى جاف ، وانى لمبتلة بالعرق ،
ولكنى مضطرة للاسراع ، فربما كانوا فى أثرى .
لقد انهكنى الجرى ، وان رأسى ليدور . ترى كم بقى امامى

حتى اصل الى ( كاوتشياو ) ؟ لكم قست الحياة على !
وانا يتيمة ، لا أهل لى ، كورقة ذابلة فى مهب الريح
ليس لى من يشفق على ، أو يفكر فى ..
وأملى الوحيد خالتى فى ( كاوتشياو ) ، فسأبثها متاعبى

**( تخرج ـ يظهر الجيران فيعبرون المسرح يتابعونها ـ يدخل شيونج يو ـ لان )**

**شيونج :** انى لاعمل كالثور حتى تتبدد قواى ،
ومع ذلك فلا أكاد أعول أبوى ..
فهل سيقدر لى أن اريحهما ، وأعيش سعيدا ؟

**سو ( من خارج المسرح ) :** أيها المسافر .. هلا وقفت لحظة!

**شيونج :** آه ، انها فتاة !.. لعلها تسأل الطريق .. ولماذا هى وحيدة ؟

**( تدخل سو شو ـ تشوان )**

**سو :** اننى نادرا ما اغادر بيتنا ،
ولذا ضللت الطريق ، وانهكنى التعب .. فناديتك !
فهلا ارشدتنى الى الاتجاه المفضى الى (كاوتشياو) ؟

**شيونج :** وفيم تعجلك يا أختاه ؟

**سو :** اننى اسعى الى قريبة لى فى ( كاوتشياو )

**شيونج :** ولماذا لا يرافقك أحد من أسرتك ؟

**سو :** لأنه .. لانه .. ثمة مشاغل كثيرة فى البيت ،
ولم يسع والدى الحضور ، ومهمتى فى ( كاوتشياو ) عاجلة ، ولكننى لا اعرف الطريق .. فهلا ارشدتنى ؟ .. أرجوك !

**شيونج :** اذن ، فهذا هو السر . اذا كنت ذاهبة الى ( كاوتشياو ) ، يا أختاه ، فمن المصادفة اننى مسافر فى عين الاتجاه ، وفى الوسع ان نمضى معا

**سو :** شكرا لك !

**شيونج وسو :** أسير امامها وتسير خلفى

يسير أمامى وأسير خلفه
ومع اننا نسافر معا ، فنحن غريبان .. غريبان !
وما سألتها اسمها .. وهل للاغراب أن يسألوا ؟
**الجار الاول ( من خارج المسرح )** : هناك شخصان أمامنا .. أفيكونان القاتلين ؟ .. لنسرع حتى نلحق بهما !
**شيونج وسو** : وفجأة ، ها نحن نسمع صياحا !
**الجيران ( من خارج الستار )** : هاى ، قفا .. انتما يا من تسبقاننا !
**شيونج وسو** : ونرى رجالا يجرون نحونا !
**( سو شو ــ تشوان تترنح ذعرا فيساندها شيونج ، عندما يدخل تشين والجيران الاول والثالث والفار . ويبدو عليهم الذهول اذ يرون الفتاة مع غريب )**
**الجيران** : آها ! .. انا لنعرف وجوه الناس ، وتخفى علينا قلوبهم !
ما ظنناها .. تقدم على مرافقة قاتل شرير !
**تشين** : ما أبدع ما فعلت يا شو ــ تشوان !
**سو** : اننى ذاهبة لزيارة خالتى ، ايها العم تشين . فأى عيب فى هذا ؟
**الجيران** : لقد اغتيل أبوك
**سو ( جزعة )** : ماذا ! .. أمات أبى ؟
**( تهم بالرجوع ، فيسدون عليها الطريق )**
**الجيران** : الى أين تهمين بالذهاب ؟
**سو** : اننى ذاهبة لارى ما جرى !
**الجيران** : آه ! .. من الذى تخالين انك تخدعين ؟
**سو** : اذا كان ابى قد قتل ، فلماذا لا تدعوننى اعود لارى ؟
**الجيران** : بيديكما معا ، قتلت وعشيقك اباك ،
وسرقتما ماله ، وخيل اليكما ان بوسعكما الهرب .
وها نحن قد أمسكنا بكما ، فلا تطمعا فى نجاة !

**شيونج :** لا عجب فى انها كانت متعجلة **(يهم بالانصراف)**
**الجيران :** هاى ! ليس لك ان تنصرف !
**شيونج :** ولم لا ؟
**تشين :** اذا انصرفت فمنذا الذى يحمل وزر جريمتك ؟
**الفار :** حقا .. افتريدنى **أنا** على أن أحمل عنك وزرك ؟
**التجار الثالث :** لا تضيعوا الوقت فى الكلام . لنر ما اذا كانت النقود الخمسة عشر معه

**( يأخذون من شيونج نقوده ، بعد مناضلة )**

**شيونج :** هاى ! .. هذه نقودى انا !
**الجيران :** سنحصيها ونرى !
**تشين :** لاعدها ؟ خمسة ، عشرة ، خمســـــة عشر ! .. أرأيت ، انها لا تزيد خيطا ، ولا تنقص خيطا ، بل انها خمسة عشر تماما ! .. افتريد بعد هذا أن تموه علينا ؟
**الجيران :** لقد سرقت ، وقتلت ، واختطفت فتاة ، ايها الكلب الذى أوتى قلب ذئب !
**الفار :** أيها الافاق الشرير .. ايها الخبيث . ايها القاتل !
**شيونج :** ان اسمى ، ايها السادة ، هو «شيونج يو ــ لان» ، وأعمل فى خدمة التاجر « تاو فو ــ تشو » . ولقد أعطــانى مخدومى هذه الخيوط النقدية الخمسة عشر ، لاحملهــا الى ( شانجتشاو ) ، فأبتاع بها امشاطا خشبية . وما وقع بصرى على هذه الشابة من قبل ، فكيف تتهموننى باننى قاتل ؟
**ســو :** اننى لم أر هذا الرجل قبل اليوم .. فلا تسيئوا الى برىء !
**الجيران :** وكيف نثق بشهادتك ؟.. من يدرينا بأنك لست كاذبـــة ؟
**شيونج :** ان مخدومى « تاو فو ــ تشو » يقيم فى فنــدق « الضيافة » امام معبد « يوانمياوكوان » ، فى ( سوتشاو ) ، وفى وسعكم ان ترسلوا من يتحرى صدق قولى ، اذا أبيتـم

ـ أيها السادة ـ أن تصدقوني !

**الجيران ( يتبادلون النظرات فى تشكك ) :**

أفنصدقه ام لا .. أوهذا صحيح أم كذب ؟
انها لمشكلة عسير علينا ان نبت فيها

**الفار :** لقد وضعنا أيدينا على المذنبين ، وعثرنا على المال المنهوب . واذا لم يكونا قد قتلا « يو هو ــ لو » ، فمن تراه قاتله اذن ؟

**( يدخل رسولان من لدى الحاكم ، مع الجارين الثانى والرابع )**

**الفار :** ها هما ذان القاتلان ايها الاخوة ، اسرعوا واقبضوا عليهما !

**( يضع الرسولان الاغلال فى أيدى شيونج وسو )**

**الرسولان :** اذا قتلتما رجلا ، فلا بد من حياتيكما ثمنا
وليس لكما ان تلوما سوى نفسيكما .. فهيا !

**الجيران :** مهلا ! .. يجب أن نصل الى لب الامر أولا !

**الرسول الثانى :** هيا ! .. ويحسن ان تأتوا جميعا كذلك الى المحكمة !

**( ويسيرون تباعا ، والفار فى مؤخرتهم ـ وتسدل الستار )**

## المشهد الثالث

• **محكمة** اقليم (ووسيه)، يدخل الرسولان الثالث والرابع، يتبعهما «كوو ــ تشيه» قاضى ( ووسيه ) .

**كوو :** ان القوم هنا مشاكسون عنيدون ،
وبفضل الفاسقين والاشرار اصبحت القضايا لا تنتهى ،
لابد ــ لاستقرار الامن ــ من ان أسوسهم بقضيب من حديد ، فلن تنتهى القلاقل ، مالم أعلمهم أن يرهبونى !
لقد عرض لي كثير من القضايا العويصة ، منذ توليت هذا



**كو يو ـ شيه**
قام بتمثيل دوره :
**( تشو كو ليانج )**



**شيونج يو ـ لان**
قام بدوره :
**( كونج شيانج ـ فو )**

المنصب . ولحسن الحظ استطعت ـ برغم لؤم أهل هذا الاقليم ـ أن أصل الى قرار فى تسع من كل عشر قضايا ، بفضل ما أوتيت من قوى التحرى . وأصبح ذكائى وحزمى معروفين للجميع ، من الحاكم حتى عامة المواطنين . ولسوف احاكم اليوم قاتلى « يو هو ـ لو » ، وقد تم القبض عليهما . فلأتخذ مجلسى للفصل فى القضية. افتحوا المحكمة !

**الرسولان الثالث والرابع** : سمعا يا صاحب الشرف !

**كوو** : استدعوا جيران الميت !

**الرسول الثالث** : ليمثل الجيران امام المحكمة ! ( يدخلون ويركعون )

**الجيران** : تحياتنا لصاحب الشرف !

**كوو** : اكلكم جيران يو هو ـ لو ؟

**الجيران :** أجل يا صاحب الشرف !
**كوو :** قفوا واجيبوا عن اسئلتى
**الجيران :** سمعا يا صاحب الشرف **( ينهضون )**
**كوو :** كيف عرفتم ان يو هو ـ لو قد اغتيل ؟ .. وكيف قبضتم على القاتلين ؟
**تشين :** ليسمح لى صاحب الشرف ان اقول ان الامر كان على هذا النحو : لقد جاءنى « يو هو ـ لو » مساء أمس ـ بعد أن اقترض خمسة عشر خيطا نقديا من قريبة فى ( كاوتشياو ) ـ فسألنى أن اعينه على شراء خنازير. وخشيت ان يستغرقه النعاس ، لانه كان ثملا للغاية ، ومن ثم فاننى استيقظت مبكرا، وذهبت اليه .. واذا بى أجده قتيلا ! واذا ابنته «سو شو ـ تشوان» قد اختفت. فذهب بعضنا لينهى الامر الى السلطات، بينما أسرع الباقون للقبض على القاتلين . ولقد مضينا الى ( كاوتشياو ) تقريبا ، واذا بنا نرى « سو شو ـ تشوان » فى الطريق ، مع رجل . وكان الرجل يحمل خمسة عشر خيطا نقديا تماما ...
**كوو :** آه ! اذن فقد كان شيونج يو ـ لان يحمل خمسة عشر خيطا نقديا ، تماما ؟!
**الجيران :** اجل ، يا صاحب الشرف !
**كوو :** وكانا يسيران معا .. أليس كذلك ؟
**( يستغرق فى التفكير ، بينما يظل الجيران صامتين . ثم يستأنف الحديث )** فى هذه الحال .. كأن «شيونج يو ـ لان» و « سو شو ـ تشوان » كانا عاشقين ، وقد تآمرا على القتل معا .. لا شك فى ذلك !
**الجيران :** لا علم لنا بذلك يا صاحب الشرف
**الفأر :** اذا كان صاحب الشرف يقول انهما قد تآمرا ورسما معا هذه الجريمة ، فلا بد ان هذا عين ما حدث !
**كوو :** حسنا . انصرفوا **( ينصرف الجيران )**

**الفار** : آه ! ان صاحب الشرف بارع الذكاء ، حاسم فى قضائه حقا ! .. آها ! انه لقاض بارع الذكاء ، حاسم ! **(يخرج)**

**كوو** : ادعوا سو شو – تشوان !

**الرسول الثالث** : لتمثل سوشو – تشوان امام المحكمة !

**( الرسولان الاول والثانى يجرانها الى المحكمة )**

**الرسول الاول** : ها هى ذى الخيوط النقدية الخمسة عشر المسروقة

**سو** : يا صاحب الشرف

**كوو** : ارفعى رأسك ، وانظرى الى !

**سو** : لست أجرؤ

**كوو** : عندما اطلب اليك ان ترفعى رأسك يجب ان ترفعيه! **( ترفع سو شو – تشوان رأسها )** انها لبديعة كالزهرة ... من الطبيعى ان يكون لها عاشق .. وهى فتاة شابه ، حارة الدماء ، فى ربيع العمر ! .. وما ان وقعت فى هوى هذا الوغد، حتى بات من الطبيعى ان تهفو نفسها الى الهرب معه . ولما كان ابوها يقف فى طريقها ، فقد قتلته وسرقت ماله .. ما كان ليرتقب غير هذا ! .. ان بوسعى – دون ما سؤال – ان أحدس ما حدث . يا سو شو – تشوان ، لماذا تآمرت مع هذا الشقى على سرقة الخمسة عشر خيطا من النقود ، وعلى قتل ابيك ، والفرار ؟

**سو** : لم افعل شيئا من هذا ، يا صاحب الشرف !

**كوو** : ها ! انها تنكر الامر كله ! .. اذن فأجيبى عن سؤالى هذا : كيف تسنى ان يكون اسمك سو (١) ، فى حين ان اسم أبيك يو ؟

**سو** : لقد مات أبى الحقيقى وانا طفلة ، فلما تزوجت أمى ثانية اخذتنى معها الى بيت زوجها . بيد اننى احتفظت باسم

---

(١) فى الاسماء الصينية ، يكون الاسم الاول عادة هو اسم الاب أو لقب الاسرة .

أبى . ولهذا فاننى ادعى « سو »

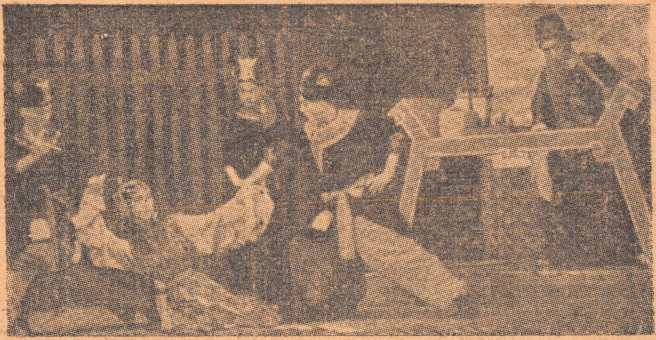
**كوو :** الآن عرفنا السر ! .. انك لم تكونى ابنته ، فلما رآك تغازلين وتسيئين الى سمعته ، كان من الطبيعى ان يقسو فى الحديث اليك . فاذا بك تكرهينه ، وتقررين قتله . اليس هذا هو ما حدث فعلا ؟

**سو :** ما فعلت شيئا من هذا قط !

**كوو :** هراء !.. ان المثل يقول : « اذا شئت ان تدعو الرجل لصا ، فامسكه متلبسا !.. ولكى تصم امرأة بالزنى لابد من ان تفاجئها مع عشيقها ! » .. ولقد اعتقلت وذلك الوغد ، وها هى ذى الخيوط النقدية الخمسة عشر ، كما ان الجيران شهود .. وأمام كل هـذه القرائن ، ليس بوسعك ان تقولى اننى اتهمك ظلما !

**سو :** ولكننى لم ارتكب ذنبا يا صاحب الفضيلة !
لقد باعنى أبى ، لانه احتاج الى نقود ،
ولكنى لا املك ان اطيق ان اكون جارية ،
لهذا فررت ليلا ، فلما عجزت عن تبين سبيلى ، سألت رجلا صادفنى فى الطريق ..
ثم دهمتنى الشبهات .. ووجدت نفسى ـ اذ حاولت النجاة من ضائقة ـ فى مأزق اسوأ !

**كوو :** مجموعة من الاكاذيب ! .. لقد انبأنى الجيران لتوهم ان اباك اقترض هذه الخيوط النقدية الخمسة عشر من احدى القريبات . وها انتذى ـ لتلطخى اسمه ـ تتهمينه بانه باعك ! .. انك رغم صغر سنك مجردة من كل حياء .. فانت مجرمة شديدة الجحود ! .. لقد استطعت أن أغوص الى قرار قضايا كثيرة ، تفوق هذه صعوبة .. فليس بوسعك أن تغررى بى ، مهما يكن دهاؤك !
ايتها اللصة قاتلة ابيها .. كيف تجسرين على انكار جرمك !



لسوف تسدرين فى التحدى ، مالم آمر بعقابك .
فهيا وبادرى بالاعتراف !

**سو :** كيف اعترف وأنا لم ارتكب ذنبا ؟

**كوو :** عجبا ! .. خذوها فأذيقوها طعم مضغط الابهام ! (١)

**( يجر رسولان سو شو ــ تشوان الى الخارج . ولا يلبث أن يعود الرسول الاول )**

**الرسول الاول :** ان الفتاة لا تحتمل التعذيب .. لقد أغمى عليهـــا !

**كوو ــ** اوقفوا التعذيب ، اذن !

**الرسول الاول :** اوقفوا التعذيب !

**( رسولان يجران سو شو ــ تشوان الى المحكمة . فتتهالك على الارض )**

**كوو :** احملوها على توقيع الاعتراف !

**الرسول الاول :** وقعى !

**( تعجز سو شو ــ تشوان عن الامساك بفرجون الكتابة ، بين أصابعها التى تعرضت للتعذيب ، فيطبع الرسول الاول بصمة أصبعها عنوة على الوثيقة )**

---

(١) آلة للتعذيب يطبق شقاها على أصابع الفريسة .

**كوو :** خذوها الى الخارج ، فكبلوها بالاغلال ، والقوا بها فى السـجن !

**(يجر رسولان سو شو ـ تشوان الى الخارج ، ثم يعودان)**

**كوو :** احضروا ذلك الشقى شيونج !

**الرسولان الاول والثانى :** ليمثل الشقى شيونج أمام المحكمة!

( يجرانه للداخل )

**شيونج :** يا صاحب الشرف !

**كوو :** شيونج يو ـ لان ! .. لقد نفذت ورسمت مع سـو شو ـ تشوان مؤامرة ، فسرقتما خمسة عشر خيطـا من النقود ، وقتلتما يو هو ـ لو .. فهيا اعترف فورا !

**شيونج :** التمس من صاحب الشرف ان تصغوا لى :

لم اصل من ( سوتشاو ) الى هنا الا امس الاول ،
فى طريقى الى ( شانجتشاو ) ، طلبا للتجارة ..
وكانت الفتاة تجهل طريقها ، فرافقتها لان هذه طريقى
وما رأيتها من قبل ، ولا أحببت يوما ،
وهذه الخيوط النقدية الخمسة عشر لشراء بضائع ..
فما جرمى ؟

**كوو :** يا للسانك الذلق المعسول ، ايها الوغد ! .. اذا صح انك كنت تسعى من (سوتشاو) الى (شانجتشاو) ، فكيف تسنى لك ان تقابل سوشو ـ تشوان فى هذا الوقت بالذات ؟ .. اذا كنت لم تلتق بها من قبل ، فلماذا كانت تسير معك وليس ثمة رفيق آخر لكما ؟ .. اذا كانت الخيوط الذهبية الخمسة عشر لشراء سلع ، فلماذا قدر لهذا المبلغ أن يعادل تماما ذاك الذى سرق من يو هو ـ لو ؟ .. لقد اعترفت سـو شـو ـ تشوان بالحقيقة . أسرع ، واعترف !

**شيونج :** كيف اعترف وانا برىء ؟

**كوو :** عجبا ! .. خذوه فاجلدوه اربعين سوطا !

**( الرسل يضعون ايديهم على شيونج ليجروه الى الخارج )**

كوو : ماذا ؟ .. لعلك تحتمل عقابا بسيطا ،
ولكنه ليس عذابا بسيطا .. اذا أبيت الاعتراف .
ان مضاغط السيقان فى انتظارك !
شيونج : اننى برىء ! كوو : اذهب ! .. عذبوه !
**( يجر الرسل شيونج يو - لان الى الخارج . وسرعان ما يعود الرسول الاول )**
**الرسول الاول** : لقد اغمى على المجرم
كوو : اذن ، فكفوا عن التعذيب
**الرسول الاول** : كفوا عن التعذيب ! **( يخرج )**
**( يجر الرسل شيونج الى القاعة ، فيتهالك على الارض )**
شيونج : أأتهم بالقتل لاننى سرت مع الفتاة ؟
لقد اصبت بصاعقة ! .. الا ما أقسى العذاب !
**الرسل (يتجمعون حوله)** : اعترف ! **( لا يرد شيونج )**
كوو : احملوه على الاعتراف !
**شيونج ( يختطف فرجون الكتابة مغضبا )** :
ان الظلم لاعمق من المحيط !
**( يضطره الرسل الى التوقيع )**
كوو : مرحى ! خذوه الى الخارج فغلوه ، والقوا به فى السجن !
**( الرسل يجرون شيونج وهو يصرخ بانه مظلوم )**
كوو - اوهو ! .. لم يقتضينى الوصول الى لب جريمة هامة كهذه ، وقتا يذكر .. وها قد جلوتها ، فأصبحت كالنهار وضوحا ! .. اجل !
ليس لغير الذكى ، ان يحسم قضية بهذه السرعة ! ..
لتنفض المحكمة !

**( تهبط الستار )**

## المشهد الرابع

• **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الامامى ،

الذى يمثل واجهة سجن ( سونشاو ) ـ يدخل اثنان من الموكلين باعدام المجرمين

**الجلاد الاول** : اننى احمل سيف القصاص

**الجلاد الثانى** : لأقتص من المجرمين ( **يسيران الى باب السجن** )

**الجلادان** : افتحوا الباب !

**حارس السجن** : سمعا ! ( **يفتح الباب** ) أهذان انتما ايها الصديقان .. وماذا وراءكما ؟

**الجلاد الاول** : ان الحاكم يأمر المتصرف (حكمدار) كوانج بالاشراف على اعدام المجرمين القادمين من مقاطعة ( ووسيه ) بمتصرفية ( تشانجتشاو ) الليلة . وقد امرنا بان نأخذ «شيونج يو ـ لان» الى ساحة الاعدام !

**السجان** : لحظة ايها الصديقان (**ينسحب الجلادان**) تعال يا شيونج يو ـ لان !

**شيونج (من خلف الستار)** : لتكن السماء فى عونى ! (**يظهر**)

لكم انقم على ما حاق بى من مظالم !

اللعنة على هذا الموظف الغبى .. وحكمه غير العادل !

**السجان** : تهانئي لك يا شيونج يو ـ لان (١)

**شيونج (فى اكتئاب)** : انى لارتجف لهذه التهنئة .. فهل تقصد .. ؟

**السجان** : لا بد من الموت وان عاش الانسان مائة عام ، فلا تفرط فى الأسى !

**شيونج** : سأعدم ظلما .. فكيف أرتاح فى قبرى ؟

**السجان** : لقد اصدر قاضي ( ووسيه ) حكمه ، فأعاد متصرف ( تشانجتشاو ) النظر فى قضيتك ، وأيد حاكم الأقليم الحكم . فليست لك الآن حيلة ، ولو كنت مظلوما !

---

**(١) كان التقليد ان ينذر المحكوم عليه بالاعدام ، بموعد اعدامه ، بان تقدم اليه التهاني !**

**شيونج :** ضربة من الحظ غير موفقة ، أضاعت حياتى !
فمنذا الذى يعنى بأبوى المسنين ، بعد اليوم ؟

**السجان :** لو ان متصرفنا «كوانج» هو الذى نظر قضيتك، لما كان ثمة مجال للاساءة الى العدالة ، فان كل امرىء يعرف ان المتصرف « كوانج » يحب الناس كأنهم ابناؤه ! .. انه خليفة المتصرف « باو » فى حب الشعب ، وسيشرف اليوم على اعدامك ! (١)

**شيونج :** أيشرف المتصرف « كوانج » على تنفيذ اعدامى ؟
ألا ليته يتحرى .. ليرد الميت الى الحياة !

**السجان :** ان الأوامر التى لديه ، تقتصر على الاشراف على الاعدام ، فليس فى سلطته ان يعيد المحاكمة . ولو انه عرف انك برىء ، لما وسعه أن يفعل شيئا !

**الجلادان ( من وراء ستار ) :** هيا ، فقد حان أوان الرحيل !

**السجان :** سمعا !

**( يرحل الجلادان مع السجين . ثم تزاح الستار الداخلية، لتبين ساحة متصرفية ( سوتشاو ) . يدخل حاجب وخادم يتبعهما المتصرف كوانج )**

**كوانج :** التزامى للقانون ، يجعلنى محبوبا ومهابا .. معا ،
ومع ذلك فما زلت أحاول فهم أسى الناس ،
ودراسة ظروفهم .. مجاهدا لأن أكون « باو » آخر !
لقد حظينا ـ مذ أصبحت متصرف (سوتشاو) ـ بمحصولات طيبة ، وغدا الناس هانئين . فلأنظر الآن فى تنفيذ هذا الأمر الصادر من السلطات العليا ، لأشرف على اعدام اثنين ، فى هذا المساء . ان الجلادين فى طريقهما الى هنا ، مع المسجونين !

**الجلادون ( من وراء الستار ) :** هيا .. ادخلا !

---

(١) كان « باو تشينج » متصرف اقليم ( كايفينج ) ، عاصمة الشمال ، فى عهد أسرة سونج ـ التى حكمت الصين بين سنتى ٩٦٠ و ١١٢٧ ـ وكان محبوبا لعدله .



**كوانج تشونج**
قام بتمثيل دوره :
**( تشو تشوان – ينج )**

**( المتصرف كوانج ، يتخذ مجلسه فى الساحة – يدخل اربعة من الجلادين يسوقون شيونج يو – لان وسو شو – تشوان )**

**الجلادون** : ها هما ذان المجرمان **( يقدمون أنفسهم للمتصرف )** لقد أحضرنا المجرمين الى الساحة !

**شيونج وسو** : اننى برىء يا صاحب الشرف ! .. انقذنى يا صاحب الشرف !

**كوانج** : ماذا ؟! .. من قتل يجب أن يفقد حياته ، فهذا مانص عليه بوضوح ، فى القوانين .. ارفعا راسيكما !

**( جلادان يساعدان شيونج يو – لان وسو شو – تشوان على رفع رأسيهما )**

كان جديرا بكما ان تكونا مواطنين مخلصين ، عاملين ..
بدلا من ان تكونا سارقين ، قاتلين ..
ولكنكما خرقتما قوانين الانسان والسماء .. فحق ان تفقدا حياتيكما !

**( يعود الجلادان الى مكانيهما السابقين )**

ما أقسى ان يلقى عاشقان مذنبان حتفهما بسبب الشهوة !
ما أزرى ان يموت لصان ضحية الجشع !
انزعوا الاغلال عنهما !

**( الجلادون يطيعون ، فيرفعون الاغلال عن السجينين ويقدمون لهما خمرا ، ولكن شيونج وسو يرفضان )**

**كوانج** : انزعوا عنهما ملابسهما الخارجية واوثقوا أكتافهما

**( يطيع الجلادون الأمر )**

يجب ان يشعر الشرير بقسوة القانون ،
فالرحمه عن ضعف لا تقيم حدا بين الحق والباطل !

**شيونج وسو** : ان ما نالنى من ظلم يعلو على الجبال .. ان ما أصابنى من غبن أعمق من البحر !

**كوانج** . صمتا ؛ **( الجلادون يرددون أمره )**

اذا كنتما بريئين فكيف ثبت جرمكما ؟
وما أمر الشهود والقرينة ؟
ايها الجلادون **( يجيبه الجلادون )** عندما تدق الساعة الخامسة ...

**شيونج وسو** : يا صاحب الشرف !

**كوانج ( ماض فى حديثه )** : أشهروا سيوفكم **( يشهر الجلادون سيوفهم )** وأطيحوا برأسيهما !

**( يقدم اليه احد الجلادين أمر الاعدام ، فيتناول المتصرف فرجون الكتابة ليوقعه )**

**سيونج وسو** : يا صاحب الشرف !

**( الجلادون يصيحون آمرين اياهما بالصمت، ولكن المتصرف يوقفهم بنظره صارمة )**

**شيونج** : يقولون انك تحب الناس حبك لأولادك ، وانك خليفة للمتصرف « باو » ، فهل تغمض عينك عن خطأ فظيع ، وتتركني أموت ظلما ؟

**سو** : اذا أعدمت مواطنين بريئين ، فكيف تزعم انك حاكم صالح ، أو انك تحب الشعب ؟

**( الجلادون يهمون بأن يسكتوها ، فيردهم المتصرف )**

**كوانج** : فكرا فى عدد المحاكم التى مرت بها قضيتكم . ان القضية تقفل بعد أن تنظر ثلاث مرات . وانكما لتصران على انكما بريئان ، ولكن .. كيف لى أن أصدقكما دون قرينة ؟.. تقولان أنكما مظلومان ، فعليكما اثبات ذلك !

**شيونج :** يا صاحب الشرف ! .. لقد قضى على ، بدعوى انني دبرت الجريمة مع هذه الفتاة ، ولكن ، ما من شيء يدعم هذا الاتهام

**كوانج :** وكيف لا يوجد ما يدعم هذا الاتهام ؟

**شيونج :** انني من ( هوايان ) وهي من ( ووسيه ) ، ولم يسبق لنا ان التقينا قط . ولقد ضلت سبيلها ، فصادفتني ورحت ارشدها اليه ، فهل هذا يعني أن ثمة غراما مستترا بيننا ؟ .. انني أجوب البلاد ، طيلة العام ، موفدا من التاجر « تاو فو ــ تشو » لأشترى وأبيع المنتجات المحلية لحسابه .. وهو الذى اعطاني الخيوط النقدية الخمسة عشر لابتاع بها امشاطا خشبية من ( شانجتشاو ) . فأنا لم أسرقها !

**كوانج :** وأين مخدومك الآن ؟

**شيونج :** لقد كان يقيم ــ فى الوقت الذى بارحته فيه ــ فى فندق « الضيافة » ، المواجه لمعبد « يوانميا وكوان » ، هنا فى ( سوتشاو ) . وكنا نعتزم أن نذهب معا ــ عند عودتى ــ الى ( فوكيلين ) لنبيعها مع الامشاط .. فاذا لم تصدقنى ، يا صاحب الشرف ، فابعث برجل ليتحرى الحقيقة !

**سو ( بينما يفكر كوانج ) :** انني لا أعرف هذا الشاب . لقد كنت فى طريقي الى ( كاوتشياو ) لأزور خالتى ، ولكن الناس ارتابوا فى أمرنا لأننى سألته أن يرشدنى الى الطريق .. وها هو ذا يوشك ان يعدم دون ما ذنب . لقد زججت به فى هذه الضائقة ! .. واذا كان بوسعك ، يا صاحب الشرف ، أن تعرف من أين وفد هذا السيد ، فستعرف ان من غير الحقيقى أن نكون قد دبرنا جريمة ما معا !

**كوانج ( لخادمه ) :** اسمع ! اذهب ــ بأسرع ما تستطيع ــ الى فندق الضيافة ، المواجه لمعبد « يوانميا وكوان » ، وتحر صحة الأمر !

**( يصدع الخادم بالأمر ، فينصرف . ويتصفح المتصرف كوانج الوثائق الخاصة بالقضية ، فيدرسها فى اهتمام )**

**كوانج :** كان أحدهما يعيش فى(هوايان) والآخر فى(ووسيه) ، فكيف يتسنى ان يكونا عاشقين ؟
وكان أحدهما ذاهبا الى ( تشانجتشاو ) ، والآخر الى ( كاوتشياو )
فليس ما يبرر ألا يسافرا معا ! .. ولا دليل يقطع باجرامهما !
ومن العسير الجزم بأن خيوط النقود الخمسة عشر ، كانت مع شيونج لشراء سلع .. او لغير ذلك
فكيف يقضى بالاعدام ، دون تحر للوصول الى الحقيقة ؟

**( يدخل الخادم عائدا )**

**الخادم :** يا صاحب الشرف ! .. لقد قمت بتحريات ، فاذا القصة حقيقية . ولقد رحل « تاو فو ــ شو » الى( فوكيين ) للاتجار ، ويقول صاحب الفندق ان « شيونج يو ــ لان » يعمل لحساب تاو فو ــ شو ، وأن هذا أعطاه خمسة عشر خيطا من النقود ، ليحملها الى ( تشانجتشاو ) . وهاك سجل فندق الضيافة ، فهلا تكرمت بالقاء نظرة عليه ؟

**كوانج ( يقرأ فى السجل ) :** تاو فو ــ شو ، وشيونج يو ــ لان **( مخاطبا شيونج )** متى جئت الى ( سوتشاو ) يا شيونج يو ــ لان ؟

**شيونج :** فى الثامن من الشهر الرابع
**كوانج :** ومتى بارحتها الى ( تشانجتشاو )
**شيونج :** فى الخامس عشر من الشهر الرابع
**كوانج ( لنفسه ) :** يبدوا أن هذا الرجل اتهم ظلما ، حقيقة!
**سو :** ياصاحب الشرف ! ..اما وقد تبينت الحقيقة بشأن

هذا السيد ، فهلا عوضته عما اصابه ؟

**كوانج :** لنمض قدما فى تحرياتنا يا سو شو ـ تشوان ، لنرى ما اذا كنت وشيونج قد دبرتما القتل . كيف تصادف ان تركت البيت فى ذات اليوم الذى اغتيل فيه أبوك ؟

**سو :** لقد جاء زوج أمى فى ذلك المساء ، ومعه خمسة عشر خيطا من النقود ، قال انه حصل عليها اذ باعنى . ولم أشأ أن أكون جارية ، فهربت فى اواخر الليل ، قاصدة دار خالتى . فأى دليل هناك على اننى سرقت النقود أو قتلت زوج أمى ؟



**كوانج :** اذا لم تكن قد قتلته ، فلا بد من ان نعثر على القاتل الحقيقى . واذا كانت قد قتلته ، فلا بد من العثور على دليل صادق . كيف تطوى قصة كهذه ، ويقضى فيها بالاعدام ، بمثل هذا الاستخفاف ؟ .. يجب الا يعدما ! **( يتذكر فجأة مركزه )** مهلا !

ان الأوامر تقضى بأن اشرف على تنفيذ الاعدام ،
فليس من سلطتى ان أعيد اثارة القضية ،
كيف أعالج فى ( سوتشاو ) ذنوبا من ( شانجتشاو ) ؟
ثم .. لقد جاءت الاوامر من الحكومة ، فلا بد من الطاعة !

حياتين !

**( تستبد به الحيرة )** آه .. ما دمت أعلم أن ظلما وقع ،
هذا الفرجون يزن ألف رطل ، وبوسعه القضاء على حياتين !

**( تستبد به الحيرة )** آه .. مادمت اعلم ان ظلما وقع ،
فلا بد من أن أعمل على اعادة النظر فى الحكم .
فكيف لى ان ارفع رأسى كحاكم ، اذا قتلت بريئين !

ايها الجلادون ! **(يخف اليه الجلادون)** أريد أن تأخذوا السجينين الى الغرفة الداخلية ، فى الوقت الراهن ، وان تنتظروا أوامر جديدة !

**الجلادون ( فيما بينهم ) :** لنتحدث اليه . **( يخاطبون كوانج )** هلا فكرت من جديد ، يا صاحب الشرف !.. ان الأوامر تقضى بقتلهما ، فلا بد من ذلك دون ابطاء !

**كوانج :** كفى ! اننى أعرف ما ينبغى أن أفعل !

**( واذ يهم الجلادون بأن يسوقوا الشابين ، تنبعث دقات مؤذنة بالربع الثالث من الساعة الثانية )**

**الجلادون :** يا صاحب الشرف ! يجب قتلهما قبل الساعة الخامسة على أقصى تقدير . فماذا يكون من أمرنا اذا تأخرنا ؟

**كوانج** : ها ! .. الامر يقضي بقتلهما فى الخامسة ،
وها هى الساعة الثالثة قد اقتربت .
من العسير ان تثار القضية من جديد ،
وليست لدى خطة مرسومة .. فماذا أفعل ؟

( **يجهد فكره ، وقد استبد به الاستياء** ) ما دام ثمة حيف قد وقع ، فمن واجبى أن أنقذهما . فيجب ألا أتردد فى الدفاع عن الشعب ( **مخاطبا الجلادين** ) خذوا السجينين الى الخارج !

**الجلادون (فى حيرة)** : تعاليا ! **(يقودان شيونج وسو الى الخارج )**

**كوانج** : اسمع ! ( **يخف اليه الخادم** ) احضر لى ردائى المدنى ، وخاتمى .. واحضر المصباح . سترافقنى الى مقر الحاكم لاقابله !

**المشهد الخامس**

• **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح عن الجزء الأمامى، يدخل الخادم والمتصرف كوانج . يسيران الى مسكن الحاكم

**الخادم** : ها قد وصلنا

**كوانج** : اسمع ، انتظرنى خارج الباب !

**الخادم** : اجل ، يا صاحب الشرف **(يخرج)**

**كوانج** : هل من احد هناك ؟ **(يدخل مفتش الشرطة)**

**المفتش** : من هناك ؟ **كوانج** : أنا المتصرف كوانج

**المفتش** : أهذا أنت يا صاحب الشرف ؟ .. هل نفذ حكم الاعدام ؟

**كوانج** : انما جئت بسبب هذا الاعدام . أريد ان اقابل الحاكم ، فانبئه !

**المفتش** : لقد اوى سعادته الى فراشه منذ ساعات عديدة، وهو لا يحب أن يزعجه أحد . أفلا تعود يا صاحب الشرف ، وتأتى فى صباح باكر مرة أخرى ، أثناء ساعات العمل ؟

**كوانج** : انما جئت لمسألة هامة لا تحتمل ارجاء

**المفتش** : اننى افكر فى عملى ، فلست أجرؤ على ازعاج الحاكم !

**كوانج** : أراغب انت فى تحمل المسئولية ، اذا عرقلت مهمة عاجلة ؟

**المفتش** : آه .. ان فخامتك لست كالموظفين الآخرين . انتظر ريثما أعلنه بمقدمك **(يخرج)**

**كوانج** : أف ! .. يا له من جبان ! يا للسخف ! **( يدخل المفتش )**

**المفتش** : عندما ذهبت بنبأ قدومك ، غضب صاحب السعادة ، ولم ينقذنى من التقريع سوى اسمك . ان سعادته يطلب أن تنصرف ، وأن تعود فى صباح غد .

**كوانج** : انها مسألة حياة وموت ، فكيف انتظر للصباح ؟.. سأضايقك بأن أسألك ان تستأذن لى ثانية !

**المفتش** : اننى أربأ بعنقى ان يقطع ! **(يخرج مسرعا)**

**كوانج** : ترى ماذا أفعل الآن ؟ **(يرى طبلا)** ما من حيلة سوى أن أدق الطبل ! **(يدق الطبل مرتين)**

**ضابط الشرطة (من وراء الستار)** : اسمعوا ! **(الحراس يجيبون من وراء الستار)** ان الحاكم يريد أن يعلم أى معتوه جرؤ على دق طبل المحكمة فى هذه الساعة من الليل . اذا كانت لهذا الاحمق شكوى ، فاجلدوه اربعين سوطا قبل سماع شكواه . واذا لم تكن له شكوى ، فاضربوه ثمانين جلدة ، ثم اطردوه !

**( يصيح الحراس مجيبين . يدخل الضابط )**

**الضابط (فى خيلاء)** : من الذى دق الطبل ؟
**كوانج** : انا الذى فعلت
**الضابط** : اذن فهو أنت يا صاحب الشرف !
**كوانج** : ليست لدى شكوى مكتوبة .. فما العمل ؟
**الضابط** : لا بد انك تسخر يا صاحب الشرف ! مهلا حتى أعلن مقدمك

**كوانج** : شكرا لك . **(يخرج الملازم)** ثعلب يفيد من سلطان نمر ! .. أمر يثير الاشمئزاز !

**صوت ( من وراء الستار)** : صاحب الشرف مدعو الى قاعة الاستقبال !

**الملازم (وهو يعود ثانية)** : ان صاحب السعادة يدعوك الى انتظاره فى قاعة الاستقبال

**( يخرج كوانج . وترفع الستار الداخلية ، فتبدو قاعة استقبال الحاكم (( شو )) . الملازم يقود المتصرف كوانج اليها . يجلس كوانج . ومع أنه ينتظر فترة ، فان الحاكم لا يظهر ، ويزداد تململ كوانج . ثم يعود الملازم فيقف كوانج ، ظنا منه ان الحاكم موشك على الوصول . ولكن الملازم يخرج ثانية ، ولا يبدو أثر للحاكم )**

**الملازم ( من وراء الستار )** : انصتوا !.. ان صاحب السعادة يأمر الحراس بالحضور الى القاعة !

**( يصيحون مستجيبين ، من وراء الستار . يظن كوانج ان الحاكم مقبل . وبعدبرهة يدخل الملازم ثميخرج ثانية . ولا يظهر الحاكم رغم ذلك . تدق الساعة مؤذنة بالربع الاخير قبل الساعة الرابعة . يشتد تململ كوانج )**

**كوانج** : فى هذا الشك لا املك جلوسا ولا وقوفا ،
فلا يكاد يتسع الوقت لانقاذهما من السيف ،
وكأنى بالحاكم لن يتحرك ، فكأنه جبل (كاى) ،
لماذا يقولون ان الوقت من ذهب ؟!..

ما أصعب دخول دار الحكومة .. وأصعب منه لقاء موظف كبير !

**( يدخل اربعة من الحراس ، يتبعهم الملازم ، ثم يقبل الحاكم شو ، فينحنى له كوانج ، بينما يجلس هو بادى الاستياء ، ثم يدعو كوانج للجلوس )**

**الحاكم :** لقد تلقينا أمرا امبراطوريا بتنفيذ حكم بالاعدام ، وطلبنا معونتك يا صاحب الشرف . وقد توقعنا منك ان تشرف على التنفيذ ، فلماذا جئت هنا فى جنح الليل ، ودققت الطبل ؟

**كوانج :** ان ذنب السجينين لم يثبت ، فجئت فى جنح الليل لألتمس من سعادتكم أن تسمحوا بارجاء الاعدام ، ريثما أكشف عن الحقيقة

**الحاكم :** كيف تقول ان ذنبهما لم يثبت ؟

**كوانج :** بالرغم من أن سو شو ـ تشوان كانت مسافرة مع شيونج يو ـ لان ، فى طريق واحدة ، وكان شيونج يحمل مبلغا معادلا لما سرق من يو هو ـ لو ، الا اننى وجدت بعض نقاط للريب فى القضية . فليس ثمة ما يبرر أن نقفز الى استنتاج أنهما كانا حبيبين ، وانهما قتلا الشيخ . فيا صاحب السعادة :



**الحاكم شو تشين**

وقد قام بدوره الممثل :

**( پاو تشوان ـ تو )**

ليس لنا ان نعدمهما لمجرد انهما سارا معا ،
والنقود وحدها ليست قرينة مؤكدة .
ان القضية محفوفة بالشك ، فلنجر تحقيقا أدق !

**الحاكم** : تذكر عدد المحاكم التى مرت عليها هذه القضية .
ومن العادة أن يبت فى القضية بعد ثلاث محاكمات . فلا حاجة
لك يا صاحب الشرف بأن تهتم بها !

**كوانج** : آه ، لا ياصاحب السعادة ! ..
أنجيز بهذه السهولة حكما يسلب بريئين حياتيهما ؟

**الحاكم** : ان قاضي ( ووسيه ) ، ومتصرف ( شانجتشاو )
موظفان مسئولان ، وقد عينهما البلاط ، وهما خادمان كفءان .
وهذان الرجلان الحصيفان المجربان ، لا يمكن ان يخطئا ! ..
ثم اننى اقررت الحكم النهائى . ولو كان ثمة حيف لرفعته ،
فلا حاجة بك يا صاحب الشرف الى التدخل !

**كوانج** : مادمت قد اقررت الحكم النهائى ياصاحب السعادة ،
فهل لى أن أسأل : هل كان شيونج يو – لان مندوبا مسافرا
لحساب التاجر تاو فو – تشو حقا ؟ .. وهل تبينتم من أين
اتت خيوطه النقدية الخمسة عشر ؟ .. واذا كان شيونج يقيم
فى ( هوايان ) والفتاة تقيم فى ( ووسيه ) ، فكيف تعارفا ؟ ..
ومن الذى يستطيع أن يشهد بأنهما كانا عاشقين ؟ .. اننى ،
على ضوء ما وجدت ، اذ أوفدت رجلا الى فندق الضيافة ،
المواجه لمعبد يوانميا وكوان ...

**الحاكم** : مهلا ! .. ان كثيرا من المناطق الواقعة فى جنوب
نهر (يانجتسى) تحت نفوذى ، وليس بوسعى أن أعنى شخصيا
بكل القضايا الهامة فيها ، فهل كنت تريدنى على أن أعنى
بتفصيلات قضية صغيرة كهذه ؟ .. لقد استجلبت الملفات من
( شانجتشاو ) لمراجعتها ، فهل تسمى هذا استخفافا ؟

**كوانج** : ولكن أرواح الناس ليست دمى .. ان هذه القضية
– فى رأيى المتواضع – يجب ان يعاد تحقيقها بدقة وعناية :

فالحاجة تدعو الى دليل صادق .. وقرينة حقيقية ،
وعلينا ان نرسى حكمنا على الوقائع !

**الحاكم :** هناك نقطة واحدة ، غير واضحة لدى يا صاحب الشرف .. اننى أرجو ان توضـح لى : ما هو واجب الموظف الذى يشرف على تنفيذ الاعدام ؟

**كوانج :** ان يستوثق من المذنب ، وان يأمر باعدامه اعـداما صحيحا ، فى الوقت المقرر ، وان يرفع النتيجة الى رئيسه

**الحاكم :** واذا كان ثمة شىء لا شأن له به ..

**كوانج :** ينبغى الا يتدخل فيه ..

**الحاكم :** اذن ، فما دمت قد طلبت اليك مراقبـة الاعدام ، فقد كان جديرا بك ان تؤدى مهمتك .. فلماذا تركت منصبك بهذه الطريقة غير الرسمية ؟

**كوانج :** ان القانون يبيح لنـا ــ يا صـاحب السعادة ــ ان نسأل المذنبين الذين يحتجون بأنهم مظلومون ، وأنى لأدعو الى اعادة نظر القضية .. اننى اناشدك العون لانقاذ حياة روحين بريئتين

**الحاكم :** لقد تلقيت امرا من الحـكومة .. فماذا املك ان أفعل ؟

انك تثير أزمة لاداعى لها .. فالقانون صارم ،
ومنذا الذى يجرؤ على ان يتحداه ؟
لست الا موظفا صغيرا ، فلست اجرؤ على التهور !

**كوانج :** اننا كخدم الدولة مسئولون امام البـلاط ، وامام الشعب .. ولست املك أن أطيع أمرك اذا كان يتضمن عدم اكتراث بالحياة البشرية !

**( تنبعث دقات ساعة الحصن معلنة الرابعة )**

**الحاكم :** لقد اقترب الوقت ، فعليك ان تسرع بالعودة .. ان تأخير تنفيذ الاعدام ، يعود بالضرر علينا جميعا !

**كوانج :** لا يا صاحب السعادة .. فالحاكم لا يفوق الشعب أهمية ..

واذا أدين الشعب ظلما ، حق على الموظفين ان يخجلوا !
انني لأضحي بمنصبي .. لأنقذ روحين بريئتين !

**الحاكم :** لست أجسر على التصرف فى مسألة كهذه ، فكفى جدلا !

**( ينهض ويهم بالانصراف فيبادر المتصرف الى استيقافه )**

**كوانج :** اذا كنت تخاف المسئولية ، يا صاحب السعادة ، فالق الذنب على ، وسأكون مسئولا عن كل شيء

لدى تخويل مبصوم بالخاتم الامبراطورى لصاحب الجلالة ،
وبوسعى — فى أية ازمة طارئة — ان استعمل عقلى ..
واذا ظلم زملائى ، فلى أن أسعى الى القبض عليهم ومحاكمتهم .
فكيف اقوى على الوقوف صامتـا ، اذا قضى على مواطنين بريئين ظلما ؟

اتوسل الى سعادتك ان لا ترفض .. بل كن رؤوفا !

**الحاكم :** مادمت مصرا على ان تفعـل ما يحلو لك ، فى أية حال ، فلماذا تضيع الوقت فى الكلام ؟

مادام لديك تخويل امبراطورى فافعل ما تشاء !
لماذا تجشمت عناء الحضور الى هنا ؟
اما انا .. فقد اعتدت أن ألزم أقصى الحكمة ،
وأن أصدع بكل الأوامر !

**كوانج :** أرجو أن لا تستاء يا صاحب السعادة . ان رغبتى الوحيدة هى ان أساعد الشعب

**الحاكم :** للمرة الأخيرة اقول : لا !

**كوانج :** حسن .. ما دمت مصرا ، ياصاحب السعادة ، على الرفض ، فسأترك خاتمى الذهبى ضمانا ، واسألك ان تمنحنى بضعة أشهر أغادر خـلالها عملى ، لأتحرى هـذه القضية فى (ووسيه) و (شانجتشاو) . وسأرفع لك تقريرا عند عودتى .



فأرجو ان تقبل هذا الرجاء !

**الحاكم ( يضحك فى سخرية )** : ما أندر أن نعثر على متصرف رحيم القلب مثلك ! استبق خاتمك ، وسأمنحك المهلة

**كوانج** : شكرا يا صاحب السعادة ! وهل لى أن أحصل على سهم السلطة ؟

**الحاكم** : وما الداعى لذلك ؟

**كوانج** : ان (شانجتشاو) و ( ووسيه ) ليستا تحت سلطان منصبى ، ومن ثم فان الحصول على تفويض منك ، يسهل مهمتى كثيرا

**الحاكم :** احضروا لى سهما ! (١)

**الملازم :** سمعا ، يا صاحب السعـادة ! **( يسرع الى احضار سهم )** ها هو ذا السهم الرسمى

**كوانج :** شكرا ياصاحب السعادة ! **( يتأهب للانصراف )**

**الحاكم :** لحظة ! .. يجب ان تتم هـذا التحقيق فى نصف شهر ( **كوانج لايجيب** ) فاذا اخفقت فى جلاء القضيةفى نصف الشهر ، فسأرفع الأمر الى الامبراطور ! ها ! ..عليك اذ ذاك ان تغفر لى التخلى عن المجاملة فى تصرفى **( يهز يديهفى غضب ، ويخطو الى الخارج — ويسدل الستار )**

## المشهد السادس

• **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح ، عن الجزء الامامى الذى يمثل طريقا فى الخلاء . يدخل الخفير « شيا »

**شيا :** تجنب منصب الخفير ، فانه يضطرك للجرى دائما ، كلما وقعت جريمة ، جريت حتى تقطعت انفاسى الا تعالوا الى هنا يا أهل الجيرة ! **( يدخل الجيران )**

**الجيران :** ما الذى تبغيه ، ايها العم شيا ؟

**شيا :** انها قضية اغتيال « يو هو — لو » . لسوف يصل المتصرف كوانج عما قريب ، ليجرى تحقيقا ، فعليكم أن تنتظروه ، وأن تجيبوا عن اسئلته !

**الجار الاول :** كيف يجوز لمتصرف ( سوتشاو ) ان يفحص قضية من ( شانجتشاو ) ؟

**شيا :** انلدى المتصرف كوانج سهما يخولهالسلطةمن الحاكم

**الجار الأول :** ولكنالقاتلين قد اعتقلا،ففيم التحقيق الجديد؟

**الجيران :** اجل .. لماذا ؟

**شيا :** ان المتصرف كوانجموظف طيب ، وهو يقولان الحكم

---

(١) يبدو ان السهم كان اشارة لاثبات ان حامله موفد فى مهمة رسمية .

صدر ظلما . فهيا تعالوا معى. **( ينصرفون ويتركون « الفأر » وحيدا على المسرح )**

**الفأر** : آيا ! .. كنت اظن ان شيونج يو ــ لان وسو شو ــ تشوان ، قد أصبحا شبحين لقتيلين أعدما ظلما ! كيف قدر لهذا المتصرف كوانج أن يشرع فى فحص القضية من جديد ؟ أفيقدر لدورى ان يتكشف ؟ .. لا ، ان هذا محال . ما من أحد رآنى ، فى تلك الليلة ، ومن ثم فلا أحد يعرف أمرى .. لا شهود هناك ، ولا قرائن ، فليس ثمة ما أخشاه . سأذهب مع الآخرين ، كأى مواطن شريف ، مسلما قلوعى للريح ، منتهزا كل فرصة لدفع الشبهات عن نفسى . آيا ! .. لن يكفى هذا ! .. لقد اشتهر هذا المتصرف كوانج بأنه خليفة المتصرف «باو» . وانه لبارع ، واسع الحيلة .. وليس الوقوف ضده بالمهمة اليسيرة . لو اننى زللت زلة واحدة ، وفطن الى ذلك ، لعزت على النجاة . ان الأمثال تقول : « الهرب هو أفضل الخطط فى القتال » . لأذهب الى الريف ، فانطو هناك لعشرة أيام تقريبا .. ولأعد عندما تهدأ الأمور كلها . هذا صواب . فلأرحل !

**( يخرج ولا يلبث ان يدخل شرطيان وخادم ، والقاضى « كوو » ، والمتصرف كوانج )**

**كوانج** : من أجل الشعب لا أجنب نفسى تعبا ..

**كوو** : لكم أكره هؤلاء المتفلسفين الادعياء !

**شيا (مقبلا)** : اهلا بصاحبى الفخامة .. ان الخفير يركع لكما !

**كوانج** : انهض ! .. اين بيت « يو هو ــ لو » ؟

**شيا** : هو ذا أمامك **كوانج** : قدنى اليه !

**( يسيرون الى باب « يو » ــ ترفع الستار الداخلية ، كاشفة عن البيت )**

**شيا** : هو ذا بيت يو **كوانج** : افتح الباب !

**شيا** : سمعا يا صاحب الفخامة .. سأفض الأختام

**( يزيل الاختام الورقية ، ويفتح الباب )**

**كوانج** : تفضل **كوو** : بل انت اولا

**كوانج** : لندخل معا **( يسيران الى الداخل )**

**( الغبار متراكم على المكان، يزيلان بأكمامهما ما علق بهما منه )**

**كوو** : تفضل باجراء تحرياتك يا صاحب الشرف

**كوانج** : لنقم بالتفتيش معا .. اين وجدت جثة « يو » ، أيها الخفير ؟

**شيا ( مشيرا الى الارض )** : هنا

**كوانج** : واين كان السلاح ؟ **شيا ( مشيرا )** : هنا

**كوانج** : ومتى فحصت الجثة ؟ **شيا** : بعد أيام ثلاثة

**كوانج** : واين السلاح الآن ؟

**شيا** : لقد نقل وحفظ كقرينة مادية

**كوانج ( مخاطبا كوو )** : هل تحريت القضية بنفسك ، اذ ذاك ، يا صاحب الشرف ؟

**كوو** : ما كانت ثمة حاجة الى مزيد من التحرى ، ما دام القاتلان قد اعتقلا !

**( يفحص كوانج الباب ليتبين ما اذا كان القاتل قد جاء من الخارج ، ويجرب مقرعة الباب ليتأكد من مدى الضجة التى تحدثها . ثم يغلق الباب ليرى ما اذا كان قد فتح عنوة ، ويفحص المفصلات التى يدور عليها الباب . واذ لا يعثر على ما يثير الشبهات ، يجوس ببصره فى المكان ، حتى يبلغ المنضدة التى كان « يو » يبيع عليها اللحم ، فيتفرس فيها مليا ، ثم يتقدم ليهز السياج الذى أقيم امامها ، من ناحية الطريق ، ليستوثق من متانته . واذ ذاك تنبعث عاصفة من الغبار ، فيتحولون لينفضوه عن ثيابهم . ثم يفحص كوانج الجدار والفراش ، فلا يجد مدعاة للريب هنا كذلك . وأخيرا ، يحدق بامعان فى لطخ الدم التى شوهت الأرض )**

**كوو ( متظاهرا بالدهشة )** : آه .. بقع دموية ! .. لا بد انه دم القتيل !

**كوانج** : أجل ، فليس من المعقول أن يكون هذا دم القاتل !
**كوو** : هذا شيء وثيق الصلة بالجريمة ، فعلينا أن ندرس البقع بعناية
**كوانج** : هذا واجبنا حقا !
**كوو** : آيا ! .. مهما تنعم النظر ، فلن تشي لك هذه البقع بالقاتل !
**كوانج** : وما رأى صاحب الشرف ؟ **كوو** : رأيى؟ **(يضحك)**
**كوانج** : من الذى فعل هذه ؟
**كوو ( ضاحكا )** : ولكنك يا صاحب الشرف تقول انهما قد ظلما !
**كوانج ( مخاطبا شيا )** : اين حجرة سو شو ـ تشوان ؟
**شيا** : هنا ، بالداخل **كوانج** : وكيف كانت الفتاة ؟
**شيا** : كانت وادعة ، رصينة ، مؤدبة
**كوو** : من الطبيعى ان تتظاهر الفتاة بالوداعة والرصانة ، اذا ما كان لها حبيب ، لتذر الرماد فى العيون !
**( كوانج يرمق كوو بنظرة ، ثم يدخل الغرفة الأخرى ليفتشها )**
**كوو ( ضاحكا فى سخرية )** : جرمها مؤكد ، ولكنها تقسم على براءتها !
والأدلة كافية ، ولكنه يعيد فحص القضية !
ما أغباه .. اذ يصر على ان القاتلين مواطنان صالحان !
**( يعود كوانج الى الغرفة الخارجية )**
**كوو** : هل وجدت ما يثير الريب يا صاحب الشرف ؟
**كوانج** : هل وجدت انت ؟
**كوو ( باستخفاف )** : آه ! .. كل شيء يبدو محملا بالشبهات!
**كوانج** : وما هى الشبهات ، ولماذا
**كوو** : اذا لم يكن ثمة ما يثير الشبهات، فلماذا تقوم بالتحرى؟
**كوانج** : تقصد انه كان خليقا بى ، ألا أقحم نفسى ؟
**كوو** : آه ، لا ! .. انك يا صاحب الشرف نصير للشعب

**كوانج** : وانت ؟

**كوو** : انا بليد وجاهل . لقد قضيت فى هذه القضية استنادا الى القرائن ، ولكن فخامتك تعتمد - ولا شك - على سبب معقول ، اذ ترى حكمى خطأ !

انك ذكى ومجرب .. وستكشف الحقيقة بعد التحرى !

**كوانج** : أخشى أن يكون مجيئى لغير طائل .

**كوو** : لقد كونت لنفسك نظرية ، فما احسبك جئت لغير داع . ( **يضحك** ) ألا امض فى بحثك !

**كوانج** : حسن جدا . آه ، ها هى ذى قطعة نقود على الارض ( **يلتقطها ويتأملها** )

**الشرطى الثانى** : وها هى ذى قطعة أخرى ( **يقدمها الى كوانج** )

**كوو** : ما الذى تتوقع أن تعرفه من هاتين القطعتين ؟

**كوانج** ( **مخاطبا الشرطى ، ومتجاهلا كوو** ) : تأمل ماحولك جيدا ، مرة أخرى ( **يشترك الآخرون فى البحث** )

**الشرطى الأول** : هناك ما يزيد على نصف خيط من النقود خلف السرير ، يا صاحب الشرف !

**كوانج** ( **يسرع ليتأمل النقود ويفكر** ) : ما أغرب العثور على هذا المبلغ هنا !

**كوو** : لقد كان يو هو - لو قصابا ، يا صاحب الشرف ، ولا بد أنه أسقط النقود خطأ . فلا غرابة فى ذلك !

**كوانج** : لنستدع الجيران ! **شيا** : يا اهل الجيرة !

**كوو** ( **لنفسه ، على حدة** ) : لقد كان الجيران جميعا شهودا فى هذه القضية . ولقد حبذوا كلهم حكمى . سلهم ، اذا شئت ، فلن يؤثر هذا فى الامر

**الجيران** ( **يدخلون ويركعون** ) : يا صاحب الشرف !

**كوانج** : انهضوا . كيف كانت حال « يو » المالية ؟

**تشين** : لقد أغلق حانوته زمنا ، وكان يعيش على الاقتراض

ورهن متاعه .

**الجيران :** لم يكن يعرف مصدر الوجبة التالية التى قد يحظى بها

**كوانج :** آه ! .. اذا لم يكن لديه فائض من مال ، فكيف تسنى لهذه النقود أن توجد على الارض ؟

**كوو :** لقد كان « يو » احمق سكيرا . لا بد انه ترك هذه النقود هنا ، قبل أن تكسد تجارته ، ثم نسيها !

**كوانج :** غير معقول ! .. قد ينسى ثلاث قطع أو اربعا ، وليس نصف خيط من النقود بأكمله

**( الجيران يتأملون النقود ، ويتبادلون بعض التعليقات )**

**كوو :** من أين ترى هذه النقود قد أتت ؟

**كوانج :** هذا ما يحيرنى .. من اين جاءت ؟

**تشين :** عفوا يا صاحب الشرف .. اظن أن نصف الخيط ربما كان من الخيوط النقدية الخمسة عشر !

**الجار الأول :** وما الذى يفصل نصف خيط عنها ؟

**الجار الثانى :** ربما كان القاتل قد أسقط المبلغ فى تعجله الانصراف !

**الجار الاول :** ولكن الخيوط الخمسة عشر التى كان القاتل يحملها ، لم تكن تنقص قطعة واحدة من النقود

**الجاران الثالث والرابع :** لعل الرجل الذى اعتقل لم يكن القاتل !

**تشين :** انى لأجرؤ على القول بأن شيونج يو ــ لان .. ..

**( يسعل كوو ، فلا يجرؤ « تشين » على المضى فى كلامه )**

**كوو :** أرى أن شيونج يو ــ لان لم يكن يعرف ان ثمة نقودا وراء السرير . ولو انه علم ، لأخذها هى الأخرى .

**كوانج ( للشرطى الأول ) :** احمل هذه النقود ، كقرينة

**الشرطى الأول :** سمعا ! **( بعد أن يجمع النقود ، يعثر على صندوق صغير )** لقد عثرت على صندوق خشبى صغير ،



يا صاحب الشرف !

**كوانج :** لنر ما به ! ان فيه زوجا من الكعوب .. ما أثقلهما !

**الشرطى الأول :** ربما كان بهما رصاص !

**كوانج :** اجل ! .. من المحتمل ان يكون الأمر كذلك !

**( يتبادل الجيران الهمسات )**

**كوو :** ان القوم هنا اشرار ، والميسر شائع ، وانك لتجد كعبا كهذين فى كل بيت .. فلا غرابة فى الأمر !

**كوانج :** يا صاحب الشرف .. ان الكعبين مثقلان ،

وهو أمر غير شائع ، فلا بد انهما لمقامر .. غشاش !

**كوو :** أما وقد كان يو هو — لو سكيرا ، فلا بد انه كان مقامرا كذلك . ثق انه كان صاحب هذين الكعبين !

**كوانج ( للجيران ) :** حدثونى أيها القوم ، أكان يو هو — لو مقامرا ؟

**الجيران :** كان سكيرا مسرفا فى الشراب ، ولكنه لم يكن يقامر قط !

**كوو :** اذن ، فلا بد أن أحد أصدقائه أغفلهما هنا !

**كوانج :** أفكان أحد من أصدقائه الحميمين مقامرا ؟

**الجيران :** اننا نعرف كل اصدقائه ، وما كان بينهم مقامر

**كوانج :** ارجو ان تتركونا برهة . **( يخرج الجيران )** ايها الخفير شيا ! .. هل بين هؤلاء الجيران مقامر ؟

**شيا :** ليس بينهم أحد

**كوو :** طبعا !

**كوانج :** وهل هناك سواهم من الجيران يمارس الميسر ؟

**كوو :** لقد قال انهم لا يقامرون ؟

**شيا :** اجل ، هناك واحد

**كوانج :** وما اسمه ؟

**شيا :** « لو » الفأر !

**كوانج :** وهل كان يكثر من التردد على « يو هو — لو » ؟

**كوو :** أجل ! .. والا فكيف كان من الممكن ان يغفل كعبى النرد هنا ؟

**شيا :** كان يأخذ كثيرا من لحم الخنزير من « يو هو — لو » ، دون أن يدفع الثمن ، مما كان سبب شقاق بينهما

**كوو :** ياصاحب الشرف ! .. انك تضيع وقتك بهذه الأسئلة ، فلن تجد حصرا للقرائن التى من هذا النوع !

**كوانج :** لن ادع حجرا الا قلبته ، لأصل الى الحقيقة ! اذا كان لك أعمال اخرى ، وتؤثر ألا تمضى فى هذا التحقيق .. فعد الى مقر عملك ، وسأواصله وحدى ! **( تسدل الستار )**

## المشهد السابع

• ستار يفصل الجزء الخلفى من المسرح ، عن الجزء الأمامى الذى يمثل سفح جبل ( هويى ) ، بالقرب من معبد رب الجبل . يدخل خادم متنكر فى زى بائع متجول ، مع «تشين»

**تشين :** بعد بحث استغرق أكثر من عشرة ايام ، سمعت أخيرا ان « الفأر » يقيم فى ذاك الكوخ . **( يشير للخادم نحو المكان )**

**الخادم :** وما شكل « الفأر » ؟ **( لا يجيب تشين ، وانما يحدق أمامه )**

**تشين :** آه ، يلوح أن « الفأر » هناك ، أمامنا ! .. أجل ، انه هو .. يجب الا أدعه يرانى .. يحسن بى أن أختبىء **( يخرج )**

**( يواصل « الفأر » سيره ، حتى يلتقى بالخادم ، الذى يدق طبل الباعة المتجولين . يجفل « الفأر » . يخرج الخادم )**

**الفأر :** من هذا ؟ .. من تراه ؟ .. آه ، ان البرىء لا يفزع اذا طرق بابه فى بهيم الليل . لقد أصبحت فى رعب مذ أقبل المتصرف « كوانج » – لعنة الآلهة عليه – الى ( ووسيه ) . اننى لا أستطيع أن أطمئن . لقد ظللت طيلة الأيام العشرة الأخيرة ، متواريا فى الريف ، ولكننى ضقت بذلك ! .. ان كاهن معبد رب الجبل صديقى ، وكثيرا مايذهب الى المدينة ليشترى بخورا وشموعا ، لذلك فلأذهب وأسأله عن انباء المدينة ، ولأستطلع ما يضمره لى الحظ !

ان الاختباء فى الريف مهمة تعسة ،
ولسوف أعود اذا ما رحل المتصرف كوانج !

**( يخرج . يعود الشيخ تشين مع الخادم )**

**تشين :** ها هو ذا .. سأنصرف الآن **( يخرج )**

**الخادم ( يرى «الفأر» وهو يلج المعبد ) :** لقد تنكر متصرفنا

وراح يفتش يمنة ويسرة . وان حميته وقلقه ليشتدان ، لاقتراب أجل المهلة . أما وقد وجدت «الفأر» ، فسوف يسر !

**الشرطى الأول ( يقبل متنكرا ) :** كيف تسير الأحوال ؟

**الخادم :** ان « الفأر » فى المعبد ، فعد بالنبأ الى صاحب الشرف فورا

**الشرطى الأول :** لأدخل وألق القبض عليه

**الخادم :** ان صاحب الشرف يقول انه بالرغم من تكاثف الشبهات حول « الفأر »، الا انه لا يستطيع بعد أن يجزم بأنه القاتل ، لذلك ينبغى ألا نتسرع . سأراقبه بينما تذهب أنت الى السفينة فتخبر صاحب الشرف !

**( يخرج الخادم . ثم يتبعه الشرطى . وترفع الستار الداخلية لتكشف عن بهو المعبد ــ يقبل «الفأر» من الداخل )**

**الفأر :** لقد ذهب الكاهن الى المدينة ليبتاع بخورا ، ولم يعد بعد . لاستطلع الحظ أثناء انتظارى اياه . آيا ، يارب الجبل ، اذا كان حظى خيرا ، فاظهر لى ما يشير الى ذلك ! **( يمد يده ليتناول عودا من الغاب الذى ينم عن المستقبل . بينما يدخل كوانج متنكرا فى زى قارىء الطوالع )**

**كوانج :** اسمع يا أخى ! **الفأر :** لقد أفزعتنى . . ماذا تريد ؟

**كوانج :** أتريد أن أقرأ لك طالعك ؟

**الفأر :** اننى استطلعه هنا . أتريد أن تقرأ حظى ؟ . . لا ، لا !

**كوانج :** ان هذا الغاب لا يفوقنى فى استقراء الطالع . لا . . اذا كنت فى شك من ذلك ، أو كنت راغبا فى تعرف ما سيكون عليه حظك ، فليس عليك الا أن تسألنى ، فأبسطه لك كوضح النهار . واذا كنت تبغى أن تبدل الحظ السىء بالحسن ، والنحس بالشر ، أو أن تعثر على شخص مفقود ، أو أن تسترد منصبا ، أو أن تكسب فى الميسر ، فكل ما تحتاج اليه هو أن تسألنى . أبدا لم أغرر بأحد !

**الفأر :** اذن ، فمن الخير أن أستطلع الحظ ، اليس كذلك

**( يضع قصبة الحظ )** هل لى أن أسالك عن الطريقة التى تنتهجها ؟

**كوانج :** سأنبئك ! .. اننى أفحص الكلمات ،
وقد ذاع صيتى فى الآفاق !

**الفأر :** اذن فستستطيع الحظ من الكلمات؟ كيف تفعل ذلك؟

**كوانج :** اذا كنت تفكر فى شىء يا أخى ، فاكتب أية حروف تروق لك ، وبوسعى أن أنبئك بقدرك ، اذا ما نظرت اليها !

**الفأر :** هذا لا يجدى .. لا يجدى ! **كوانج :** ولماذا ؟

**الفأر :** لأننى لا استطيع الكتابة أو القراءة .. هذا هو السر

**كوانج :** اذن فانبئنى بالكلمة التى تختارها ، وهذا يكفى

**الفأر :** آه ، أيكفى أن أنبئك بالكلمة التى أختارها ؟ .. حسنا ، يا سيدى . ان اسمى هو « لو الفأر » . فهل تصلح كلمة « الفأر » ؟

**كوانج :** بالتأكيد **الفأر :** لأبحث لك عن مقعد

**كوانج :** تحت ستار انبائه بحظه ، اسعى الى الحقيقة ،
فأمل أن أصل اليوم الى غايتى

**الفأر :** ألا اجلس يا سيدى !

**كوانج :** والآن ، عم تريد ان تسألنى ؟

**الفأر ( يتلفت حوله ثم يهمس ) :** عن قضية

**كوانج :** آه ! قضية ؟ **( يضع الفأر يده على فم كوانج ، ويحذره من الحديث بصوت مرتفع ويشرع كوانج فى تحليل الكلمة )** ان كلمة « الفأر » تتألف من أربعة عشر خطا . وهذا عدد زوجى ، اى عدد معتم ، كما ان الفأر حيوان أسمر . انه لأمر شديد الظلام .. فاذا كان الأمر قضية ، فهى عسيرة الايضاح

**الفأر :** أعرف أنها عسيرة الايضاح ، ولكن .. هل تؤدى الى عناء فى المستقبل ؟

**كوانج :** أتسأل عما يتعلق بك ، أو عما يتعلق بسواك ؟

**الفأر :** آه ، بشخص آخر .. بشخص سواى
**كوانج :** ما كان لى أن أتوقع ان يكون العسر لشخص آخر ، على ما أرى من الكلمة **( الفأر يجفل ، فيتظاهر كوانج بالدهشة)** عجبا ، ان الفأر هو منبع الشر
**الفأر :** منبع النهر ؟ **كوانج :** لم اقل النهر ، بل الشر !
**كوانج ( بينما يبدو الذعر على الفأر ) :** ان الفأر هو الأول بين الحيوانات الاثنى عشر التى تتالف منهـا الدورة الفلكية ، ولهذا فهو منبع ومورد . ومن الكلمة أرى ان المتاعب نشأت من جراء اقدامك على سرقة رجل . أهو كذلك يا أخى ؟
**الفأر :** انك تهيم فى الشوارع ياسيدى ، بينما ارتاد أنا دور الميسر ، فنحن على شاكلة واحدة ، ومن ثم فلا تعبث بى على هذا الفرار . لا ، لا تعبث بى ! كيف حدست ان هناك نقودا سرقت ؟
**كوانج :** ان الفأر ماهر فى السرقة ، ومن هنا عرفت الأمر . وهناك شىء آخر : ألم يكن الرجل يدعى «يو» ؟ **( يذعر الفأر ، فيهوى عن المقعد )**
**الفأر ( ناهضا ) :** اسمع ، لقد أنذرتك بألا تعبث بى ، فماذا بك تعود الى العبث ، لست أفهم كيف حدست الاسم . كيف حدسته ؟
**كوانج :** ان لدى ما يرشدنى **الفأر :** وما هو ؟
**كوانج :** ان الفئران تسرق الزيت . أليس كذلك ؟ (١)
**الفأر :** بلى ! .. ولهذا يقول الناس **( وهو يقلد حركة الفأر فى سرقة الزيت )** الفأر يسرق الزيت ، والفأر سارق الزيت !.. لا بأس يا سيدى ، سيان ان يسرق الزيت أو الملح . هل ترى شدة فى انتظارى ؟
**كوانج :** طبعا . فلن تلبث المسألة أن تفتضح
**الفأر :** لماذا تقول هذا ؟

**(١) ينطق الصينيون الكلمة المقابلة للزيت ـ فى لغتهم ـ كما ينطقون «يو»**

**كوانج** : لقد أمليتنى كلمـة « الفأر » ، ونحن الآن فى شهر الفأر . أى أن الأوان قد حان . أخشى ان الأمر سينجلى سريعا

**الفأر ( لنفسـه )** : آيا ! .. ليس بوسـعى أن أجلوه أنا !

**( يتفصد العرق البارد منه )**

**كوانج** : أنبئنى بالحقيقة يا أخى . أتسأل عن طالع شخص آخر ، أو عن طالعك أنت ؟ .. اذا بحت لى بالأمر ، فقد أجد لك منفذا

**الفأر** : لحظة يا سيدى **( يسير الى اقصى المكان ، ويفكر ، وهو يتلفت حوله )** . انه هناك .. وأنا هنا .. اننى أسأل ، يا سيدى ، عن طالع ...

**كوانج** : ان الرجال جميعا أخوة يا صديقى ، فاذا كان ثمة ما يهمك ، فليس عليك سوى أن تفضى به الى .. قد أستطيع أن أساعدك .

**الفأر** : الحق اننى أسأل عن طالعى

**كوانج** : آه ، طالعك أنت !

**الفأر ( يستوقفه ، ويشير اليه كى لايرفع صوته بالكلام )** : أتظن يا سيدى أن بوسعى أن أخرج من الشدة ؟

**كوانج** : حسن .. اذا كان حظك هو الذى تسأل عنه ، فلا حاجة بك الى أن تمكث فوق شجرة

**الفأر** : ما الذى تعنيه ؟

**كوانج** : اذا اضفت كلمة « شجرة » الى « فأر » ألا تحصل على كلمة « انسحاب » ؟

**الفأر** : ما هذا ؟ **كوانج** : الانسحاب يعنى الفرار

**الفأر** : وهل سأستطيع الهرب يا سيدى ؟

**كوانج** : طبعـا ، اذا شئت . كل ما هناك من عناء ، هو ان الفئران ميالة للريب بطبيعتها . واذا ظللت ترتاب فى الناس — يمنة ويسرة — فان الذعر سيمنعك من ان تقدم على خطوة واحدة . ومن ثم فلن تتمكن من النجاة .

**الفأر (فى اعجاب)** : ان استطلاعك الحظ رائع حقا ياسيدى. فلقد اعتدت أن أجنح الى الريب . وما الوقت الذى ترى انه خير وقت للرحيل ؟

**كوانج** : اذا شئت الرحيل ، فاشرع اليوم ، فان الفرصة ستفلت غدا

**الفأر** : وما السر فى هذا ؟

**كوانج** : ان راس كلمة « فأر » مؤلف من شقى كلمة « يوم » ، مما يعنى يوما كاملا . فاذا حل غد ، فمعنى هذا انقضاء يومين ، وتكون الفرصة قد ولت .

**الفأر** : آيا ! لا يزال الوقت مبكرا .. وكيف أرحل ؟

**كوانج** : أن الفئران تختفى بالنهار دائما ، وتظهر بالليل . ان خير ما تفعل ، هو ان ترحل الليلة بالذات .

**الفأر** : هلا تكرمت بالقاء نظرة لتعرف أسلم اتجاه لى !

**كوانج** : دعنى أر . . . يجب أن تتجه نحو الجنوب الشرقى !

**الفأر** : الجنوب الشرقى ؟ . . هلا تكرمت فرأيت أسلم طريق لى . . البر أم البحر ؟

**كوانج** : دعنى أر . . . يجدر بك ان تركب الماء

**الفأر** : الجنوب الشرقى ، على النهر . هناك ( ووسيه ) ، و ( وانجتينج ) ، و ( سوتشاو ) . . . **( يرتجف )**

**كوانج** : وهناك بعد ذلك ( كاشينج ) و ( هانجتشاو ) . . ان ( هانجتشاو ) ملائمة .

**الفأر** : آه ، لو اننى وجدت سفينة مناسبة ، تسعى الى الجنوب الشرقى ، لقفزت الى سطحها ، ورحلت !

**كوانج** : ان لدى سفينة متأهبة للرحيل . وسنقلع الليلة الى ( سوتشاو ) و ( هانجتشاو ) . والشىء الوحيد . . .

**الفأر** : هلا أخذتمونى معكم يا سيدى ؟ أعدكم بأن أدفع أجرا طيبا .

**كوانج** : النقود ليست ذات بال ، فالكرم يعادل ألف قطعة

من الذهب . انما الأمر هو ان سفينتنا بطيئة . فاذا لم يضرك ذلك ، فتعال معنا !

**الفأر** : آه ، انك لست قارىء طالع !

**كوانج** : ماذا ؟

**الفأر** : لا ، فانما انت منقذ «الفأر» ! .. ان حياتى بين يديك

**كوانج** : لاتحمل هما . اننى أضمن لك السلامة على السفينة .

**الفأر** : سمكة تنجو من الشبكة .. وتقفز الى البحر الواسع!

**كوانج** : آمل ان تنتهى متاعبك .. ويتحسن كل شيء !

**الفأر** : سأطير بعيدا .. بعيدا جدا ! أين سفينتك ياسيدى؟

**كوانج ( يتقدم الفأر خارجين )** : انها راسية الى الضفة .. هناك !

**الفأر** : اننى أقيم فى الكوخ على الضفة المقابلة . هـذا أجر ما قرأت لى طالعى ، وأجر سفرى ، فهلا تقبلته ؟ .. سأذهب لاحضار بعض الثياب والمال . ولسوف أعود سريعا .

**كوانج** : أسرع ما استطعت . سأنتظرك على السفينة .

**( يخرج الفأر ولا يلبث الشرطى الأول والخادم أن يقبلا )**

**كوانج ( للشرطى الأول )** : اقتف اثر هذا الرجل ! **( يخرج الشرطى )**

**كوانج ( للخادم )** : اذهب فورا ، فاستـدع رسل الحاكم ، واجمع الجيران لتفتيش بيت ( الفار ) . فاذا وجدت ما يثير الشبهات ، فاحضره الليلة الى ( سوتشـاو ) . واحرص على ان تفعل هذا دون ابطاء !

**( يخرج الخادم . ثم يتبعه كوانج . تهبط الستار )**

## المشهد الثامن

. **ستار** يفصل الجزء الخلفى من المسرح ، عن الجزء الأمامى الذى يمثل الساحة الممتدة أمام محكمة متصرفية (سوتشاو) . يدخل خادم كوانج

**الخادم** : نقبت كما امرت ، وعدت مبكرا بفضل الريح ،

حاملا معى قرينة صادقة ، كما سأروى لفورى !
عندما ذهبت الى دار «الفأر» لتفتيشها ـ بالأمس ـ عثرت على مخبأ تحت السرير ، به كل انواع المفاتيح وادوات القمار وغش الناس . كذلك كان ثمة كيس نقود ، شهد الشيخ تشين بأنه كان كيس « يو هو ـ لو » . فاذا كان كيس القتيل لدى « الفأر » ، فهذا دليل على انه القاتل . على ان الشيخ تشين تطوع للحضور معى ، اذ خفنا ان يعمد « الفأر » الى الانكار **( ينادى )** ايها العم تشين ، هيا بنا ! **(يدخل تشين)** تعال معى يا عماه . وبوسعك ان تنتظر فى الغرفة الخارجية ، ريثما أدخل لأحمل النبأ الى صاحب الشرف

**تشين** : حسنا **( يخرجان . وترفع الستار الداخلية ، فتكشف عن محكمة المتصرفية . يسمع رنين ، ويدخل الشرطى الأول )**

**الشرطى الأول** : هيا يا رفاق ! .. ها هى ذى الساعة الثالثة ، فلا بد من ادخال الملفات من الباب الاول ، والمتهمين من الباب الثانى . وسيتخذ صاحب الشرف مجلسه فى المحكمة ، فاسرعوا واستعدوا

**( يخرج ـ ثم يدخل الشرطيان ، يتبعهما كوانج )**

**كوانج** : بحثنا فى أدنى البلاد وأقصاها ،
فعثرنا على آثم حقيقى ، فى النهاية .
فالصخر يظهر اذا انحسر النهر ، والسحب تتبدد مع الضباب ،
وبخوض المخاطر ، وعدم التغاضى عن شىء ، انقذت بريئين !
هيا ! .. افتحوا المحكمة ! **( يصدع الشرطيان بالأمر )**

**كوانج** : أحضروا سو شو ـ تشوان **( يحضرها الشرطيان )**

**كوانج** : أتعرفين هذا الكيس يا سو شو ـ تشوان ؟

**سو** : انه كيس نقود أبى . كيف وصل الى هنا ؟

**كوانج** : ما الدليل على انه كان لأبيك ؟
**سو** : لقد أحرق أبى ثغرة فيه ، فرفوتها وطرزت عليها زهرة . فهلا تحققت من هذا يا صاحب الشرف !
**كوانج** : لك ان تغادرى المحكمة **سو** : سمعا ياصاحب الشرف
**( يقودها الشرطيان الى الخارج . ثم يدخل الشرطى الثالث )**
**الشرطى الثالث** : لقد أرسل الحاكم رجلا لمقابلتك ، ياصاحب الشرف
**كوانج** : دعه يدخل !
**الشرطى الثالث** : سمعا ياصاحب الشرف
**( يخرج الشرطى . ثم يدخل ضابط الشرطة بدار الحاكم )**
**الضابط** : تحية لك يا صاحب الشرف
**كوانج** : هل لى أن أسألك عن مهمتك الكريمة ؟
**الضابط** : عندما ذهبت ، ياصاحب الشرف ، الى (ووسيه) لتحرى قضية معينة، أوضح لك صاحب السعادة أن مهلتك لا تتجاوز أربعة عشر يوما ، تنتهى اليوم .. وهو لم يتلق بعد تقريرك . ويقول سعادته ان قضية « يو هو ــ لو » قد انتهت بعد ان تم العثور على القاتلين والأسلاب ، وبعد ان نظرتها ثلاث سلطات . ولكن فخامتك انحزت الى صف المتهمين ــ استنادا الى الحق المخول لك من الامبراطور ــ فأرجأت تنفيذ حكم الاعدام ، وأهنت رئيسك ، وعارضت قرار الحكومة . وهذه مخالفات خطيرة . لذلك يأمرك صاحب السعادة بالمثول بين يديه فورا . فاذا كانت العدالة قد تحققت فعلا ، فسيعفو عنك . اما اذا لم تكن قد عثرت على شيء ، فلا بد أن تسلمه خاتم السلطة ، وان تنتظر أوامر جديدة .
**كوانج** : مهلا ! **( للشرطة )** احضروا له مقعدا **( يقدم أحدهم مقعدا للضابط )** والآن ، احضروا « لو الفأر » **(يحضره الشرطة)**
**كوانج** : عمل بارع ذلك الذى أتيته يالو الفأر
**الفأر** : ما ارتكبت ذنبا قط



**كوانج :** انك قتلت يو هو ـ لو ، وسرقت خيوط نقوده الخمسة عشر . فهل تجرؤ على الانكار ؟

**الفأر :** انني بريء ، يا صاحب الشرف

**كوانج :** بريء حقا ! **( يشير الى الشرطة نحو كعبي النرد )** أعرضوا عليه هذين **( للفأر )** هل هذان الكعبان لك ؟

**الفأر ( مجفلا ) :** لا .. لا يمتان الي !

**كوانج :** تطلع الي .اتعرف قاريء الحظ فيالمعبد ؟ **( يتطلع اليه الفأر ، ثم يجفل ، ويشحب وجهه خوفا )** ايها الكلب ! اسرع واعترف !

**الفأر :** ما من دليل ضدي ، ولا شهود . ليس بوسعك ،

يا صاحب الشرف ، ان تظلم مواطنا بريئا

**كوانج ( مشيرا للشرطة نحو كيس النقود ) :** أعرضوا عليه هذا ! ( للفأر ) هل تعرف هذا الكيس ؟

**الفأر ( مرتجفا ) :** من أين جئ بهذا ؟

**كوانج :** كيف لا تعرف شيئا كان فى مخبأك ؟

**الفأر :** انه كيسى **كوانج :** هل من علامة تؤكد ذلك ؟

**الفأر :** علامة ؟ .. لا أتذكر !

**كوانج :** احضروا الشيخ تشين !

**الشرطى الثانى :** ليمثل الشيخ تشين أمام المحكمة ! **( يدخل ، ويركع )**

**كوانج :** انهض **( يقف تشين )** ان « لو » الفأر يقول ان هذا الكيس ملكه يا شيخ تشين . فما قولك ؟

**تشين :** انه كاذب . اننى أعرف ان هذا الكيس كان ليو هو ـ لو ، وقد كنت و« يو » جارين قديمين ، وكثيرا ماعاونته فى شراء الخنازير . اننى أعرف هذا الكيس تمام المعرفة . وقد حدث فى العام الماضى ، أن ثمل « يو » فأحدث فى الكيس حرقا بحجم ابهام اليد ، فطرزت ابنته على الثغرة زهرة . فأرجو أن تفحصه يا صاحب الشرف

**كوانج (للفأر) :** ماذا لديك من قول ، بعد هذا ، ايها الكلب ؟

**الفأر :** آه ، حسنا ! .. لا سبيل الى الانكار . سأعترف
فى ساعة جد متأخرة ، من تلك الليلة ،
فقدت كل نقودى فى القمار ، وكان باب « يو » مفتوحا ،
فدخلت لأحصل على بعض اللحم بالنسيئة ، فاذا
شو ـ تشوان قد اختفت ، و « يو » غارق فى النعاس ،
فقتلته طمعا فى نقوده .. قتلته بالشاطور ،
ورميت الذنب على سواى .. اقسم ان هذه هى الحقيقة !

**كوانج :** هل لك شركاء ؟ **الفأر :** لا ، بل كنت وحيدا

**كوانج :** دعوه يوقع اعترافه ( **يوقع الفأر وثيقة** ) ايها الكلب! .. لقد قامرت ، وسرقت ، وقتلت ، منتهكا القانون . ضعوا الاغلال فى عنقه ، وسوقوه الى السجن ، ليعدم . انصرف ايها الشيخ تشين

**( توضع الاغلال فى عنق الفأر ، ويساق الى الخارج . وينصرف تشين )**

**كوانج ( للضابط ) :** بالرغم من ان القضية عرضت على ثلاث سلطات ، واعتبرت منتهية ، الا ان القاتل لم يقع الا الآن . الا ترى هذا غريبا ؟ ( **الضابط يظل صامتا** ) ادعوا سو شو ـ تشوان ، وشيونج يو ـ لان .

**الشرطة :** سو شو ـ تشوان ، وشيونج يو ـ لان (**يدخلان**)

**كوانج :** لقد اعترف القاتل الحقيقى « لو الفأر » يا شيونج يو ـ لان ، ويا سو شو ـ تشوان ، ومن ثم فأنتما بريئان ( **يطفى الفرح على الشابين** ) اخلعوا عنهما الاغلال ( **يرفع الشرطة الاغلال** ) انهض يا شيونج يو ـ لان ، واليك خيوط النقود الخمسة عشر ، فخذها ! ( **يقدم اليه الشرطة النقود ، فيذهل عنها لفرط فرحه** ) واليك يا سو شو ـ تشوان عشرة « تايل » من الفضة ، ولك ان تذهبى الى خالتك فى كاوتشياو ( **تذهل الفتاة بدورها عن الفضة** ) خذيها !

**شيونج وسو :** ياالسماء الرحيمة ! ..

لقد اضأت بعدالتك ظلامنا، فبات واضحا كمرآة ساحر ،
ووجهت ذكاءك الينا ، كما كان يفعل المتصرف « باو » العظيم .
ولولا كرمك الضافى ، لمتنا ظلما .. ولما كنا اليوم على قيد الحياة !

**كوانج :** لكما ان تنصرفا !

**شيونج وسو :** نشكر لك يا صاحب الشرف ان انقذت حياتينا ( **يستديران ليخرجا** )

**الضابط** : مهلا ! ليس لنا ان نطلق سراحهما ، قبل ان يرفع الأمر للحاكم

**كوانج ( ضاحكا )** : اننى اسرح قاتلين زائفين ، واعطيه قاتلا حقيقيا واحدا ، فأى اعتراض يستطيع ان يثيره ؟ **( مخاطبا الشابين )** لكما أن تنصرفا !

**سو** : يؤسفنى يا سيدى أن أقحمتك فى كل هذا

**شيونج** : لا تقولى هذا ياآنسة ، تلك كانت غلطة القاضى كوو اللعين . ما أظنك تحسبين اننى ألقى عليك لوما ! .. لننصرف **( يغادران المكان )**

**الضابط** : ان متصرفا مثلك ، يفتح عيون الشعب !

**كوانج** : وكم من أناس بحاجة الى ان تفتح عيونهم !

**الضابط** : لقد صححت حكما ظالما ، وهذه حسنة كبرى تسجل لك

**كوانج** : بالرغم من اننى ناصرت المتهمين ، وارجأت تنفيذ الاعدام ، الا أن القضية قد حلت حلا سليما نهائيا . ومع أن ايام المهلة قد انقضت ، الا اننى لم أتجاوز الموعد المضروب . فهيا بنا لنرفع ما جرى معا . تفضل !

**( يسدل الستار )**

# ( أدب القارة الصفراء )

ماذا تعرف عن الأدب الصينى، القديم والحديث؟.. عن القصة الصينية، والمسرحية الصينية، سواء فى عصور الصين القديمة، ذات الحضارة العريقة، المتعددة الألوان.. أو فى عصرها الحاضر الذى يقفز فيه شعبها العظيم قفزات ضخمة، كى يسترد مجده التليد، ويلحق بموكب العالم الحديث فى سباق العلم والصناعة والمدنية العصرية؟

إن "مطبوعات كتابى" تقدم لك فى هذا الكتاب الذى بين يديك باقة شائقة من روائع الأدب الصينى، القديم والحديث، فى مختلف أطواره، منذ أقدم العصور.. حتى يومنا الحاضر!

فتعال معى نبدأ هذه الجولة القصصية الممتعة عبر آلاف السنين، على بساط الأدب الزاخر بأزهى الألوان، وأسمى العواطف والمشاعر..

